جامعة الجزائر3

كلية علوم الإعلام والاتصال

قسم الاتصال

الإعلام الجديد(New Media)والهوية الثقافية

مقاربة نقدية لاستخدام موقع الفايسبوك

(الشباب الجامعي نموذجا)

أطروحة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه (تخصص : دراسات الجمهور)

الطالبة: سهيلة زوار

إشراف أ.د: السعيد بومعيزة

السنة الجامعية: 2016/2015

كلمة شكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تذلل الصعوبات، واعتبارا من هذا لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر أولا إلى **الله** عز وجل على توفيقه.

كما نجزل الشكر إلى الأستاذ المشرف: أ. **د السعيد بومعيزة** أولا لقبوله الإشراف على هذه المذكرة، وأيضا على توجيهاته القيمة وانتقاداته المثرية التي كانت من الحوافز المشجعة على إتمام هذا العمل بهذه الصورة.

كلمة شكر

لا يفوتنا أن نتوجه بشكرنا إلى كل أساتذتنا من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية.

ونخص بالذكر الأستاذ بوكروح، والأستاذ لعبان، والأستاذقسايسية والأستاذة معتوق

على ملاحظاتهم ومناقشاتهم المثرية

الشكر موصول أيضا إلى طلبة السنة أولى فوج 29 على تعاونهم وقبولهم تمثيل عينة البحث

وأشكر جزيل الشكر كل من ساهم في انجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى الوالدين الكريمين، اللهم أطل وبارك في عمريهما.

إلى زوجي الذي تحمل معي مصاعب انجاز هذا البحث وصبر عليها

إلى فلذة كبدي ملاك تسنيم التي ذرفت الكثير من الدموع بسب بعدي عنها في سبيل إتمام هذا العمل

إلى روح جدتي الطاهرة التي دعت كثيرا لإتمام هذا العمل، وغادرتنا قبل أن يرى النور، أهديه لكي صدقة جارية.

وإلى كل أفراد العائلة الكريمة فردا فردًا.

سهيلة

"Si nous ne pratiquons plus des manières
de faire qui seraient communes, nous vivons
en commun l'intrigue d'un remaniement".
Patrick Baudry

خطة البحث

مقدمة

مدخل منهجي لدراسة جدلية الهوية الثقافية والإعلام الجديد

إشكالية البحث وأهميتها

تساؤلات البحث وأهدافه

المقاربة المنهجيةوأدواتها

عينة البحث

ضبط المفاهيم

الدراسات السابقة

الإعلام الجديد،سوسيولوجيا الاستخدامات، وجدلية الهوية الثقافية

الفصلالأول :*الإعلام الجديد*ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي

1. قراءة نقدية للأدبيات المتناولةللإعلام الجديدوتصنيفاته المختلفة
2. ماهية مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كمكون أساسي في الإعلام الجديد
3. نبذة عن الفايسبوك كأشهر موقع تواصل اجتماعي عالمي
4. ثنائية الفايسبوك والهوية في الدراسات الحديثة
5. المداخل المختلفة لتناول مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كتقنية من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات

الفصل الثاني: مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات

1. ظهور مقاربة الاستخدام وتطور أبحاثها
2. مقاربة الاستخدام تيار علمي متعدد التخصصات
3. الفروض العلمية لتيار سوسيولوجيا الاستخدامات
4. البناء السوسيوتقنيللاستخدام وبروز الهوية الثقافية
5. الانتقادات الموجهة لسوسيولوجيا الاستخدامات
6. الإتجاه النقدي في سوسيولوجيا الاستخدامات

الفصل الثالث: الهوية من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات

1. ماهية الهوية الثقافية، والهوية الافتراضية
2. الإستراتيجية والتكتيك في بناء الهوية
3. تملك الاستخدام من خلال تنوع الممارسات والمعاني
4. إشكالية الهوية كمقاربة سوسيولوجية جزئية.
5. الهوية الثقافية والعولمة

هوية الشباب الجزائري الثقافية واستخدام فيسبوك

الفصل الرابع: كيف ندرس الهوية الثقافية الجزائرية في علاقتها مع الفايسبوك

1. الفايسبوك ميدان بحث سوسيولوجي خصب
2. إجراءات الدخول في الملاحظة الاستكشافية لميدان البحث
3. المجموعة« 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك كعينة بحث.

الفصل الخامس: عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية

1. الاستخداماتالعامة للفايسبوك لدى طلبة جامعة الجزائر3
2. الاستخدام المتملك للفايسبوك يؤسس لهوية ثقافية جزائرية متميزة لدى الطالب
3. تجلى الهوية الثقافية لطلبة جامعة الجزائر3 من خلال هويتهم الافتراضية

1-الفايسبوك يؤطر تقنيا تفاعلات الطلبة

الاستنتاجات

خاتمة

المصادر والمراجع

الملاحق

الملخص:

تمثل دراستنا "**الإعلام الجديد (New Media)والهوية الثقافية، مقاربة نقدية لاستخدام موقع الفايسبوك (الشباب الجامعي نموذجا)**"مقاربة نقدية تبحث العلاقة بين استخدام موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك والهوية الثقافية في السياق الجزائري.

ينتمي هذا البحث إلى تيار سوسيولوجيا الاستخدامات، الذي يهتم باستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال في الحياة اليومية للأفراد، ويهدف إلى الإمساك بالتفاعلات الوسائطية عن طريق تطبيق التواصل الاجتماعي فايسبوك الذي يتمفصل ما بين طلبة جامعة الجزائر3 المستخدمين، الذين يمثلون عينة مجتمع بحثنا –الشباب الجزائري– وفعل الاستخدام المتملك في إطار المجموعة [1]« 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك. من خلال تفعيل المستخدمين لموضوع الهوية الثقافية أو أحد مكوناتها، مركزين على قدرة المستخدم وإبداعه في النشر والتفاعل للتعبير عن هويته الجزائرية.

لقد حسمنا في هذه الدراسة اختيارنا المنهجي لصالح "مقاربة نقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات، حيث سنقارب المستخدم وتفاعلاته الشخصية في مرحلة أولى في إطار ما يعرف بالدراسات السوسيولوجية الجزئية micro sociologie كما سنأخذ بعين الاعتبار انتظام هذه التفاعلات في سياق تقني أشمل وأعم هو الفايسبوك من خلال تحليلنا لدور ما يعرف بـ: les méso et les méta données" في تحديد وتأطير التفاعلات، وهذا في إطار أشمل يعرف بـ: macro niveau. وتوصلنا لهذا من خلال توظيفنا لأداتين مهمتين هما المقابلة العلمية النصف موجهة، والملاحظة المرئية l'observation visuelle التي تهدف إلى الفهم من خلال ملاحظة ما ينشر إلكترونيا ثم تحليل محتوى المنشورات في مرحلة ثانية.

[1]إختصار لتسمية مجموعة 29 1er année journaliste groupe على الفايسبوك.

سمح لنا هذا البحث بحصر مختلف التبادلات حول الهوية الثقافية الجزائرية في تفاعلات طلبة جامعة الجزائر3 على الفايسبوك من خلال المجموعة « 1er.A.J.G.29 »حيث سلطنا الضوء على أنواع وأشكال محتويات المشاركة والتفاعل على الخط، والمواضيع والاهتمامات التي يتم تفعيلها من طرف أعضاء هذه المجموعة. بالإضافة إلى هذا مكنتنا هذه الدراسة من الوقوف على الاستخدام المبدع أو المتملك لهذا التطبيق التقني ومكانته في رأي مستخدميه من طلبة، كما قمنا بعرض المحفزات التي تقف وراء نشر الطلبة لمحتويات أو تفضيل aimer صفحات أو منشورات متعلقة بالهوية الثقافية في إطار المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك، وكذا الآثار المترتبة من استخدام هذه المجموعة على الفايسبوك.

ووقفنا من خلال ملاحظتنا المرئية عند تجلي هوية الطلبة الثقافية من خلال هويتهم الافتراضية عن طريق تحليل عناصرها الثلاثة: الهوية المصرحة l'identité déclarative، الهوية النشطة l'identité agissante ، الهوية المحسوبة l'identité calculé ومدى عكسها مجتمعة لعناصر الهوية الثقافية. وأخيرا وفي إطار مقاربتنا النقدية حللنا دور سياق الاستخدام الكلي أي سياق الفايسبوك ودوره في تأطير تفاعلات الطلبة وهيكلتها تقنيا.

ونختم ملخصنا هذا بالتنويه بأهمية المقاربة النقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات ومدى مناسبتها وإمكانية تأقلمها مع دراسة مستخدمي الإعلام الجديد وتطبيقاته في الفضاءات المحلية، لأنها تمكن من دراسة السياقات الجزئية المحلية بمختلف خصوصياتها، وفي نفس الوقت تراعي البعد الكلي للاستخدام، أي تأخذ بعين الاعتبار عولمة الوسائط الجديدة وأثرها على الهويات والسياقات المحلية الغريبة عنها، كسياقنا الجزائري المستهلك.

وننهي ملخص بحثنا هذا بالدعوة للتوجه نحو مشروع مقاربة بديلة لدراسة مستخدمي وسائط الإعلام الجديد وتطبيقاته المختلفة ألا وهي **المقاربة النقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات.**

RÉSUMÉ

La présente étude" **New Mediaet l'identité *culturelle*, une approche critique pour l'usage de *facebook* (l'exemple *de* jeunes étudiants)**" est une tentative critique qui vise à saisir la relation entre l'usage du site facebook et l'identité culturelle dans le contexte algérien.

Cette recherche, se situant dans le courant de la sociologie des usages qui s'empare des usages des technologies de l'information et de la communication TIC dans la vie quotidienne des gens, vise à saisir les interactions médiatisées via la plateforme sociale *Facebook* qui s'articule entre les étudiants usagers de l'université d'Alger 3, représentant un échantillon de notre population d'étude -jeunes algériens- et l'acte d'usage approprie dans le cadre de groupe « 1er.A.J.G.29 » sur facebook. À travers l'abord Thématiques de l'identité culturelle ou l'un de ses composants par les usagers, mettant en lumière l'activité et la créativité d'usager dans ses publications et ses interactions qui interprètent son identité algérienne.

Nous avons privilégié un choix méthodologique bien précis "une approche critique dans la sociologie des usages",où nous allons étudier en première étape l'usager et ces interactions personnels dans le cadre des études microsociologiques. Autant on prend en considération aussi la réorganisation des contributions dans un contexte technique plus large, dans notre cas c'est le facebook, on analysant le rôle "des méso et des méta données" dans la détermination et le cadrage des interactions dans un cadre vaste défini par le macro niveau. Avec le choix des deux outils de recherche : l'entrevue semi-dirigée et l'observation visuelle qui vise à comprendre à travers l'observation des contributions en ligne, puis en deuxième étapes l'analyse du contenu thématique des échanges.

Cette recherche nous a permis de cerner les différents échanges portant sur l'identité culturelle dans les interactions des étudiants de l'université d'Alger3sur *Facebook* à travers le groupe« 1er.A.J.G.29 »et de mettre en lumière les types de contenu, les formes de participation, les préoccupations et les thématiques abordés sur *facebook* par les différents membres du groupe.Par ailleurs, elle nous a permisdedistinguer l'usage contributif ou l'appropriation de

cette application technique, et sa place chez ses usagers. Nous avons également exposé les motivations à publier un contenu ou à «aimer» une page/publication, reflète l'identité culturelle algérienne sur *Facebook* et les impacts perçus de l'usage de *Facebook*.

Notre observation visuelle nous a permis d'apparaître l'identité culturelle des étudiants à travers l'analyse des trois composants de l'identité virtuelle : l'identité déclarative, l'identité agissante, l'identité calculée et comment elles reflètent ensemble les déférents éléments de l'identité culturelle. Enfin, et dans le cadre de notre approche critique, nous avons analysé le rôle de macro contexte d'usage, dans notre cas le contexte de Facebook et comment il structure et cadre techniquement les interactions des étudiants.

Pour terminer, notre résumé en mentionnantl'impotence de l'approche critique dans la sociologie des usages, qui convient plus pour étudier les usagers des applications du New Media dans les espaces locaux avec leurs différents spécificités, et au même temps respecte l'aspect global d'usage, cela veut dire qu'elle prend en considération la mondialisation des nouveaux médias, et leur impact sur les identités et les contextes locaux, comme notre contexte consommateur algérien.

En terminant notre résumé et notre étude par une recommandation en faveur d'une approche alternative par laquelle en peut étudier les usagers des nouveaux médias et ses déférentes applications, c'est bien "**une approche critique dans la sociologie des usages".**

Abstract

Our study ,**"New Media and cultural identity as a critical approach about using Facebook site (university young students as a model)",** represents a critical approach searching for the relationship between the use of the social networking Facebook site and cultural identity in the Algerian context.

This research is one of the object of sociology of uses, which bases on the uses of information and communication technologies in the daily life of individuals, and it aims to control mediation interactions by applying social networking FACEBOOK which exists between students users of Algiers University 3, who represent a sample of population of our research –Algerian Youth- and the usage action concerning the group «1st AJG29» on Facebook by activating users for cultural identity or one of its components, focusing on the user's ability and creativity to publish and to be interactive to express the Algerian identity.

We have based in our study on the method of "critical approach in the sociology of uses, where we will apply the approach about the user and its personal interactions in the first phase of the micro-sociological studies. we will also use the regularity of these interactions in a technical context that what is called FACEBOOK by our analysis of the role of what is known as: méso and Meta data "in defining and framing interactions, and this concerns : macro level. According to what is above-analyzed, we demonstrated this result by using tow tools 'professional interview half-directed and the visual observation which aims to understanding through observing what is posted on the internet then analyzing the content of posting in the second stage analysis.

The current research has allowed to limit various exchanges about the Algerian cultural identity in the interactions of students of Algiers University 3 on Facebook by checking the group «1st A.J.G.29» where we highlighted the types and forms of the contents of participation and interaction on the line, the themes and concerns that are activated by members of this group.In addition, this study helped us to base on the creative usage or possession of this technical application and its place in the opinion of its users among students. Then we showed the catalysts behind the publication of the students of the contents or preference liking pages or all what is related to the cultural identity of publications within the group «1st .AJG29 » on Facebook, as well as the implications of the use of this group on Facebook.

We concentrated by visual observation on the cultural identity of the students by virtual identity and using analysis of three elements: announced identity, active identity, calculated identity and its effects on the elements of

cultural identity. Finally, concerning the critical approach, we have analyzed the role of total usage (Facebook) and its role in framing the interactions of students and structuring technically.

We terminate our summary by mentioning the importance of critical approach of sociology of uses and the possibility of its adaptability with the study of new media and applications users in local spaces. That what helps to study the local partial contexts of different specificities, and at the same time using the overall dimension of usage "globalization of the new media and its impact on the identities of strange and local contexts as our Algerian consumers context.

We finish our research summary with supporting the project of an alternative approach of studying new media users and its various applications **"critical approach to the sociology of usage".**

مقدمة:

أحدثت ثورة الانترنت قفزة نوعية في مجالي الإعلام والاتصال حيث سمحت بظهور ما يعرف بالإعلام الجديد أو New Media الذي يحوي مجموعة من الوسائل الإعلامية والاتصالية على غرار ما يعرف بـ:On ligne Media أي وسائل الإعلام التي تملك نسخة على الخط. وكذا نجد E-Mediaأي وسائل الإعلام الالكترونية فقط، وهناك أيضا CitizenMedia أو ما يصطلح عليه بصحافة المواطنة،les Blogues أو المدونات الالكترونية، كما نجد وسيلة أخرى تعتبر الأكثر شعبية والأكثر انتشارا خاصة في أوساط الشبابوهي ما يعرف بمواقع شبكات التواصل الاجتماعي،حيث أحدثت نقلة نوعية في البناء الاجتماعي والاتصالي، فأثرت على الفاعلين السياسيين، المواطنين، والصحفيين وغيرها من الشرائح المحددة للبعد البنائي في الهرم الاجتماعي، فأصبح يصنف الفايسبوك لوحده حسب ما صرح به مالكه Mark Zakerbirg أنه ثالث أكبر جمهورية في العالم بعد الصين والهند[1] حيث بلغ تعداد زواره ما يفوق المليار مشترك[2].

والجزائر ليست بمنآى عن هذه التحولات العالمية، فقد شهدت انتشارا معتبرا في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، حيث بلغ عدد المشتركين ما يربو عن خمسة ملايين مشترك.[3].

لقد رسخ هذا الاستخدام المتزايد أدوار وسائل الإعلامالجديدةثقافيا، في إطار توجه عالمي غير مسبوق يرميإلى العالمية في كل شيء. وعليه تكونت حركة ديناميكية انسحبت مظاهرها على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، وهي التي اصطلح على تسميتها بالعولمة، والتي في ظلها إلتقت الثقافة بتكنولوجياتالإعلام الجديد، التي دفعت بها إلى مشارف تحديات جديدة، فإذا كان الإعلام الجديد يساعد على نشر الأحداث

[1]شادي ناصيف، فضائح Facebook :أشهر موقع استخباراتي على شبكة الأنترنت، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، دمشق، 2009، ص45.
2www.socialbakers.com/facebook-statistique (consulter le 02/03/2014)
[3]www.socialbakers.com/facebook-statistique.algeria (consulter le 02/03/2014)

والوقائع،وكذا الثقافة والقيم الإنسانية لجميع البشروتنمية الآفاق الثقافية، فإن هذا التطور يحمل في وجهة نظر الآخر ما أثار قلق ثقافات عريقة، ذلك أن تقنيات الإعلام الجديد ووسائله تعكس خللا واضحا، فالدول المتقدمة والشركات والتكتلات الإعلامية الكبرى التي امتد أثرها إلى شبكات الانترنت« Microsoft, Yahoo, Google… » هي التي تحتكر امتلاك التكنولوجيا ومحركات البحث الضخمة، وهذا ما ينعكس على توجه المستخدم الذي كثيرا ما نحتفي بنشاطه وحريته، حيث أن هذا النشاط مؤطر بإطار رمزي قديطمس ملامح تميزه الهوياتي في ظل العولمة الإعلامية والثقافية المتزايدة، لتطرح بشدة قضية الهويات الثقافية وخصوصياتها القيمية، والعقائدية الدينية، واللغوية.

في البداية فكرنا في أننبني عملنا حول الإعلام الجديد لدى الشباب في الجزائر ولكن سرعان ما أدركنا أنه لا يمكن تحديد الحدود الجزائرية للإعلام الجديد. مادامت التفاعلات بين المستويين المحلي والعالمي منتشرة في كل مكان. ففي حالتنا هذه ندرس مساحة تتجاوز الحدود الإقليمية، وهذا ما جعلنا ندرك أن دراسة الإعلام الجديد في الجزائر محدودة جدا ومنه بدأنا في توسيع عملنا إلى الإعلام الجديدعند الشباب الجزائري، أو "الشباب الجزائري والإعلام الجديد".

ولأجل صقل عملنا مفاهيميا ومنهجياخترنا مقاربة سوسسيولوجيا الاستخدامات كما سنرى لاحقا. وعليه سنستند إلى هذه الخلفية مرجعيا لتحديد مفهوم "الإعلام الجديد" ومفهوم "الهوية" في أطروحتنا، ونتبنى في هذا المقام موقف « Rémy Rieffel » الذي يقترح معنى واسع لوسائل الإعلام:" كل التقنيات والدعائم، التي تسمح للأفراد بالتواصل فيما بنيهم . وتبادل الرسائل والمحتويات المتنوعة[1]"

وهو تعريف واسع يسمح باحتواء تباين الإعلام الجديد، كما سنشير في عملنا هذا إلىدور البعد السياسي والثقافي والرمزي للإعلام الجديد، بالإضافة إلى قيامنا بافتراض أن

[1]Rieffel Rémy, *Sociologie des médias*, Ellipses, 2ème édition, Paris, 2005, p. 4-5.

تصور أهدافنا البحثية مر بقرائتنا للجدل المفاهيمي الدائر حول الاتصال الجماهيري، ونشير هنا إلى التعريف الذي قدمهWolton Dominique " إن وجود أي وسيلة إعلامية يشير دائما إلى وجود مجتمع، كما يشير إلى رؤية تفصح عن وجود علاقات بين المستويين الفردي والجماعي، وإلى بعض التمثلات الجماهيرية[1]". وعليه فإن وسائل الإعلام تمثل وسائل لبث المعلومات لعدد كبير من الأفراد، دون إمكانية تخصيص الرسالة لفرد بعينه، حيث كان ينظرلهذه الرسائل علىأنها: "وكلاء" يؤثرون على بناء الآراء والهويات الفردية و"الحيز المكاني" الذي يلعب دورا في تحديد الهوية الجماعية، كما يلعب دورا محوريا في صقل اللحمة الوطنية، وهذا ما وجه المهنيين والأكاديميين في العالم الثالث عامة والجزائر خاصة خلال ما يقارب ثلاث عقود من الزمن وهم يبحثون دور الإعلامفي التنمية في مختلف المجالات ومنها الميدان الثقافي في شقه المتعلق بالهوية– موضوع الهوية في تناولاته الإعلامية والأكاديمية،حيث بني على استراتيجيات تجيب على أجندات سياسية محددة تتجاوز الوقوف عند محاولة فهم وتفسير مخلف عناصر ومكونات الهوية الثقافية الجزائرية، وهو ما كرس في رأينا فهما خاطئا لمفهوم الهوية الثقافية–، فهذه الزاوية التحليلية تسمح لنا بدراسة كيف أن الإعلام الجديد يسمح بإعادة بناء الهوية مقارنة مع وسائل الإعلام القديمة (الصحف، الراديو، والتلفزيون)،وهذا ما خلصت إليه نتائج بعض الدراسات على غرار سلسلة دراسات الدكتور علي أحمد الطراح، ودراسة الباحثRaynaudJoy2011[2]،– كما تسمح بتقييم دور الإعلام الجديد على أنه نوع من الممارسة الإعلامية والاتصالية لدى الجزائريين في المشهد الإعلامي الحالي ودوره في الفضاء العام كل هذه الانشغالات تصاحب إشكاليتنا الرئيسية، والمتمركزة حول العلاقة بين الإعلام الجديد والهوية.

إن مفهوم الهوية يعد مفهوما تأسيسيا في دراستنا، وسنشير في المقام الأول إلى مستويين من الهوية: الهوية الفردية والهوية الثقافية بالنسبة لـ "Wolton Dominique" *"الهوية*

[1]Wolton Dominique, *L'autre mondialisation*, Flammarion, Paris, 2003, p. 59.

[2]يمكن الرجوع إلى تفاصيل نتائج الدراستين في إطار عنصر الدراسات السابقة.

الثقافية هي ما يجمع الأفراد في مجتمع ما رغم عدم مساواتهم الاجتماعية، وتظهر من خلال اشتراكهم في اللغة والتاريخ والرموز والقيم التي تمنحهم الشعور بالرغبة في الدفاع عن مجتمعهم، وفي التاريخ المعاصر الهوية الثقافية تشير في غالب الأحيان إلى الهوية الوطنية..."[1] أما الهوية الفردية فينظر إليها اليوم على أنها نتاج لمجموع البناءات والاستراتيجيات الطويلة، التي تتشكل بطول حياة الفرد، فالهوية الفردية شخصية أي ذاتية وتشير إلى تفرد الإنسان بشخصيته، وتشتمل على عدة مفاهيم كالوعي الذاتي والتمثل النفسي.

ويرى Jean Paul Codol أن *"الهوية الفردية في الواقع ليست إلا إدراكا معرفيا للذات"*[2]، وبناء على هذه التعاريف إرتئينا أننعمل على فهم جدلية الهوية والإعلام الجديد من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات، والتي تظهر لنا على أنها حقل بحثي نستطيع من خلاله تصميم أسئلتنا بغية بناء إطار مفاهيمي يرمي إلى نحت إشكالية تبحث العلاقة بين استخدام موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك والهوية الثقافية في السياق الجزائري.

ولأجل إتمام هذه الدراسة انتهجنا الخطة التالية:

مدخل منهجي يمكننا من الإحاطة بمشكلة الهوية الثقافية والإعلام الجديد،بناء على مقاربة نقدية لسوسيولوجيا الاستخدامات، أما الفصول الثلاثة الأولىفتحيلنا إلىإطارنا المفاهيمي والنظري، في حين نجد الفصلين الأخيرينيتعلقانبالشق التطبيقي للدراسة، لتخلُص الدراسة إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات.

[1]Wolton Dominique, *Internet et après ? Une théorie critique des nouveaux médias*, Flammarion, Paris, 2000, p. 22.
[2]Codol Jean Paul, *Une approche cognitive du sentiment d'identité*, Sage, Londres, 1981, p. 111.

الإشكالية

تعتبر مسألة الهوية في علاقتها بالإعلام والاتصال مسألة مركزية في الخطاب الثقافي، حيث جدد الإعلام الجديد بأنواعه المختلفة ومنها شبكات التواصل الاجتماعي التفكير في مسائل الهوية الثقافية والعولمة، فيصورها هذا الخطاب على أنها وسائل اغتراب ثقافي وتدمير للهوية.

وفي المقابل نجد أن مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي فاعلون ويبادرون بفتح حساباتهم الخاصة على المواقع ويبادرون بنشر مضامين عديدة، ويعلقون على ما يكتبه الآخرون، وينظمون إلى جماعات ويناصرون ويعارضون، ومن خلال هته الأفعال البسيطة والرمزية فان المستخدم يعبر عن هويته وينتجها في الوقت ذاته، ولكن في إطار ما يتيحه الموقع .

تطرح قضية الهوية الثقافية نفسها بكل ما تحمله من عناصر ومكونات وتعقيدات في هذه الدراسة، حيث طرح الإعلام الجديد عموما ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي خصوصا إشكالا باعتبارها أحد أكبر أدوات العولمة الإعلامية والثقافية. وفي نفس الوقت منحت هذه الأخيرة للمستخدم مساحة كبيرة من الحرية من خلال تطبيقاتها المختلفة، فأحدثت بذلك ارتباكا في المواقف المتعلقة بأثرها في جانبيه الايجابي والسلبي على الهوية الثقافية بعناصرها المختلفة كالانتماء والدين واللغة ومنظومة القيم والعادات التي تشكل أهم عناصرها.

لا يمكن لنا أن ننكر أن لظهور أي مبتكر في مجتمع ما إلا وكان له أثر في حياة الأفراد، ومن بين ما يمكن أن تؤثر فيه شبكات التواصل الاجتماعي هو الهويات الثقافية. فالهوية هي نتيجة لمسار خطابي من خلاله نتوصل إلى بناء وحدة تدل على "ذات" أو على

جماعة انتماء حسب Poirier[1]، فالهوية إذن غير سابقة للفعل الاتصالي، بل بالعكس فهي تتشكل بفضله حسب Hall[2]، فكل هوية تبرز نتيجة سيرورة سردية معقدة لعدة خطابات وتمثلات.

حضي مدخل الهوية الثقافية باهتمام العديد من الدراسات،على غرار دراسة Stuart Hall 1996،1999 Barkar، Serge Proulx 2002 ، Thornhain et Purvis 2005،Poirier2004 ، Raynaud Joy 2011، Stéfany Boisvert 2012، حيث ركزت أغلب هذه الدراسات على الهوية الثقافية في علاقتها مع وسائل الإعلام الجماهيرية (التلفزيون أساسا) ووسائل الإعلام الجديدة بمختلف أنواعها، والتي تمحورت إشكالياتها أساسا على مقاربة نقطتين أساسيتين:

- ✓ قياس المشاهدة والاستخدام من حيث:**الحجم**Nie and Erbring 2000، **التجربة**، أي طبيعة العلاقة التي ينسجها الفرد المستخدم مع الوسيلة كما يصفها Eric Maigret[3].
- ✓ بناء أو تشكل الهوية الثقافية construction identitaireالذي يتجلى في مسار الاستخدام Reynaud Joy 2011

إذن معظم الدراسات انطلقت من طبيعة الاستخدام لتصل إلى أثره على الهوية الثقافية، وهي النقطة التي يلتقي فيها بحثنا مع هذه الدراسات، فسنحاول جعل دراستنا امتدادا لها من خلال مقاربة ثنائية الهوية الثقافية وشبكات التواصل الاجتماعي في السياق الجزائري. فلجأنا في البداية إلى رصد تطور دراسات الانترنت والإعلام الجديد في الجزائر، والتي نوقشت في معظمها من منظور الاستخدامات والاشباعات أو الفجوة الرقمية منتهجة الوصف الممجد لسحر التقنية، أو مركزة على وصف وإحصاء البنى التحتية مما يجعلها في كثير من الأحيان تحليلات كمية تفتقر لأسس نظرية مشروعةلنخلص إلى حقيقة صعبة، وهي صعوبة

[1]Poirier.C, le cinema Quebecois: à la recherche d'une identité?Tome1: l'imaginaire filmique, Sainte-Foy, QC: Presses de l'université du Québec, 2004.
[2]Hall.S, introduction : who needs identity ? dans S.Hall and P. Dugay, questions of cultutal identity, Sage publication, Londres, Angleterre ,1996, p1-17.
[3] Eric Maigret, *les publics : sociologies de la réception et cultural studies, communication et medias*, paris, la documentation française, 2003.

إيجاد إيطار مفاهيمي يقترب من سياقنا الخاص يسمح لنا بولوج حقلنا، حقل علوم الإعلام والاتصال، ووضعنا لجدلية الإعلام الجديد والهوية محل مناقشة ودراسة معمقة.

أما على المستوى الجزئي للاستخدام، تظهر سوسيولوجيا الاستخدامات كحقل متخصص أساسي، حيث أن هذا التيار يظهر على أنه مناسب لتحليل البعد التواصلي لـ:"التنشئة الاجتماعية الالكترونية " أو الاتصال الوسائطي عن طريق الحاسوب" و لكن هي الأخرى لا ترقى لفهم البعد الرمزي والسياسي للشبكات العنكبوتية، إذ أن تركيزمقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات على Micro niveauأو المستوى الجزئي للمستخدمين يجعلها تغفل متغيرا مهما يتعلق بـ Macro niveau ألا وهو السياق العام للاستخدام وهذا ما أشارت إليه الباحثالفرنسي المتميز Fabien Granjon عند مناداته بمقاربة سوسيولوجية نقدية تأخذ بعين الاعتبار عنصر السياق أثناء سيرورة الاستخدام.[1]

وعليه ولأجل فهم موضوع الهويةوتفعيلها من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، **أدركنا أننا بحاجة لبناء إطار منهجي خاص بنا لدراسةإشكالية الهوية في علاقتهاباستخدام موقع التواصل الاجتماع فايسبوك، وهذا من خلال مراعاة المستويين الجزئي والكلي للسيوسيوجيا،** حيثسنحاول بناء مقاربة نقديةفي سوسيولوجيا الاستخداماتتركز من خلالهاأساسا على المستوى الجزئي Microniveau للمسخدمين، وكُرس هذا أساسا من خلال تبنينا لمقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات، ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار منطق الهيمنة الممتدة على شبكات الواب العالمية، والمنعكسة على المستخدمين، أي مراعاتنا لسياق الاستخدام الكلي Macroniveauوهو ما أشار إليه Serge Broulx في أبحاثه من خلال دعوته إلى عدم الفصل التعسفي بين Macro و Micro أي مراعاة البعد السوسيوثقافي من خلال مراعاة ما هو خاص بالفرد وسياقه أثناء الاستخدام[2].

1Fabien Granjon, *De quelques éléments programmatiques pour une sociologie critique des usages sociaux des TIC,*Intervention au sein de la journée d'étude organisée par le LARES-Université de Rennes 2, sous la directonde Smaïl Hadj-Ali : les rapports société-technique du point de vue des sciences de l'homme et de la société, mai 2004.

[2]أنظر:

ولأجل تحقيق إشكاليتنا البحثية المتعلقة بمقاربة ثنائية الإعلام الجديد والهويةالثقافية لدى الشباب الجزائري،ارتأيناحصرها بشكل أدق فوقع اختيارنا على الشباب الجامعي (طلبة جامعة الجزائر3) من دون عامة الشباب الجزائري لأسباب عديدة سنحصرها لاحقا أثناء عرضنا للإجراءات المنهجية المختلفة للبحث، لنصل إلىصياغةالمتغيرينالرئيسيين –الإعلام الجديد والهوية الثقافية– في السؤال الجوهري التالي:

كيف يستخدم طلبة جامعة الجزائر3 الفايسبوك للتعبير عن هويتهم الثقافية، في سياق الاستخدامات المتملكة من جهة، وكيف يساهم الفايسبوك من جهة أخرى في تأطير تفاعلاتهم؟

إن مثل هذه الإشكالية يحتاج إلى تفكيك وعليه ارتأينا مقاربة المؤشرات التالية التي تشكل محاور دراستنا، حيث أن إعادة بنائنا يشكل متغيرات الإشكالية الرئيسة ويساعد على تفسيرها وتحليلها،

سنتعرف أولا عن كيف يستخدم الشباب الجزائري موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك، وفي خطوة ثانية سندعم معرفتنا هذه والمتعلقة لمجتمع بحثنا بخلفية نظرية حيث تبنينا في هذا المقام مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات برؤية نقدية، والتي تركز في طرحها على الطبيعة النشطة للمستخدم. وهو ما ذهبت إليه Josiane Jouetفي حديثها عن قدرات المستخدم واحتياله على المنطق التقني، حيث أن التملك له نهاية تحرر شخصية من الحتمية التقنية من خلال تحقيق إنتاج محترف، يوصل المستخدم في النهاية إلى تحقيق ألفة[1]، حيث أن أساليب هذا الاستخدام الفردي تشكل أبعاد متميزة للهوية الثقافية الفردية، المتمردة على الاستعمال النمطي المعولم.

-PROULX Serge, Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles tendances, in Lise Vieira et Nathalie Pinède, éds, *Enjeux et usages des TIC aspects sociaux et culturels*, Tome 1, Presses universitaires de Bordeaux,, 2005, p. 7-20.

[1] Josiane jouët, « L'écran apprivoisé : télématique et informatique à domicile », Réseaux, paris, CENT, 1987

بالإضافة إلى أن التوزيع الواسع للأجهزة التقنية لا يؤدي إلى توحيد الممارسات، خاصة في ظل اختلاف المتغيرات الاجتماعية اقتصاديه والمستويات التعليمية، الجنس، السن...إلخ) علاوة على المهارات والتمايزات الشخصية في الأداء. وعليه ما دام الملاك مختلفون فالاستخدامات مختلفة وهذا ما أكدته الأعمال والأبحاث المتعلقة بممارسات الذكور والإناث أثناء استخدامهم للأجهزة الاتصالية التي برهنت بوضوح على اختلاف التملكات Des approriations différents[1]، ومنه اختلاف التمثلات والبناءات الذاتية والهوياتية، حيث أن هذا التوجه يعزز البعد السوسيولوجي لدينا، ويجعلنا نسجل وبقوة دراستنا الإعلامية في حقل السوسيولوجيا.

بالإضافة إلى أن اجتماع فلسفة ما بعد الحداثة والدراسات المهتمة بالمدخل الثقافي للهوية ترافق وتفكك مفهوم الهوية الوطنية من خلال التأكيد على الطابع الحركي للهويات[2]، والطبيعة المتسمة بإعادة التشكل الدائم في بيئة إعلامية رمزية معولمة؛ لذا سنراعي في تحليلاتنا السياق العالمي العام وإظهار أن موقع التواصل الاجتماعيفايسبوك شجع تكامل مستخدمي الانترنت الجزائريين في "نظام غربي رمزي "système symbolique occidental مشبع بثقافة غريبة عنا من خلال إيضاح الدور التقني الذي يمكن أن يلعبه في تأطير وهيكلة التفاعلات بطريقة غير مباشرة .

[1] David Morley, family television, cultural power and domestic leisure, London, Comedia, 1986

[2] ستيوارت هال، ترجمة بول طبر، حول الهوية الثقافية، مجلة إضافات، العدد الثاني، ربيع 2008، ص 137-174.

تساؤلات الدراسة:

2-ما هي الاستخداماتالعامة للفايسبوك لدى طلبة جامعة الجزائر3؟

3-كيف يتملك طلبة جامعة الجزائر3 الفايسبوك للتعبير عن هويتهم الثقافية؟

4-كيف تتجلى الهوية الثقافية لطلبة جامعة الجزائر3 من خلال هويتهم الافتراضية؟

5-كيف يؤطر الفايسبوك تقنيا تفاعلات هؤلاء الطلبة؟

الأهداف البحثية:

- رصد وتحليل الاستخدامات العامةلشبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك لدى الشباب الجامعي، الفترات المفضلة للاستخدام ومتوسط الحجم اليومي(الكثافة)، أيضا تحديد المواضيع والاهتمامات والخدمات المفضلة عبر هذهالشبكةلدى العينة المبحوثة.
- كما نهدف من خلال هذه الدراسة تقصي كيفية تملك الطلبة لموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك من خلال استخدامهم المبدع للتعبير عن عناصر هويتهم الثقافية أو بعضهامتمردين على الاستعمال النمطي المعولم، ومعرفة آرائهم نحو ذلك أي مدى إدراكهم لذلك.
- نبحث من خلال هذا الهدفكيفية تجلي هوية طلبة جامعة الجزائر3 الثقافية من خلال هويتهم الافتراضية وذلك عن طريق ملاحظة مكونات الهوية الافتراضية الثلاثة ومدى عكسها مجتمعة لعناصر الهوية الثقافية أو بعضها.
- نهدف أخيرا إلى تبيان الدور الذي يلعبه الفايسبوك كتطبيق تقني في هيكلة وتأطيرتفاعلات الطلبة عن طريق ملاحظتنا لدور les Mésodonnées و les Métadonnée

المقاربة المنهجية وأدواتها:

تعد مرحلة الحسم في الخيار المنهجي من أصعب المراحل التي يمر بها الباحث، لأن هذا الأخير يكون مرغما على الفصل في خيار منهجي يمكنه من مقاربة إشكاليته بصورة شافية، مع العلم أن أي مقاربة منهجية لا يمكن أن تنشأ من فراغ نظري، وهو ما ذهب إليه Cicourel.A[1]"إن كل خيار أو حسم في مجال الأبحاث الاجتماعية يجب أن يكون له مقابل نظريا ومفاهيميا"، وقد تم الحسم في هذه الدراسة لصالح: "**مقاربة نقدية في سوسيولوجييا الاستخدامات**".

إن اختيارنا هذا لم يأتي اعتباطا، بل جاء لمحاولة الإجابة عن انشغال الهوية الثقافية والإعلام الجديد، فطبيعة موضوعنا فرضت علينا هذه المقاربة التي تحاول أن توفق بين متطلبات Micro و Macro، حيث يرى Serge Proulx أنها تشكل رهانا بالنسبة للباحثين في سوسيولوجيا الاستخدامات

"إن التحدي الكبير بالنسبة للباحثين يسمح بتطوير استراتيجيات نظرية ومنهجية جريئة لأجل التفكير جميعا في دفاتر الميكرو والماكرو سوسيولوجي"

ونعتقد أن هذا الخيار هو الأقرب لموضوعنا، فسنقارب موضوع الهوية وتفعيلها من خلال استخدام موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك المبني على قدرة المستخدم وتميز هويته بشكل خاص، ولكن نعتقد أن هذا التحليل يعتبر ضيقا ولا يأخذ بعين الاعتبار السياق العام للاستخدام، وهذا يعتبر من أهم الانتقادات التي وجهت لسوسيولوجيا الاستخدامات، حيث يرى Serge Proulx[2]أن *"رسوا الاستخدامات يتم ضمن جملة من البناءات الكلية"*.

1Cicourel.A, *method and measurement in sociology*, New York, free press, 1964, p01.

[2]Serge Proulx, *Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles – tendances*, op cit.

لذا تبنينا مقاربة نقدية لأننا سنحاول أن نأخذ بعين الاعتبار السياق السوسيوسياسي العام لاستخدام الشباب للفايسبوك، كما نجد الباحث الفرنسي المتميز Granjon Fabienيؤكد على هذه المقاربة حيث يلخص رأيه قائلا[1]:

" إن الفاعلين يتواجدون في قلب جدلية بين التبادلات الكلية الفعالة مثل المحددات الاجتماعية للاستخدامات، وفي نفس الوقت فهي متعلقة بممارسات حية لهؤلاء الفاعلين"

أدوات الدراسة:

أداتين مهمتين هما: الملاحظة المرئية، والمقابلة.

I. الملاحظة

إن اتخاذ الفايسبوك ميدان بحث نقارب فيه إشكاليتنا طرح لنا بعض المشاكل خاصة منها المتعلقة بالحسم في أداة أو أدوات جمع المعطيات، لأن الميدان يعد افتراضيا ومتغيرا، ضف إلى ذلك قلة الأبحاث الدارسة لسوسيولوجية الفايسبوك مقارنة مع العالم الواقعي خاصة في سياقنا الجزائري.

وبعد تفكير طويل تم الحسم في هذه الجزئية لصالح ما يعرف بالملاحظة المرئية على الانترنت L'observation visuelle، ويعرفها Diane Diazبأنها: "*سيرورة تهدف إلى سحب مجموعة من الظواهر المعروفة من ميدان معين لأجل استخراج نموذج تفسيري*"[2]

ونقصد بها ملاحظتنا المرئية لصفحات الواب التي سنقوم بدراستها، أي الصفحات الشخصية les profils لأعضاء المجموعة، حيث ستمكننا هذه الملاحظة في بعض الأحيان

[1] Granjon Fabien. « De quelques éléments programmatiques pour une sociologie critique des usages sociaux des TIC », op cit
2Diane Diaz, En quête d'un outil numérique destiné à l'observation, l'article est disponile on : http://www.adjectif.net/spip/spip.php?article274, (Consulté le févier 2015).

من التوقف عند بعض الصفحات والصور لتسهيل تحليلها واستنطاقها، حيث تمثل هذه الصور وفقا للباحثين Freeman Melissa & Mathison Sandra[1]: *"يمكن للصور مثل أي نوع من المعطيات أن تستعمل للتفسير، التساؤل، الانتقاد، التنظير، الخداع الكذب، الرواية، الشرح، التعليم، التمثل"*

وتعتبر الملاحظة المرئية وسيلة أساسية فيالعمل الميداني، وكثيرا ما يعول عليها الباحث في اختبار البيانات التي يستخلصها بواسطة بعضالتقنيات، كما لا يفوتنا أن نشير أن ملاحظتنا كانت أحيانا بالمشاركة من خلال نشرنا لبعض الوثائق أو الدخول في محادثات مع الطلبة...كما كانت غير مباشرة في أحيان أخرى من خلال اقتطافنا لبعض الصفحات وتحليلها؛ وسنشير إلى كيفية توظيفنا لأداة الملاحظة عمليا بالتفصيل في الجزء التطبيقي.

[1]Freeman Melissa & MATHISON Sandra.*Researching Children's Experiences*. New York : Guilford Publications, 2008, 196 p.

II. المقابلة

إذاماتمتعريفعلماالاجتماعبأنهعلىالمقابلة علىحدماأكده Hughes، والتي تُعنى وتتلاءم (المقابلة)معكلالدراساتالتيتتناول بالدراسةمايحدثفيالمجتمع[1]، فإن أداة المقابلة التي سنوظفها تتلائم وبحثنا على اعتبار أنه يقارب فئة اجتماعية محددة تتمثل في فئة الشباب.

كما أضافHughesبأنهفي إطارالمقابلةفإنالشخصالمبحوثتكونلهسهولة استثنائيةفيالتعبير ،لذلكفإنالمقابلةتكونمحلتوافقبينالباحثالمبحوث،حيث تتركالحريةللمبحوثللتعبيرمعتدخلثانويللباحثمنأجلتسييرالمقابلة[2]وهو ماسنحاول تحقيقهفيمقابلاتناالمختلفة، والتيستسمحلنابتسجيل وعن كثب طبيعة إدراكات الشباب اتجاه عناصرهويتهم الثقافية أو بعضها، وكذا تمثلاتهم لموقع التواصل الاجتماعي الفايسبوك، محاولة منا تعميق تفسيراتنا وتحليلاتنا.

إنالمقابلة العلميةكوضعيةليستسهلةعلى الباحث،حيث تتطلب قدرا كبيرا من المهارة في حسن التسيير والاتصال، لذا سنتوجهإلىاختيارالمقابلةالنصف موجهة، والتيتعتبرمنأصعبالأنواععلىالمستوىالعملي والإجرائيعلىحدماأكدته الباحثة Madeleine Grawitz[3]، لكنها ستفتح الباب للمستخدمين أنفسهم في التعبير عن طبيعة إدراكهم لبنائاتهم الهوياتية في علاقتها باستخدامات الميديا الجديدة.

[1]Hughes E.C: L'oeil sociologique, Paris, EHESS, 1996 P285.
[2]Ibid 285.
[3]Madeleine Grwitz, Méthodes des sciences sociales » éditionsDalloz, 9 éme éditions, PARIS : 1993. P573.

عينة البحث:

إن العينة هي كمية عددية من صحف أو برامج أو بشر، تتخذ نموذجا للفحص أو البحث بطريقة علمية، بحيث يمكن تعميم النتائج على كل ما تنطبق عليه العينة موضوع البحث.وهي عبارة عن عدد محدد من المفردات التي سوف يتعامل معها الباحث منهجيا، ويسجل من خلال هذا التعامل البياناتالأولية المطلوبة. ويشترط في هذا العدد، أن يكون ممثلا لمجتمع البحث، في الخصائص والسمات التي يوصف من خلالها هذا المجتمع، أي لابد من توافر الشمول والكمال والكفاية في العينة، لأن أي غياب من أحدهم سيؤدي بالضرورة إلى ظهور أخطاء تؤثر في اختيار العينة، وصدق تمثيلها للمجتمع الأصلي[1].

وكما ذكرنا سابقا فإننا استهدفنا بدراستنا هذه الشباب الجامعي، لذلك تم إدراج شرطين أساسيين يحددان دخول المفردات في العينة من عدمه وهما: أن تكون المفردة –الفرد المستخدم– من فئة الشباب، وكذا مسجلا كطالب في الجامعة الجزائرية، وقد لجأنا إلى طريقة التعيين لأنها الأنسب لظروف البحث الصعبة وشساعة مجتمع البحث.

وسيتم اختيارنا لعينة من طلبة جامعة الجزائر3، كلية الإعلام والاتصال؛ أولا لأن الطلبة ينتمون إلى فئة الشباب، والتي تعد الأكثر استخداما لتكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة، وهذا ما تؤكده الإحصائيات باستمرار.

وتعرف العينة عدة تقسيمات وتصنيفات حسب طبيعة مجتمع البحث ومفرداته، وعليه طبقنا في بحثنا العينة القصدية التي تناسب طبيعة البحث ومجتمع الدراسة، فاخترنا 20طالب وطالبة ينتمون إلى الفوج 29[2] بطريقة قصديه يستخدمون موقع الفايسبوك،

---

[1]إبراهيم عبد الله المسلمي، البحث في الدراسات الاجتماعية، القاهرة، دار الفكر العربي. 2007، ص 123 .

[2]فوج 29 سنة أولى عوم إعلام واتصال بجامعة الجزائر3 ، قاموا بإنشاء مجموعة على الفايسبوك سموها groupe 29 première année journalisme، اشتركت الباحة معهم في عضوية الفوج أين قامت بملاحظتهم، وللإشارة تشرف الأستاذة على تدريسهم واقيا في الجامعة.

وسنفصل لاحقا في القسم التطبيقي في أسباب اختيار هذه العينة وطريقة التوصل إليها وإلى مختلف مفرداتها.

ضبط المفاهيم:

الهوية الثقافية:

يعرفها **محمد عابد الجابري**[1] بأنها كيان يسير، يتطور، وليست معطى جاهزا ونهائيا. هي تسير وتتطور، إما في اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما.

وعلى العموم، تتحرك الهوية الثقافية على ثلاثة دوائر متداخلة ذات مركز واحد:

– فالفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة مدنية (حزبا أو نقابة الخ...)، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة. عبارة عن "أنا"، لها "آخر" داخل الجماعة نفسها: "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من "الآخر".

– والجماعات، داخل الأمة، هي كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها "أنا" خاصة بها و"آخر" من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست إياه.

– والشيء نفسه يقال بالنسبة للأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى. غير أنها أكثر تجريدا، وأوسع نطاقا، وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف.

أما "Wolton Dominique"فيقول عن الهوية ، "الهوية الثقافية هي ما يجمع الأفراد في مجتمع ما رغم عدم مساواتهم الاجتماعية، وتظهر من خلال اشتراكهم في اللغة والتاريخ

[1] سامية عزيز، وعمر حمداوي، دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية (عدد خاص حول الملتقى الدولي الأول المتعلق بالهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري) ، ص ص 707–722.

والرموز والقيم التي تمنحهم الشعور بالرغبة في الدفاع عن مجتمعهم، وفي التاريخ المعاصر الهوية الجماعية تشير في غالب الأحيان إلى الهوية الوطنية..."

وعليه يشير مفهوم الهوية الثقافية في دراستنا إلى تلك السمات المشتركة التي يتوحد في إطارها الأشخاص الجزائريون والتي تتجاوز التنوعات الثقافية المحلية لكل منطقة، المنصهرة في منظومة متماسكة من السمات المشتركة الكبرى بين أعضائها، والتي تميز الهوية الثقافية الجزائرية وخصوصيتها والمتمثلة في:

أ. اللغة العربية: والتي تمثل اللغة الرسمية للجزائريين.

ب. اللغة الأمازيغية: والتي تمثل اللغة الوطنية والرسمية[1] للجزائريين.

ب. الدين الإسلامي: والذي يمثل الشريعة التي نظمت المجتمع الجزائري منذ الفتوحات الإسلامية.

ج. التراث الجزائري: والذي يمثل التاريخ الجزائري المشترك والقيم والمعايير والعادات والتقاليد.

مواقع شبكات التواصل الاجتماعي:

يعرفها محمد عواد بأنها: "تركيبة اجتماعية إلكترونية تتم صناعتها من أفراد أو جماعات أو مؤسسات، وتتم تسمية الجزء التكويني الأساسي مثل الفرد الواحد باسم العقدة – Node، بحيث يتم إيصال هذه العقد بأنواع مختلفة من العلاقات كتشجيع فريق معين أو الانتماء لشركة ما أو حمل جنسية لبلد ما في هذا العالم. وقد تصل هذه العلاقاتلدرجات أكثر عمقاً كطبيعة الوضع الإجتماعي أو المعتقدات أو الطبقة التي ينتمي إليها الشخص"[2].

[1]وفقا للتعديل الدستوري المنتظر صدوره في 2016.

[2]عواد محمد، شبكات التواصل الاجتماعي الإلكتروني، موقع تأملات،في 10 أكتوبر 2010.، متوفر على:http://www.taamolat.com/2010/10/

وتعرفها هبة محمد خليفة بالقول: "الشبكات الاجتماعية هي شبكة مواقع فعالة جداً في تسهيل الحياة الاجتماعية بين مجموعة من المعارف والأصدقاء، كما تمكن الأصدقاء القدامى من الاتصال بعضهم البعض وبعد طول سنوات، وتمكنهم أيضاً من التواصل المرئي والصوتي وتبادل الصور وغيرها من الإمكانات التي توطد العلاقة الاجتماعية بينهم".[1]

ونعرفها إجرائياً بأنها: "شبكات اجتماعية تفاعلية تتيح التواصل لمستخدميها في أي وقت يشاءون وفي أي مكان من العالم، ظهرت على شبكة الأنترنت منذ سنوات قليلة وغيرت في مفهوم التواصل والتقارب بين الشعوب، واكتسبت أسمها الاجتماعي كونها تعزز العلاقات بين بني البشر، وتعدت في الآونة الأخيرة وظيفتها الاجتماعية لتصبح وسيلة تعبيرية واحتجاجية، وأبرز شبكات التواصل الاجتماعي هي (الفيسبوك، تويتر، واليوتيوب،) وأشهرها هي شبكة الفيسبوك، بلغ عدد المشتركين فيها أكثر من مليار شخص من كافة أنحاء العالم".

الفايسبوك

يعرف"قاموس وسائلالإعلاموالاتصال Dictionary Of Media And communicationالفايسبوكعلىأنهموقعخاصبالتواصلالاجتماعيأسسعام 2004 ويتيحنشرالصفحاتالخاصةprofilesوقدوضعفيالبدايةلخدمةطلابالجامعةوهيئةالتدريسوالموظفين،لكنهاتسعليشملكلالأشخاص"

ونعرفه إجرائياً بأنه: "موقع تواصل اجتماعيتفاعلي يتيح التواصل لمستعمليه عامة وفي حالتنا طلبة جامعة الجزائر3. في أي وقت يشاءون وفي أي مكان يتاح فيه الاتصال بالانترنت، ظهر على شبكة الأنترنت منذ سنة 2004وتعدتوظيفته الاجتماعية لتصبح وسيلة

[1]- خليفةهبة محمد، مواقع الشبكات الاجتماعية، ما هي؟ منتديات اليسار للمكتبات وتقنية المعلومات،في 19 جانفي2011. متوفر على http://www.alyaseer.net/vb/showthread.php?t=

تعبيرية واحتجاجية غير رسمية، كما امتدت إليه المواقع الرسمية والحكومية من خلال إنشائها لصفحات خاصة عليه. يمثل في دراستنا وسيطا يتمفصل بين استخدامات الطلبة وتجلي و/أو تبلور هويتهم الثقافية عليه.

الشباب:

تجدر الإشارة أولا إلى أن معظم الأدبيات حول الشباب تشير إلى غياب الاتفاق بخصوص تحديد مرحلة الشباب، علاوة على هذا فان تحديد من هو طفل ومن هو شاب يختلف باختلاف المجتمعات والثقافات[1].

ويشير أحد الباحثين إلى أن الأمم المتحدة ولأغراض إحصائية تحدد من هم بين عمري 15و 24 سنة بأنهم شباب دون الإخلال بتحديد الدول الأعضاء لهم[2]

وفي رأي باحثين آخرين فإن مرحلة الشباب تبدأ بعد سن البلوغ، برغم عدم وجود سن محدد يتم فيه البلوغ الجنسي. وعليه فهناك من يحدد بدايتها بسن الثالثة عشرة وحتى سن الحادية والعشرين، وثمة من يبدءون بها عند الخامسة عشرة ويصلون بنهايتها عند الثلاثين؛ كما يرى آخرون أنها تغطي الفترة من سن السابعة عشرة حتى السابعة والعشرين.[3]

ويرى (عبد الله بوجلال) أن مرحلة الشباب تمتد من الخامسة عشرة إلى السادسة والعشرين، إلا أنه وعند الضرورة الإجرائية يمكن أن تقسم هذه المرحلة إلى مراحل متدرجة. كالتقسيم الذي ورد في دراسته على النحوالتالي: مرحلة الشباب الأولى وتقع بين 15-18 سنة، ومرحلة الشباب الثانية وتقع بين 19-22 سنة، ومرحلة الشباب الثالثة وتقع بين 23-26 سنة.[4]

---

[1]بومعيزة السعيد: أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.2006، ص175.

[2] صالح السعد، المخدرات والمجتمع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 1996، ص121.

[3] نفس المرجع.

[4] عبد الله بوجلال وآخرون، القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري، دراسة نظرية وميدانية، دار الهدى، الجزائر، دون تاريخ، ص150.

من خلال تقديمنا لهذه التعاريف يظهر التباين والاختلاف في تحديد مفهوم الشباب، وعليه سنقول أن مفهوم الشباب يعني في دراستنا إجرائيا، فئة اجتماعية توجد في مرحلة عمرية محددة وتمتد خلال عشرة سنوات بداية من سن الرشد القانوني في الدولة الجزائرية، أي أن دراستنا تشمل فئة الشباب الجزائري التي يمتد عمرها من 18–28 سنة.

الاستخدام:

يشوب مفهوم الاستخدام بعض التباين فمنهم من يوظفها كمرادف للاستعمال أو الممارسة في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى كمرادف للتملك، ويعود هذا التباين حسبP.Chambatلكونه يستعمل في آن واحد لاكتشاف ووصف وتحليل سلوكيات وتمثلات إزاء كل غامض هو التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال[1].

يقترحla Croixتعريفا لمفهوم الاستخدام، حيث يقول أن الاستخدامات الاجتماعية هي أنماط إستخدام تظهر وتبرز بصورة منتظمة على نحو كاف بحيث تشكل عادات مندمجة في يوميات المستخدم تفرض نفسها في قائمة الممارسات الثقافية القائمة مسبقا، وتعيد إنتاج نفسها في قائمة الممارسات الثقافية القائمة مسبقا، وتعيد إنتاج نفسها وربما مقاومة الممارسات الأخرى المنافسة لها أو المرتبطة بها[2].

أما الباحثانSerge Broulx et Philipe Bretonفيرون أن الاستخدام يحيل إلى جملة من التعاريف تتراوح بين التبني والتملك مرورا بالاستخدام[3]، أي أن الاستخدام يشكل سيرورة ممتدة (قبلية، آنية، وبعدية).

ومن وجهة نظرنا فإن الاستخدام يتمثل في استخدام الشباب الجزائري لشبكات التواصل الاجتماعي، وهو استخدام قابل للاكتشاف وقابل للتحليل عبر ممارسات وتمثلات

[1]Pierre Chambat, « usages des TIC : évolution des problématiques », in Technologies de l'information et société, vol.6, n°3, 1994, p250.
[2] Jean Gury Lacroix, Gaetan Tremblay et Gilles pronovost, « la mise en place de l'offre et la formation des usages des NTIC : le cas de videoway et de Telétel », dans cahiers de recherche sociologique, n°21, 1993, p84.
[3] Serge Proulx et Philipe Breton, de la communication à l'aube du 21e siècle, paris, la découverte, 2002, p255.

خصوصية؛ وللإشارة فقد فضلنا توظيف كلمة استخدام في أطروحتنا لأنها تشير في رأينا إلى مسألة التملك الاجتماعي لمواقع شبكات التواصل الاجتماعي لنبحث بذلك العلاقة التي يقيمها الشباب مع هذه التقنية.

التملّك (الاستحواذ)Appropriation

حضي مفهوم التملك باهتمام العديد من الأبحاث التي راهنت على دراسة وتحليل استخدام الأدوات التقنية في عالم حياة الأفراد، على اعتبار أن التملّك يتكون أساساً من المستخدم الذي يُفترض أنه ناشط إيجابي في علاقته بالأدوات الاتصالية، حيث يرىFlichy، أن المستخدم المتملّك، ينظم ممارسته الشخصية مع الأداة التقنية التي تسمح له بأن يختار مختلف الإمكانيات المتاحة للاستخدام، وبذلك تكون له إمكانية إعادة بعض الوظائف والتخلي عن أخرى[1].

يمثل مفهوم التملك مرحلة متقدمة في سيرورة الاستخدام، حيث يشير Riemy Rieffelإلى أنه الطريقة التي يبني بها المستخدم علاقته بأداة الاتصال. فضمن هذه العلاقة ومن خلالها يظهر المستخدم كفاعل يصقل إستخدامه ويشخّصه ويبنيه ذاتياً، من خلال ثقافته وممارساته التقنية والاجتماعية الأخرى المختلفة[2].

وعلى ضوء هذا التعريف، فإن العلاقة التي يبنيها المستخدم مع أداة الاتصال، تجعل منه عنصراً نشطاً وليس سلبياً في إستخدامه للأدوات التقنية، وذلك من خلال تاريخه المعرفي والاجتماعي والثقافي، الذي يجسده المستخدم في علاقته مع الأداة التقنية.

[1]Patrice, FLICHY. « L'action dans un cadre sociotechnique. Comment articuler technique et usage dans une même analyse?, Presses de l'Université du Québec, 1995.p :26.

[2]سعيد لوصيف، عن مفهوم اللاستحواذ (اللاتملّك)، وبعض محدادته النفسية والاجتماعية – مراجعة نقدية في تناول المجتمع الجزائري للإبداعات التقنية، محاضرةألقيت بالملتقى الدولي حول الإعلام الجزائري من ثورة التحرير إلى ثورة المعلومات، المنعقد بقسم الإعلام والاتصال بجامعة وهران المنعقد يومي15و16جانفي2013، ص: 04.

ووفقاً لذلك، حددProulxشرطين أساسيين يتحقق فيها التملّك وهما[1]:

- التحكم المعرفي والتقني في الأداة التقنية.
- امتلاك حدٍ أدنى من المعرفة التي تمكن الفرد من إدماج الجهاز التقني بصورة مبدعة في حياته اليومية.

وفي موضع آخر يضيفProulx شرطين آخرينوهما[2]:

- أن يفتح الاستخدام المتكرر لهذه التكنولوجيات إمكانيات للإبداع (أفعالاً تولّد الجديد في الممارسة الاجتماعية).
- على المستوى الجماعي، فإن التملّك الاجتماعي يفترض أن يكون المستخدمون ممثلين بشكل ملائم في عملية رسم السياسات العمومية، وفي الوقت ذاته، أن يؤخذوا بعين الاعتبار في سيرورات الإبداع (الإنتاج الصناعي والتوزيع التجاري).

وعليه، فإنه لا يمكن الفصل بين البعد الإبداعي ومفهوم التملّك، إذن فالتملّك بهذا المعنى هو القيمة المضافة التي تكون محصلة لسيرورة الاستخدام ونتيجة لها. حيث أنه لا ينصب تناول مفهوم التملّك على تصميم الأجهزة التقنية، وإنّما ينصب على تطبيقاتها في الحياة الاجتماعية ووصف سيرورة تكّون الاستخدامات وتشكّلها[3].

وإجرائيا نقصدبالتملّك، استخدام الطلبة لموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك للتعبير عن هويتهم الثقافية الجزائريةانطلاقا من الاستقلالية التي يسمح بها التطبيق التقني، وكذا عنصر الإبداع الذي يضفونه في ممارساتهم من خلال علاقات المحادثة والمساهمة التشاركية، والتي تكون عادة في حدود ما تسمح به العدد التكنولوجية، وفي بعض الأحيان تتجاوزها.

---

[1]سماعيل بن دبيلي، مرجع سبق ذكره، ص 136.

[2]سعيد لوصيف، مرجع سابق، ص: 03.

[3]نفس المرجع السابق، ص05.

الدراسات السابقة :

حرصا منا على الاستفادة مما تم تقديمه من نتائج بحوث تناولت نفس موضوع البحث، وبعد قراءة متأنية فيما أتيح لنا من دراسات، وجدنا أن أنسب ما يمكن إدراجه في إطار الدراسات السابقة، يتمثل فيما يلي:

الدراسة الأولى: لـ د.علي أحمد الطراح:

ضمن سلسلة دراسات تبحث في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة العالمية الإعلامية، ويتعلق موضوع بحثه بـ : تأثير وسائل الإعلام على تشكيل الهويات في ظل التطورات التكنولوجية الحديثة في مجال الاتصال محاولا إجراء مراجعة نقدية، للاتجاهات التي تؤسس لوظائف وسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصال ثقافيا، مقترحا طرقا جديدة لفهم العلاقات القائمة بين وسائل الإعلام والهويات الثقافية :وينطلق في ذلك من الإشكالية التالية:

هل تقوم تكنولوجيا الاتصال الجديدة، بشكل تلقائي، بإحداث أشكال جديدة من الوعي الوطني والهويات الثقافية ؟.

والتي حاول الإجابة عليها من خلال تفكيكها إلى التساؤلات التالية:

- هل يؤثر الإعلام على درجة الولاء والانتماء للمتلقي تجاه وطنيته وهويته؟

- هل أن عولمة الإعلام مسؤولة على إعادة رسم الخرائط الثقافية المحددة وطنيا؟

- وهل أن تقنيات المعلومات الحديثة توجد جماعات متخطية للحدود الوطنية متعاطفة ومتناسقة مع بعضها الآخر؟

- هل تساهم وسائل الإعلام والاتصال المحلية في تمتينالإحساس بالهوية الثقافية والوعي الوطني؟

وقد استخدم الباحث الملاحظة العلمية، كأداة للبحث، حيث عمل من خلالها على البحث في درجة تأثير وسائل الإعلام والاتصال على الهويات الثقافية، من خلال تبيين مواضع التأثير الجديدة التي استحدثتها المزايا الجديدة لوسائل الاتصال والإعلام بفعل الثورة التكنولوجية كما قدم من جهة ثانية عرضا للاتجاهات التي أسست لأدوار تكنولوجيا الاتصال ووسائل الإعلام من خلال إجراء مقارنات بين ما توصلت إليه من نتائج.

وقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

– تساهم تكنولوجيا الاتصال والإعلام في إيجاد وعي جديد .

– إن العلاقة بين الإعلام والهويات الثقافية هي أكثر تعقيدا مما يذهب إليه أتباع مركزية الإعلام واتجاهاتهم.

– تعتبر وسائل الإعلام والاتصال، لاسيما في ظل ما تتيحه التكنولوجيا الحديثة، واحدة من الإجراءات الكثيرة المعقدة في تشكيل الهويات الثقافية.

– إن وسائل الإعلام والاتصال، لا تؤدي بشكل آلي تلقائي، إلى إنشاء أشكال جديدة من الهوية الثقافية، ذلك أنها لا تعد سوى عاملا لا يمكنه التأثير في تشكيل الهوية الثقافية إلا بالعمل رفقة عوامل كثيرة أخرى .

لقد توصل الباحث إلى أن وسائل الإعلام والاتصال في ظل ما عرفته من تغييرات بفعل التطورات التكنولوجية الحديثة تساهم في تشكيل وإعادة تشكيل الهويات الثقافية . إلا أن ذلك يظل مرتبطا بشكل رئيسي بجملة من الإجرءات الأخرى التي لا يجب إغفالها،

وفي دراسته هذه انطلق من فرضية أن الطاقات التكنولوجية لا تقوم وبشكل تلقائي آلي بإحداث وتوليد أشكال جديدة من الوعي الوطني والهوية الثقافية واقتصر مسار دراسته على إجراء مقارنات بين الدراسات التي اهتمت بنفس الموضوع، وإن اعتمد على

الملاحظة في تحديد مواضع تأثير وسائل الإعلام والاتصال على الهويات الثقافية، مما خلق فجوة في محتوى الدراسة التي بقيت في حاجة إلى جانب تطبيقي، يلجأ فيه الباحث إلى قياس درجة تأثير وسائل الإعلام والاتصال على الهويات الثقافية في أرض الواقع، ذلك أن دراسة من هذا النوع تقتضي العمل في الميدان لتكتسب النتائج المتوصل إليها المصداقية العلمية اللازمة.

الدراسة الثانية: لـRaynaudJoy

قدمت هذه الدراسة بعنوان، les TIC sont-ils les nouveaux territoires de la diasporachinoise ? ، وجاءت ملخصة لأطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة: l'universitéMontpellier 3[1].

تتحدد إشكالية هذه الدراسة في تحديد العلاقة بين الهوية الثقافية الجديدة للأقليات الصينية المهاجرة والإقليم الذي تنتمي إليه، من خلال استخدام هذه الأقليات لتكنولوجيات الإعلام والاتصال les TIC . وفكك الباحث هذه الإشكالية إلى مجموعة من التساؤلات البحثية كما يلي:

- ما هي التصورات والممارسات الجديدة للأقليات الصينية المهاجرة إلى فرنسا حول استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال؟
- هل تكنولوجيات الإعلام والاتصال تشجع تأقلم المهاجرين في الدول المضيفة؟
- هل يعزز استخدام الأنترنت، والهواتف الثابتة والنقالة، والتلفزيون الإحساس بالقرب لدى المهاجرين الصينيين من وطنهم الأصلي.
- فيما تتمثل الأقاليم والهويات الثقافية الجديدة للأقليات الصينية المهاجرة؟

[1]Raynaud Joy, les TIC sont-ils nouveaux territoires de la diaspora chinoise?, networks and communication studies, NETCOM, vol.25, n°1-2,2011, pp 63-82.

أما منهجيا وليجيب الباحث على إشكاليته فقد قام بمسح آراء مجموعة من الشباب الصينيين الذين يملكون القدرة والكفاءة على استعمال أدوات الإعلام والاتصال الحديثة (تصميم واستعمال نوادي المحادثة الالكترونيةles forums de chats، المدونات les blogs،وإرسال الرسائل الالكترونية...إلخ).

أنجزت الدراسة بمدينة Montpellierالفرنسية التي تحوي حسب الباحث أكثر 800 طالب صيني، قام بمسح آراء عينة تقدر بعشرة طلبة (ستة ذكور، وأربعة إناث يتراوح سنهم مابين 21 و29 سنة) جاءوا من أقاليم صينية متنوعة، وتم اختيارهم تبعا لمدة إقامتهم في فرنسا التي قدرت بسنتين على الأقل حتى يستطيع الطالب الشعور بالانتماء لفضائه اليومي الجديد، ومن جهة أخرى مراعاة مستواه اللغوي من أجل الوصول إلى وصف دقيق لتصوراتهم وأفعالهم.

إن المنهجية التي إختارها الباحث تتمثل في المقابلة الإستكشافية النصف الموجهة والتي قدرت بـ: 16 ساعة و26 دقيقة. وخلص الباحث إلى مجموعة مهمة من النتائج نستعرضها كمل يلي:

1- تعتبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال lesTICوسائل مسهلة لإقامة وانتظام المهاجرين الصينيين في حياتهم اليومية على السلم المحلي، (على غرار البحث عن عمل، البحث عن مكان إقامة، استخراج الوثائق الإدارية من الجامعة...)

1.1- تعتبر الأنترنت مصدر جد مهم للمعلومات.

1.2- تعد تكنولوجيات الإعلام والاتصال les TICمصدر معلومات ملموسة في الفضاء الجغرافي le géoespace.

1.3- استحالة تصور الحياة اليومية بدون تكنولوجيات الإعلام والاتصال.

2- بين مكان الإقامة والوطن الأصلي يتولد شعور بالقرب من الوطن الصين ومنه تتولد ثقافة مزدوجة une double culture.

2.1- الشعور بالقرب من الصين ينتج أساسا نتيجة استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال.

2.2- تولد أحاسيس جديدة أتجاه الوطن الصين: الفخر.

2.3- بروز هوية صينية أكثر قوة، زائد الإحساس بالاندماج في الدولة الفرنسية.

2.4- تكنولوجيات الإعلام والاتصال les TICوبروز ثقافة مزدوجة.

ويمكن القول أن هذه الدراسة تقترب من دراستنا في الجانب المتعلق بالمدخل النظري، أي استخدام مقاربة الاستخدامات، والتي تشكل جزءا مهما من مقاربتنا المنهجية المقترحة. بالإضافة إلى أن هذه الدراسة استخدمت المقابلة العلمية وهي الأداة المنهجية التي سنوظفها في جمعنا للبيانات.

<u>الدراسة الثالثة لـ: DAVID MYLES</u>

بعنوان Les usages d'un groupe facebook en situation de deuil : une études de cas، عبارة عن دراسة في علوم الإعلام والاتصال، بجامعة: Université du QUÉBEC a Montréal، حيث تتحدد إشكالية هذه الدراسة في بحث كيفية استخدام المستعملين لتطبيق الفايسبوك في حالة حداد وما مدى مشاركة الجهاز التقني في هيكلة التفاعلات على الخط؟. وطرح الباحث مجموعة من التساؤلات البحثية، التي تصب في محاولة تفكيك طرحه والتي صاغها كما يلي:

- من هم الأشخاص الذين يشاركون في استخدام تطبيق مجموعة الفايسبوك في هذا السياق؟

- ما هو المحتوى الملاحظ في تفاعلات أعضاء المجموعة على الفايسبوك والمخصصة لشخص متوفى؟
- كيف تتطور مجموعة على الفايسبوك مع الوقت؟
- ما هو الدور التقني الذي يلعبه الفايسبوك في الاستخدامات الملاحظة؟
- ما هي أشكال الاستخدام التي يمكن أن تميزها بين أعضاء المجموعة؟

انطلق الباحث في صياغة بنائه النظري والمنهجي بناء على مقاربة مهمة تعنى بدراسة الاستخدام، وتتمثل في مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات.

أما منهجيا وليجيب الباحث على إشكاليته فقد قام بتوظيف أداة الملاحظة حيث قام الباحث بملاحظة تفاعلات أعضاء المجموعة على الخط ، تم قام بتحليلها عن طريق برمجية خاصة بالتحليل الكيفي، وخلص الباحث من خلال تحليله إلى مجموعة من النتائج المهمة نلخصها فيما يلي:

- إن مضمون ما هو منشور يعبر بقوة عن معنى الحداد سواء من خلال نشر التعازي أو الدعم أو ذكر خصال ومناقب المتوفى وإعادة مشاركتها.
- بالنسبة للأشخاص المساهمين في النشر يكونون غالبا من العائلة والأصدقاء وزملاء الدراسة القدامى، كما أظهرت النتائج أن الرجال أقل مساهمة من النساء في هذه المجموعة.
- أظهر التحليل الزمني لتطور المجموعة على الفايسبوك أن النشر يتأثر ببعض الأحداث الزمنية كذكرى ميلاد الشخص المتوفى، أو أعياد رأس السنة...الخ
- كما توصل الباحث إلى أن الهيكل التقني للفايسبوك يؤثر في زيادة التفاعل من خلال خانة التعليقات وخانة « j'aime »التي كان لها دور في زيادة الدعم.

ويمكن القول أن هذه الدراسة تقترب من دراستنا في الجانب المتعلق بالمدخل المتعلق بسوسيولوجيا الاستخدامات، علاوة على ذلك فإن هذه الدراسة تتشابه وحالة دراستنا في أن دراستها الميدانية طبقت على مجموعة groupe على الفايسبوك. بالإضافة إلى أنها وظفت أداة بحثية كيفية تتمثل في أداة الملاحظة العلمية. كما أن نتائج هذه الدراسة المتعلقة بالتساؤل الرابع تلتقي نسبيا مع نتائج دراستنا المتعلقة بدور الفايسلوك كهيكل تقني في تأطير التفاعلات.

الإعلام الجديد، سوسيولوجيا الاستخدامات، وجدلية الهوية الثقافية

الفصلالأول :*الإعلام الجديد*ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي

1. قراءة نقدية للأدبيات المتناولة للإعلام الجديد وتصنيفاته المختلفة

أخذتالعولمة أبعادا مستالثقافةبمعناهاالعام. من خلال نزعة تهدفإلىصياغة ثقافيةعالمية،لهاقيمهاومعاييرها،والغرضمنهاضبطسلوكالدولوالشعوب[1]، من خلال بعض الآليات الظاهرة والخفية، منها الثورة التكنولوجية وانعكاساتها على أدوات الاتصال. والتي أدت إلى ظهور ما يعرفبالإعلام الجديد عموما ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي خصوصا، والتي صنفها بعض النقادعلى أنها أكبر أدوات العولمة الإعلامية.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أنمفهوم الإعلام الجديديعد منأكثرالمفاهيماختلافًافيعلومالإعلام والاتصال،ويرجعذلكلحداثةاستخدامهفيالدراساتالأكاديمية فمازال في معظم جوانبه حالة جنينية لم تتبلور خصائصها الكاملة بعد، بالإضافة إلى التعقيدات والاختلافات الناتجة عن ترجمته على اعتبار أنه مفهوم ولد ونمى في بيئة مختلفة عن بيئتنا،ويعرف الإعلام الجديد (الأنترنت، المدونات الالكترونية، شبكات التواصل الاجتماعي) في ميدان الدراسات الإعلامية بوسائط الاتصال الجديدة، أو النيوميديا، أو الميديا الجديدة والإعلام البديل وغيرها من التسميات. وعليه سنحاول عرض مجموعة واسعة من التعريفات المتاحة حاليا، بما في ذلك ما كتبته الموسوعات والقواميس المتخصصة في التكنولوجيا، ثم ننتقلإلى استعراض عدد من الرؤى النظرية التي أتيحلنا الاطلاع عليها.

قاموس الكمبيوتر Computing Dictionary،يعرفه[2]بقسمين أولهما: *"إن الإعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني بأنواعها المختلفة والتلفزيون الرقمي والإنترنت، فضلاً عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة*

[1] باية بورغالة، العربي بن داود، مرجع سبق ذكره، ص 651.

[2]تعريف قاموس Computing Dictionary، روجع يوم (2015/11/19)
http://computing-dictionary.thefreedictionary.com/new+media>

في هذا السياق، ويخدم أي نوع من أنواع الكومبيوتر على نحو ما، تطبيقات الإعلام الجديد في سياق التزاوج الرقميDigital Convergence،إذ يمكن تشغيل الصوت والفيديو في الوقت الذي يمكن أيضاً معالجة النصوص وإجراء عمليات الاتصال الهاتفي وغيرها مباشرة من أي كومبيوتر مما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم اجمع".

وأشارت موسوعة الواب[1] (ويبوديا "Webopedia")في تعريفهاللإعلام الجديد إلى خاصيتي الديناميكية والتغير في نمط الاتصال "إن *"العديد من الأشكال المستحدثة من نظم الاتصال الإلكتروني التي أصبحت ممكنة بفضل الكومبيوتر، والتعبير مرتبط أيضاً بالنظم الإعلامية القديمة، فإذا ما قمنا بعقد مقارنة بين الصحافة الورقية التي تتصف بحالة سكون في نصوصها وصورها مع صحافة الإعلام الجديد، نلمس الفرق في ديناميكيتها وفي حالة التغير المستمر الذي تتصف به، بالإضافة إلى أن وسائل الإعلام التقليدية تقوم على نظام ثابت ومعروف، إما بطريقة الاتصال من واحد إلى واحد Point-To-Pointومثال على ذلك الاتصال بالهاتف، أو من واحد إلى الكثيرين Point-To-Manyومثال على ذلك التلفزيون والراديو. أما في حالة الإعلام الجديد، وفي تطبيقاته المختلفة، خاصة المرتبطة بالإنترنت، فإن هذا النمط تغير بشكل جذري، فقد مكنت الإنترنت من الوصول إلى كل الأشكال المحتملة من نقاط الاتصال".*

ويربالباحث علي قسايسية أن لفظ "الاعلام الجديد" يعد ترجمة خاطئة لـ:" New Media" ويقترح ترجمتها "بالوسائط الجديدة للاتصال". رغم ما يحوم من اختلاف حول المعنى والترجمة بيت لفظي Medium وMedia وهذا ما أشار إليه مارشال ماكلوهان فيحديثه عن الفرق بين الوسائط والوسائلفي كتابه "understanding media"في حين نجد

[1]تعريف موسوعة Webopedia، روجع يوم (2015/10/11)http://www.webopedia.com/TERM/N/new_media

الأستاذ نصر الدين العياضي يرى أن الوساطة هي أهم ما يميز الإعلام الجديد، فلا ينبغي النظر إلى الوساطة انطلاقا من مضمون ما تتداوله أو تتوسطه فقط بل بالنظر لما تقيمه من علاقات وتتيحه من معان إضافية لعملية الاتصال، فالوساطة تقوم على التكافؤ بين المتصلين والفعل الخطابي المتبادل.[1] وفي هذا السياق يسلط " Grusin Richard. & Bolter Jay David." في كتابهما "Remediation: Understanding New Media" الضوء على أهمية فهم وسائل الإعلام الجديدة[2]، حيث نجد العديد من الباحثين يقدمون محاولات لتعريف الإعلام،كما يلي:

يشير Nigronpountyإلى أن مميزات الإعلام الجديد تختلف عن الإعلام القديم وذلك في: *"استبداله الوحدات المادية بالرقمية، أو البتات بدل الذرات Bits Not Atomsكأدوات رئيسة في حمل المعلومات يتم توصيلها في شكل إلكتروني وليس في شكل فيزيائي، والكلمات والصور والأصوات والبرامج والعديد من الخدمات يتم توزيعها بناء على الطريقة الجديدة، بدلاً عن توزيعها عبر الورق أو داخل صناديق مغلفة"*[3].

وحول تصوراته لمفهوم وإمكانيات الإعلام الجديد يقولVin Crosbie: " *عندما يقوم أي منا بزيارة موقع صحافي على شبكة الانترنت، فإننا لا نرى الأخبار والموضوعات الرئيسة فيه فقط، ولكننا نرى أجزاء من الموقع مخصصة لتلبية الاحتياجات الفردية الخاصة بالزائر. وهذا الأمر لا يعني هذا الزائر وحده وإنما عملية التخصيص، هذه تتم لملايين الزوار في وقت واحد، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يتحقق في ظروف نظم الاتصال السابقة. أما القوة الصاعدة للإعلام الجديد فهي تتمثل في كونه سيحفز ويشيع آليات جديدة كلياً للإنتاج والتوزيع ستخلق مفاهيم جديدة تماماً للأشكال الإعلامية ومحتوياتها* "[4]

---

1 نصر الدين لعياضي، وسائط جديدة وإشكاليات قديمة: التفكير في أدوات التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 22، الشارقة، 2013، ص 38.

[2]Bolter Jay David. Grusin Richard. Remediation: Understanding New Media, USA: The MIT Press; 1st edition.2000

[3]عباس مصطفى صادق، مصادر التنظير وبناء المفاهيم حول الإعلام الجديد، في كتاب أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد:تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، منشورات جامعة البحرين، 2009، ص 31.

[4]صادق عباس مصطفى,،الإعلام الجديد دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة"، مرجع سبق ذكره، ص 195.

وبالنسبة للباحثين العرب نجد مجموعة من المحاولات نعرضها كما يلي:

يرى مصطفى عباس صادق فيه عملية: *"التزاوج Convergenceما بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكومبيوتر وشبكاته، تعددت أسماؤه ولم تتبلور خصائصه النهائية بعد ويأخذ هذا الاسم لأنه لا يشبه وسائط الاتصال التقليدية، فقد نشأت داخله حالة تزامن في إرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات"*[1]، ويطلق عليه الإعلام التفاعليInteractive Mediaطالما توفرت حالة العطاء والاستجابة بين المستخدمين لشبكة الانترنت والتلفزيون والراديو التفاعليين وصحافة الانترنت وغيرها من النظم الإعلامية التفاعلية الجديدة"[2].

ويعرفه أياد الدليمي بالقول: *"إن تلك الوسائل الحديثة للاتصال متمثلة بـ (الفيس بوك وتويتر ويوتيوب) يمكن أن تكون مكملة للإعلام التقليدي، لينتج إعلاما يزاوج بين المهنية وصرامة التقاليد التي نشأت عليها السلطة الرابعة، وبين التقنية الحديثة التي تتيح للإعلام التقليدي الفرصة ليكون أكثر قرباً ليس من الحدث فحسب، وإنما من الناس أيضاً وهذا هو جوهر الموضوع"*.[3]

وتقدم مرام عبد الرحمن مكاوي رؤية نقديةللدور الذي يقوم به الإعلام الجديد، وعلى إمكانياته المبالغ فيها حسب رأيها وتعتبره إعلاماً مضللاً بالقول: *"المشكلة الكبرى فيما يتعلق بالإعلام الجديد هي أنه بات يقدم صورة غير واقعية عن القدرات التي يملكها، فهو يملك أدوات رائعة غير مسبوقة في تداول المعلومات وتبادل الرؤى والأفكار والربط بين أصحاب القضية الواحدة، لكنه يظل في النهاية كما هو في الأصل وسيلة وأداة إعلامية غير قادرة*

---

[1] عباس مصطفى صادق، مصادر التنظير وبناء المفاهيم حول الإعلام الجديد، مرجع سبق ذكره ، ص28.

[2] صادق عباس مصطفى، الإعلام الجديد دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة"، مرجع سبق ذكره،ص 148.

[3] الدليمي أياد،الإعلام الجديد.. ثورة وثروة العرب، في 01-12-2011. متاحعلى.
http://www.alarab.qa/details.php?issueId=1447&artid=161413

على صنع الحدث كما يروج الكثيرون، وإنما قدرته تكمن في نقل صورة شديدة الصفاء عن هذا الحدث"[1].

ويمكن القول أن هناكتغيراً جوهرياً شمل الوسائل الإعلامية كافة من النواحي التكنولوجية والتطبيقية، وغيرت هذه التطورات الشكل المألوف للإعلام، وجعلت منه أكثر استجابة لمتطلبات الجمهور، ناهيك عن التواصل السهل واليسير، الذي يربط بين الفرد وأصدقائه ومعارفهوأهله وأساتذته في أية بقعة من الأرض، وفي هذا الصدد يقول: " Jon. Dovey, Seth. Giddings, Iain. Grant,"وآخرون مؤلفو كتاب " NewMedia: A Critical Introduction" إن هناك قصة عن كيفية دخول وسائل الإعلام الجديد لعالمنا[2].حيثيتحقق لأي فرد وفي أي مجتمع إمكانية امتلاكه لإعلامه الخاص.

ونختم بالقول أن العديد من التسميات أطلقت على الإعلام الجديد، فمنها من تصفه بالإعلام البديل عوضاً أو مقارنة بالإعلام القديم، وأخرى تراه إعلاماً رقمياً مبتعداً عن الصفة التماثلية للإعلام، وأنه أصبح إعلاماً أفقياً أو شبكياً ولا وجود للإعلام الرأسي فيه، وبهذا صار بمقدور أي فرد امتلاك صحافته الخاصة في هذا العالم الواسع من الإعلام والاتصال، فجاءت تسمية (صحافة المواطن) تعبيراً عن هذه الحرية الوليدة.يضاف إلى ذلك أن الإعلام الجديد أخذ صفة الإعلام الشبكي الحي على الخط OnlineMedia،لارتباط هذا النوع من الإعلام بشبكة الإنترنت مثل الشبكات الاجتماعية، ونتيجة إلى ما تميز به هذا الإعلام من تدفق هائل للمعلومات، فقد أطلق عليه صفة إعلام المعلوماتInfo Media،لتوافقه بين الكمبيوتر والاتصال، معتمداً على تكنولوجيا المعلومات. ويأخذ أيضاً تسمية إعلام الوسائط المتشعبةHypermedia،دلالة على استخدامه لبعض الوصلات التشعبية Linksالمتصلة به،

---

[1]مكاويمرام عبد الرحمن، تضليل الإعلام الجديد,موقع الوطن أو لاين، في 2011-05-25. متاحعلى
http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleId=5795

[2]Lister, Martin. Dovey, Jon. Giddings, Seth. Grant, Iain. Kelly, Kieran. New Media: A Critical Introduction, USA/UK Europe : Routledge; 2 edition, 2009.

وهو أيضاً إعلام الوسائط المتعددة Multimedia،الذي يعني التداخل الفعلي بين هذه الوسائط (النص، الصورة، والفيديو).

2.ماهية مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كمكون أساسي في الإعلام الجديد

شبكات التواصل الاجتماعي عبارة عن مواقع ويب تؤسسها وتبرمجها شركات كبرى، تقدم مجموعة من الخدمات للمستخدمين على غرار المحادثة الفورية والرسائل الخاصة ومنتديات النقاش والبريد الالكتروني والفيديو والتدوين ومشاركة الملفات وغيرها من الخدمات. مما سمح لها بجمع الملايين من المستخدمين عبر العالم.

يعرفArmand Degenneو Michel Forsé شبكات التواصل الاجتماعي بأنها شكل لتنظيم جديد للتعبئة السياسية والتبادل، فالشبكات الاجتماعية تولد كمية كبيرة من الخطابات من جميع الأنواع والكثير منها ذو طبيعة مجازية. [1]

يمكن القول أيضا: "إنها مواقع إلكترونية اجتماعية على الانترنت، وإنها الركيزة الأساسية للإعلام الجديد أو البديل، التي تتيح للأفراد أو الجماعات التواصل فيما بينهم عبر هذا الفضاء الافتراضي، عندما عز التواصل في الواقع الحقيقي".
ويتحدث "Paul Levinson" في كتابه "New Media" عن قصة ظهور الإعلام الجديد وماذا يعني لنا كأناس عاديين أن يكون هناك إعلاماً جديداً[2].

كانتالبدايات الأولى لظهور المواقع الاجتماعية تعودلأعوام التسعينيات الأولى من القرن الماضي، حين صمم Randi Konderzموقعاً اجتماعياً للتواصل مع أصدقائه وزملائه في الدراسة في بداية عام 1995، وأطلق عليه أسم Classmates.com، وبهذا الحدث سجل أول موقع تواصل إلكتروني افتراضي بين سائر الناس.

[1]Alain Degenne et Michel Forsé, les réseaux sociaux, flux, n20.volume11, avril-juin 1995, p56.
[2]- Levinson, Paul, New Media,1 edition, USA: Allyn & Bacon;, 2009

ونتيجة لتنامي وتطور هذه المواقع الاجتماعية، فقد أقبل عليها ما يزيد عن ثلثي مستخدمي شبكة الانترنت. ولعبت الكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل والتسونامي، والأحداث السياسية وحركة الجماهير الشعبية الواسعة– مثل ما يعرف بالثورات العربية– وخصوصاً الشباب منهم، ممن يرتادون شبكات التواصل الاجتماعي، دوراً هاماً في شعبية هذه الشبكات، وأصبحت الوسيلة الأساسية لتبادل المعلومات والأخبار الفورية في متابعة مسار وتطورات الأحداث.

وحول أهمية الإعلام الجديد يقول محمد ناصر أحمد عن الإعلام الجديد: "أصبح مصطلح الإعلام الجديد واحداً من أهم المصطلحات التي تثار في العديد من المنتديات والمؤتمرات فهو الصناعة التي حققت المليارات السريعة لـMarkZakarbirgمؤسس الـ Facebook كما أنه وبأدواته المميزة استطاع أن يفجر قضايا عديدة على مستوى العالم وينقل المشاهد من المتابعة إلى المشاركة الفاعلة في كافة مراحل إعداد مادة الخبر وحتى ظهوره على شاشتنا ولا يوجد مثال أقوى على ذلك من الاستخدام السياسي لـ Twitter من قبل نشطاء سياسيين سواء من مصر أو إيران".[1]

فعلى صعيد الكوارث الطبيعية، تصدرت أحداث الزلزال المروع في هايتي والتسونامي الذي أصاب إندونيسيا واليابان، اهتمامات متصفحي هذه المواقع، أما ما يتعلق بالأحداث السياسية التي اجتاحت شمال أفريقيا وخاصة في تونس ومصر وليبيا، وبعض بلدان الشرق الأوسط ومنها اليمن وسوريا والبحرينوقبلها إيران، فقد كان للمواقع الاجتماعية دوراً كبيراً، ومجالاً واسعاً لتبادل الأخبار والمعلومات، وتحديد طرق ووسائل التعامل مع المستجدات اليومية، ومناورات الأنظمة السياسية ووسائلها لحجب الحقيقة عما يجري في بلدانها.

[1]- أحمد، محمد ناصر، العرب والإعلام الجديد، موقع عالم الإبداع،في 6 أفريل 2010، متوفر على: http://www.ibda3world.com

ويتكلم في سياق آخر: "Matthew A. Russell" في كتابه " Mining the Social Web" عن كيفية تحليلنا وقرائتناللبيانات المتحصل عليها من الفيسبوك ووسائل الإعلام الاجتماعية،مقارنة مع وسائل الإعلام الأخرى.[1]أو وسائل الاعلام الاجتماعي فيما بينها، حيث أن هذه المواقع ظهرت تباعاً في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، واستمر ظهورها حتى أوائل القرن الواحد والعشرين، لكنها لم يكتب لها النجاح بالرغم من التشابه الكبير في الخدمات التي تقدمها، حتى ظهرت مواقع جديدة سجلت نجاحات ملموسة مثل: Myspace, Twiter, Facebook، التي استطاعت أن تستقطب أعداداً كبيرة من مستعملي الأنترنت، وتعاظم دورها في السنوات الأخيرة وخصوصاً:Facebook

لم يرتد مستعمليالانترنت هذه المواقع الاجتماعية لغرض التسلية وإنشاء الصداقات فقط، وإنما هناك دوافع رئيسية وراء هذا الإقبال الواسع على شبكات التواصل الاجتماعي،وهي دوافع مهنية واجتماعية، بهذا التصنيف نجد أن هذه الدوافع عبارة عن حوافز تقسم مستخدمي هذه الشبكات إلى فئتين واسعتين وهي:

"الحوافز المهنية والحوافز الاجتماعية: المهنيون الذين يشتركون بمواقع مثل: لينكد إن LinkedIn، يفعلون ذلك بالدرجة الأولى بناءاً على حسابات عقلية مرتبطة باهتماماتهم الخاصة بحياتهم المهنية. من جانب آخر، معظم المراهقين الذي يجمعون الأصدقاء على موقع ماي سبيس، لا يسعون لتحسين آفاق حياتهم المهنية، الحافز الرئيس وراء تفاعلهم الاجتماعي هو إحساس غريزي غير عقلاني لعقد روابط اجتماعية تقوم على القيم والمعتقدات والأحاسيس المشتركة وما إلى ذلك.

[1]Russell Matthew A, Mining the Social Web: Analyzing Data from Face book, Twitter, LinkedIn, and Other Social Media Sites. USA/UK O'Reilly Media, 2011.

في بعض البلدان التي تضع فيها الحكومات قيوداً على حرية التعبير السياسي، أصبحت مواقع مثل: فيسبوك مجتمعات مدنية افتراضية، يزدهر فيها الحوار والجدل في شبكات اجتماعية أفقية. باختصار يمكن استخدام الشبكات الاجتماعية على الانترنت لبناء رأس المال الاجتماعي بعدة أشكال". [1]

تقدم الشبكات الاجتماعية أو صفحات الويب خدمات عديدة لمتصفحيها، فهي تتيح لهم حرية الاختيار لمن يريدون في المشاركة معهم في اهتماماتهم. وبظهور شبكات التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك وغيره، توسعت الخدمات المرجوة من هذه الشبكات ومنحت متصفحيها إمكانيات واسعة في تبادل المعلومات في مجالات التعليم والثقافة والرياضة وغيرها.وهذه الشبكات هي عبارة عن مواقع إلكترونية اجتماعية.

وهي مواقع انتشرت في السنوات الأخيرة بشكل كبير وأصبحت أكبر وأضخم مواقع في فضاء الويب ولازالت مستمرة في الانتشار الأفقي المتسارع. هي مواقع تقدم خدمة التواصل بين الأعضاء المنتسبين لها، حيث يمكن لأحد المستخدمين الارتباط بأحد الأصدقاء عبر الموقع ليصل جديد ما يكتب ويضيف ذلك الصديق إلى صفحة صديقه. كما أنها تمَكِن المستخدم من التحكم بالمحتوى الذي يظهر في صفحته، فلا يظهر إلا ما يضيفه الأصدقاء من كتابات وصور ومقاطع". [2]

يقول: Hawker .Mark. D في كتابه " Developer's Guide to SocialProgramming" إن هذا الكتاب هو بمثابة دليل لأولئك الذين يريدون التواصل من

[1]-ماثيور فريزر وسوميترا دوتا، ثورة الجيل الثاني بلغت مرحلة الانقلاب الاجتماعي، الشبكات الاجتماعية على الأنترنت: موقع الاقتصادية الإلكترونية، العدد (5530).في 2010/11/01متوفر على:http://www.aleqt.com/2008/12/01/article

1- موقع ثورة الويب، أنماط المواقع الإلكترونية،في 21 جانفي 2011.متوفر على: http://thawratalweb.com/web/20

خلال الشبكات الاجتماعية، وكل ما يحتاجون إليه لاستخدام "الفيسبوك، وتويتر، غوغل" للبرمجة الاجتماعية[1].

ومن الخدمات التي تقدمها هذه الشبكات هي: إتاحة المجال للأفراد في الدخول إلى المواقع الاجتماعية والتعريف بأنفسهم، ومن ثم التواصل مع الآخرين الذين تربطهم بهم اهتمامات مشتركة. وتنقسم المواقع الاجتماعية إلى قسمين رئيسين هما:القسم الأول، هي مواقع تضم أفرادا أو جماعات من الناس تربطهم إطارات مهنية أو اجتماعية محددة، وتعتبر هذه المواقع مغلقة ولا يسمح بالدخول إليها من عامة الناس، عدا من هم أعضاء في هذه المواقع التي تتحكم فيها شركات أو مؤسسات معينة، وهي من تقوم بدعوات المنتسبين إليها.القسم الثاني: هي مواقع التواصل الاجتماعي المفتوحة للجميع ويحق لمن لديه حساب على الانترنت الانضمام إليها واختيار أصدقائه والتشبيك معهم وتبادل الملفات والصور ومقاطع الفيديو وغيرها، ومن هذه المواقع شبكة الفايسبوك.

وهناك مواقع اجتماعية متخصصة في مجالات محددة مثل: منتديات إعلامية أو ثقافية أو تربوية وغيرها تهم مجموعة محددة من الناس، كما توجد مواقع اجتماعية خاصة بالتجارة والتسوق، وهي أيضاً تهم شريحة معينة من الناس يرتادونها ويتفاعلون معها، يضاف إلى ذلك نوع جديد من الشبكات الاجتماعية، التي يتم التواصل فيها من خلال الهواتف النقالة، وتكوين صداقات وإجراء محادثات ونقاشات وتبادل المعلومات عبر شاشات الهواتف النقالة.

تقدم في كتابها " Social Network Analysis: History, Theory andMethodology" الكاتبة"Christina. Prell" تحليلاً شاملاً عن وسائل الإعلام

[1]Hawker Mark. D, Developer's Guide to Social Programming: Building Social Context Using Face book, Google Friend Connect, and the Twitter API, Canada: Addison-Wesley Professional, 2010.

الاجتماعية،وكل ما نحتاج إلى معرفته عن هذه الأشياء الموجود في كل مكان، ألا وهي وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة.[1]

أما"Grusin Richard. & Bolter .Jay David"من خلال كتابهما " Remediation: Understanding New Media"يسلطان الضوء على أهمية فهم وسائل الإعلام الجديدة[2]،أما"Keen Andrew."فيطرح: في كتابه "The Cult of The Amateur" العديد من الأسئلة منها: هل وسائل الإعلام الاجتماعية الجديدة هي طريقة ناجعة تساعد العالم على النمو والتقدم؟ أو أنها وسيلة لتدمير اقتصادنا وثقافتنا وقيمنا؟ وهل حقاً وسائل الإعلام الاجتماعية دمرتنا؟[3]والتي وصلت إلى حد الإدمان كما يرىشريف درويش اللبان، حيثيقول: *"إن الإفراط في استخدام التليفون المحمول لم يعد شكلاً من أشكال الوجاهة الاجتماعية، بل صار ضرباً من ضروب الإدمان، حيث ذهبت دراسة بريطانية حديثة إلى أن مستخدمي التليفون المحمول من الرجال والنساء يصابون بنوع من الإدمان، بحيث يجدون أنفسهم مدفوعين لاستخدامه دون وعي منهم. والسبب في ذلك – كما تقول الدراسة – إن الموجات الكهرومغناطيسية التي يولدها التليفون المحمول، والتي تتسرب إلى الدماغ، تسبب إفراز نوع من (الأندومورفينات) يشبه مخدرالمورفين ويسبب الإدمان، بحيث يسعى الشخص إلى النشوة على طريقه دون وعي".*[4]

[1]Prell Christina., Social Network Analysis: History, Theory and Methodology, USA/Austalia: Sage Publications Ltd, 2011.

[2]Bolter Jay David. Grusin Richard, Remediation: Understanding New Media, USA: The MIT Press; 1st edition., 2000.

[3] Keen, Andrew, The Cult of the Amateur: How blogs, MySpace, YouTube, and the rest of today's user-generated media are destroying our economy, our culture, and our values. USA: Crown Business; Reprint edition, 2008.

[4]- اللبان شريف درويش، تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008. ص41.

3.الفايسبوك كأشهر موقع تواصل اجتماعي

هو شبكة اجتماعية استأثرت بقبول وتجاوب كبيرين من الناس خصوصاً من الشباب في جميع أنحاء العالم، وهي لا تتعدى حدود مدونة شخصية في بداية نشأتها في عام 2004 في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، من قبل طالب متعثر في الدراسة يدعى Mark Zakarbirg، وكانت مدونته الفيسبوك محصورة في بدايتها في نطاق الجامعة وبحدود أصدقاء الطالبMark Zakarbirg المهووس ببرمجة الكمبيوتر، ولم يخطر بباله هو وصديقين له إن هذه المدونة ستجتاح العالم الافتراضي بفترة زمنية قصيرة جداً.فتخطت شهرتها حدود الجامعة وانتشرت في مدارس الولايات المتحدة الأمريكية المختلفة، وظلت مقتصرة على أعداد من الزوار ولو أنها كانت في زيادة مستمرة. والتي قال عنها مؤسسهاMark Zakarbirg:*"لقد أضحى كل منا يتكلم عن الفيسبوك، أظن أنه من السخف أن يستغرق الأمر من الجامعة سنتين من أجل تنفيذ ذلك، وجدت أن بإمكاني تنفيذه أفضل منهم وفي أسبوع واحد"* [1].

إلا أن هذه المدونة لم تحقق تميزاً على المواقع الاجتماعية الأخرى التي سبقتها مثل موقع Myspaceوغيره حتى عام 2007، حيث حقق القائمون على الموقع إمكانيات جديدة لهذه الشبكة ومنها إتاحة فرصة للمطورين مما زادت هذه الخاصية من شهرة موقع الفيسبوك، بحيث تجاوز حدود الولايات المتحدة الأمريكية إلى كافةبلدان العالم، حيث يرى" Kirkpatrick David." في كتابه "The Facebook Effect" أن هذه الشبكة ربطت بين أجزاء العالم المترامية وغيرت معالمه،كما يلقي الضوء على كيفية تأثير الفيسبوك على كل العالم وعلى الناس جميعاً.[2]

---

[1]مزري تش،ترجمة: الهلالي، وائل محمود محمد بن، قصة فيسبوك: ثورة وثروة، القاهرة، إصدارات سطور الجديدة، الطبعة العربية الأولى، 2011. ص 132.

[2]Kirkpatrick David, The Face book Effect: The Inside Story of the Company That Is Connecting the World. USA: Simon & Schuster, 2011.

وتحتل شبكة الفيسبوك حالياً من حيث الشهرة والإقبال المركز الثالث بعد موقعي غوغل ومايكروسوفت، ويبلغ عدد المشتركين فيها أكثر من مليار و400 مليون شخص، 87% منهم يستعملون الفايسبوك على الهاتف المحمول[1]، ارتفعت قيمته – ارتباطاً بأحداث العالم الأخيرة وخصوصاً ثورات العربية – إلى خمسة وستين مليار دولار أمريكي.

ونتيجة للشهرة والدور والمكانة التي وصل إليها الفيسبوك، فقد قامت إحدى شركات الإنتاج السينمائي بإنتاج فيلم يحمل اسم الشبكة الاجتماعيةThe Social Network، يروي قصة الفيسبوك ويتحدث عن الصراع الذي دار بين مؤسس الفيسبوك وزملائه الثلاثة، الذين أسسوا في نفس الجامعة موقعاً للتواصل الاجتماعي ووجهوا الاتهام لـ Mark Zakarbergبسرقة أفكارهم ونقض اتفاقات شفهية كانت بينهم في المراحل الأولى للتأسيس. غير أن الكثير من الآراء ترى أن هذا الإدعاء ما هو إلا محاولة للحصول على حصة معينة من ثروة الفيسبوك الطائلة.

بالرغم من أن Mark Zakarbergلم يفضل فكرة إنتاج فيلم سينمائي عنه إلا بعد وفاته، لكنه تجاوز اعتراضه الشخصي واستساغ الفكرة وقبل بها. وقد واجهت مخرج الفيلم David Fisherصعوبات عديدة في تنفيذ وإكمال هذا الفيلم، وفي مقدمة هذه الصعوبات أن جامعة هارفارد رفضت التصوير في أروقة الحرم الجامعي. لقد استند الكاتب Arone Sourkineفي تأليف سيناريو الفيلم على كتاب "مليونيرات بالصدفة".

من هم مستخدمو الفيسبوك؟

يعتقد البعض بأن الفيسبوك هو شبكة اجتماعية يرتادها الشباب فقط، إلا أن واقع الحال يثبت خلاف ذلك، حيث أن هذه الشبكة مفتوحة للجميع: أساتذة جامعات وأدباء وكتاب وفنانين وغيرهم من مختلف الفئات العمرية،يوضح James H. Fowler و

[1]www.Socialbakers.com/facebook-statistique (consulter le: 14/03/2015)

ChristakisNicholas A., في كتابهما بعنوان التواصل "Connected " الكيفية التي تقوم بها وسائل الإعلام الاجتماعية في تغيير حياتنا، أو مصيرنا، في ضوء ما يكتبه أصدقاء أصدقائك على الفيسبوك.[1].ومن الخدمات التي يقدمها الفيسبوك هي إمكانية تكوين ألبومات صور خاصة بالمشترك وعائلته وأصدقائه،يمكن للأصدقاء الآخرين الإطلاع عليها.

ومن يرغب في التسلية فتوجد في شبكة الفيسبوك الآلاف من الألعاب المسلية، وبالإمكان اللعب فيها منفرداً أو ضمن مجموعة من الأصدقاء، ولم تغفل صفحة الفيسبوك قضايا الإعلانات، لأنها مهمة للكثير من الناس، فكيف إذا كانت تعرض بشكل شيق ومتطور، وهذا ما يتيحه الفيسبوك لمستخدميه، وقدم الفيسبوك دليلاً خاصاً بها، يتضمن الملايين من التطبيقات لأغراض كثيرة ومتنوعة. ويقدم الفيسبوك خدمات أخرى أيضاً وهي، إمكانية إضافة روابط مهمة للمستخدم مثل: مواقع الفيديو المفضلة، ومواقع مهنية وثقافية ربما تستهوي المستخدم وتستدعي انتباهه.

وبالعودة إلى النقطة الأساس: من هم مستخدمو الفيسبوك؟ من هم مرتادو هذه الشبكة المثيرة للجدل؟ وإلى أي صنف من الزوار ينتمون؟ وقد تكون هذه الأسئلة هي التي دفعت بالكاتبة الألمانية Elena Zangerوالكاتب خالد الكوطيط، أن يتوقفا أمام نموذج من زوار الفيسبوك والمشتركين فيه،وأن يعتبرا مجموعة من الزوار تندرج ضمن النماذج التالية:[2]

النموذج الأول: المتخفي، ضمن هذا النموذج يرى الكاتبان *"أن الكثير ممن يسجلون أنفسهم لا يفهمون مبدأ التواصل والتشابك، فيخفون صورتهم ولا يقدمون أية معلومات شخصية عنهم للأصدقاء الذين يدعونهم، ويقول الكاتبان: "هؤلاء لا يفصحون عن هويتهم ويكتفون*

[1]- Christakis, Nicholas A. Fowler, James H, Connected: The Surprising Power of Our Social Networks and How They Shape Our Lives -, USA: Back Bay Books; Reprint edition., 2011.

[2]زنغر إيلينا، الكوطيط خالد، مراجعة: المخلافي عبده، قضايا اجتماعية، أطلعني على موقعك بالفيسبوك أقول لك من أنت!، موقع دويتشه فيله. في 11 جانفي 2012.متوفر على: http://www.dw-world.de/dw/article/

بالملاحظة وبالإطلاع على الصفحات الشخصية للمستخدمين الآخرين. وربما يخاف هذا النمط من المستخدمين من أن يفوتهم شيء ما، أو يعيشون طفولتهم من جديد حيث كانوا يكتفون بالوقوف في ركن ما من ساحة المدرسة – يكتفون بمراقبة زملائهم ويكبحون الرغبة في اللعب معهم أو حتى مكالمتهم – لكن التجربة أظهرت أن خيار التخفي ليس بالأمر السيئ على الإطلاق، إذا ما أخذت بعض التعليقات غير اللائقة التي يكتبها البعض بعين الاعتبار"، بالإضافة إلى هذا نجد البعض يستخدم الفايسبوك وظيفيا، أو المسعملين الوظيفيين الذين لا يتكلمون كثيرا لا عن أنفسهم –ماذا يفعلون، ومع من يجلسون، وماذا يأكلون، ولماذا يغيبون–، وعلى الغير من خلال التعليق والتعقيب على ما ينشرونه أو يشاركونه، فعند ولوجهم إلى الفايسبوك فمن أجل هدف عملي محدد سلفا لذا لا يكثر حضورهم على الفايسبوك.

النموذج الثاني: رفيق المدرسة(لم نلتقي منذ وقت طويل)، بهذا يتحدث الكاتبان عن هذا النموذج من الأشخاص فيوضحان: *"هذه الرسالة يتلقاها المرء من أشخاص فقدت آثارهم منذ وقت طويل، وغالباً ما يكونون زملاء من أيام المدرسة. رسالة تثير فضولاً كبيراً عما أصبحت عليه أحوال الآخر، لكن في كثير من الأحيان ما يلبث هذا الزميل القديم أن يختفي ولا يبقى سوى اسمه في لائحة الأصدقاء"*، أو يحيي الفايسبوك ذلك الماضي الجميل ويبعث من جديد تلك الصداقة التي غابت بسبب مشاغل الحياة.

النموذج الثالث: الخطيب السابق أو الخطيبة السابقة،هم أصدقاء غير مريحين، ويتوقف الكاتبان عند هذا النوع من الأصدقاء، الذين يتجسسون على صفحات المشتركين في الفيسبوك.وقد يثيرون بعض المشاكل غير المريحة لصاحب الصفحة، كون أنهم يحاولون التأثير على علاقاته الجديدة، وخلق المشاكل في علاقته مع أصدقائه الجدد.

النموذج الرابع: الأبوين، لاشك أن الكثير من الآباء والأمهات لا يعرفون عن الفيسبوك ما يكفي، إضافة إلى أنهم لا يرغبون في خوض هذه التجربة الجديدة، لكن حرصهم على أولادهم يدفعهم في الكثير من الأحيان إلى التطفل على اهتمامات الأبناء والبنات بهذا التواصل الاجتماعي، والدخول إلى صفحاتهم وطلب صداقة أبنائهم، الذين يقومون بتشكيل مجموعات من الأصدقاء تحد من تدخلات الآباء في شؤونهم، ومن هذه المجموعات التي يشكلونها الأبناء: (دعونا نقصي الآباء من الفيسبوك).

النموذج الخامس: المدير،يتسم هذا النموذج بطابع أكثر ما يقال عنه تجسسي نرجسي، فالمدير يفتح صفحة شخصية له على الفيسبوك، ويدعو العاملين عنده بالتسجيل في الفيسبوك والدخول إلى صفحته الخاصة. ومن هنا يحقق نرجسيته باعتباره يتحكم فيهم حتى وهم في العالم الافتراضي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يصبحون تحت أنظاره ويراقب تحركاتهم وسلوكهم.

النموذج السادس: القريب، يرى الكاتبان في هذا النموذج أنه: "لا داعي لمكالمة القريب البعيد، لمعرفة كيف حاله. فالخبر يمكن قراءته على الفيسبوك، ولا حاجة للحديث عن الجد أو الجدة أو عن أشياء لا أهمية لها. فالفايسبوك يمنح إمكانية البقاء على اتصال بهؤلاء الأقارب دون الحاجة للاتصال بهم"

النموذج السابع: الأصدقاء الحقيقيون، يخلص الكاتبان إلى أن الأصدقاء الحقيقيون هم أصدقاء بصرف النظر إن أضيفوا إلى العالم الافتراضي أولا، ويقولان: "الصديق الحقيقي هو الصديق الذي نعرفه منذ وقت طويل، في هذه الحالة لا يحتاج المرء للفيسبوك للحفاظ على الصداقة لكن ضم هؤلاء الأصدقاء إلى لائحة الأصدقاء على الفيسبوك هو أمر طبيعي على الرغم من قلة أو عدم أهمية ما يمكن إضافته هناك حول هؤلاء الأصدقاء".

4. ثنائية الفايسبوك والهوية في الدراسات الحديثة:

انطلقت العديد من الدراسات في تناولها لثنائية الفايسبوك والهوية[1] من البعد التفاعلي الذي يعد امتدادا لتناولات Goffman، هذا الأخير يعد من الأوائل الدارسينلنظام التفاعل محاولا بذلك فهم الاتصال الشخصي –وجها لوجه– فهما أفضل. وعليه، فإن تطبيق هذه المقاربة في الاتصال الوسائطي عن طريق جهاز تقني ، يأخذ إذا شكل الاستقراء، فمنذ أن تم تعميم الاتصال ونشره بشكل واسع من خلال وساطة الكمبيوتر خلال سنوات التسعينيات، بدأ هذا الاستقراء يأخذ شرعيته، حيث يعد دون شكبعدا مثيرا للاهتمام، لكنه أثار عدة تساؤلات نظرا للحدود التي تفرضها التقنية.

فالاتصال عبر الانترنت يشكل تفاعلا مختلفا عن ذلك الذي تم وجها لوجه، فبالنسبة لـ Miller *فالتفاعلات عبر الانترنت تعد محدودة وضعيفة رغم أن التواصل الالكتروني يسمح بتحديد إطار جديد للتفاعل موسوم بتسميات متطورة، وفرص للعرض الذاتي*".[2]

ومع ذلك يؤكد الباحثون على ضرورة منح الاتصال عبر الانترنت الطابع المعقد ليقترب من ذلك الذي يتم وجها لوجه من أجل خلق هويات رقمية حقيقية،[3] فبعد التطور المتسارع الذي شهدته بداية الألفية الثالثة أصبح الاتصال عبر الانترنت أكثر تعقيدا، خاصة بالنسبة لحالة الفايسبوك، حيث يعد إطارا مماثلا للتواصل الشخصي وجها لوجه

---

[1] على سبيل المثال نجد:

- Georges F., Représentation de soi et identité numérique. Une approche sémiotique et quantitative de l'empriseculturelle du web 2.0, *Réseaux* 2009/2, N° 154, p. 165-193.
- David Myles,les usages d'un groupe facebook en situation de deuil:une étude de cas, mémoire présenté comme exigence partielle de la maitride en communication,université du Québec à Montréal, décembre 2012.
- Boufenara Hanane, Analyse des interactions écrites médiatisées par ordinateur: l'exemple du *chat* en Algérie, Mémoire de Magister, ECOLE DOCTORALE POLE EST ANTENNE CONSTANTINE, Mars 2008

[2] Miller, Hugh..*The Presentation of Self in Electronic Life - Goffman on theInternet : Embodied Knowledge and Virtual Spa ce Conference Goldsmiths'College* (Londres, Juin 1995). Londres : Nottingham Trent University, 1995, p1.

[3] ibidem

(فوجودالصفحة الشخصيةle profil يرمز إلى وجود الذات والآخرين أيضا، الاتصال المتزامن يوفر إمكانية النشر والتعليق...إلخ)، ونتيجة لهذا أصبحت دراسة الهوية الرقمية أمرا شائعا.[1]

ويُعَرف التمثل الذاتي للهوية الرقمية على أنه مجموعة من التحولات التخطيطية أو الرسوم البيانية Graphiques،والصوتية sonors ، والمرئية visuelles للتمثلات الموجودة في فكر – صاحبها المستخدم– لعمل التقنية في التماهي الذاتي ولعلاقة الفرد مع المجتمع، فنظام التمثل الذاتي يعد جزءا فقط من مكونات الهوية الرقمية، هذه الأخيرة تَنتسجُ ما بين مجموع الدلائل – جمع الدليل– التي صرح بها المستخدم ومجموع الدلائل، التي تم تقييمها من قبل الجهاز التقني، حيث أن بناء الأنا من خلال الولوج إلى الانترنت يتم جزئيا من خلال الكشف عن بعض المعلومات والإفصاح عنها، كما يتم نتيجة سيرورة فرز بين المعلومات التي تعتبر مهمة أو غير مهمة.[2]، بالنسبة لـ Georges يتحدث أيضا عن هذه السيرورة التي منحت ولادة لما يعرف بـ " diagramme squelette مخطط هيكل عظمي" الذي يكمن في تلخيص أو تركيز لنسق بياني ظاهر للغير، في اختلافاته من أجل تأكيد هويته الخاصة أو أيضا تلك المتعلقة بالآخرين.

إن دراستنا تهتم أكثر بإعادة التشكل الهوياتي للمستخدم: "فإذا كان علينا تلخيص شخص ما في بضع كلمات أو رموز فماذا سيكون؟" ، بالنسبة لـ[3]. Mitra فترى أن المستخدم له الحق في الولوج على الخط لتشكيل (استطرادي Discursive) للآخر، فالهوية الافتراضية تتمفصل من خلال النشر المستمر NARB(Narrative Bits) أو بيانات السرد الصغيرة، فالهوية الرقمية لا تستمد دائما مصدرها من سيرورة واحدة للكتابة.

[1]Georges Fanny. «Représentation de soi et identité numérique». *Une approchesémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0*, op cit, p.168.
[2]Georges Fanny, «Représentation de soi et identité numérique». *Une approche sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0*, op cit,
[3]Mitra, Ananda,.« Creating a Presence on Social Networks via Narbs ».*TheGlobal Media Journal*, vol. 9, no 16, 2010.p. 1-18.

يركز Georges على وجود ثلاثة مكونات للهوية على الخط[1]، سنذكرها بإختصار هنا لنعيد إليها بالتفصيل فيما بعد:

– الهوية المصرحة l'identité déclarativeأو الحضور الذاتي وتتكون من بيانات مقدمة من قبل المستخدم أثناء تسجيله على شبكات التواصل الاجتماعي مثل الاسم، السن، مكان الإقامة...إلخ.

– الهوية النشطة L'identité agissanteتتكون من تاريخ أنشطة المستخدم وتمثل مجموع الأفعال المرئية التي قام بها مثل (نشر وضعية publication d'un statut الانتماء إلى مجموعة adhésion à un groupe مشاركة رابط ما le partage d'un lien URL، إضافة صداقة ajout d'une nouvelle amitié ...إلخ).

– وأخيرا الهوية المحسوبة l'identité calculéeوتتكون من نتائج الحسابات التي أجراها الجهاز التقني نفسه (مثل عدد الأصدقاءle nombre d'amie، عدد المجموعات التي ينتمي إليها المستخدم le nombre de groupe aux quels adhère l'usager، عدد الصور المتشاركة le nombres de photos partagé ...إلخ

إن هذه العناصر الثلاثة يمكن أن تساعدنا في دراستنا، حيث تظهر كيفية تمثل الشاب الجزائري لهويته من خلال استخدامه للفايسبوك، فهذا الأخير يمكن أن يرسم صورة أكثر تعقيدا لسيرورة بناء هوية المستخدمين وعدم الاعتماد فقط على البيانات المنشورة في الهوية المعلنةl'identité declarative، حيث يوجد أيضا استخدام الجهاز نفسه الذي يوفر عدة معلومات (l'identité agissante)، بالإضافة إلى نتائج هذا الاستخدام أو ما يعرف بـ(l'ientité calculée).

[1]Georges Fanny, op cit, p.179

إذا كانت المعلومات التي كشف عنها المستخدم تظهر جزءا من هويته أو على الأقل هويته بالطريقة أو الكيفية التي يريد إظهارها هو، فإن الطريقة التي يستعمل بها الجهاز تؤثر أيضا على صورته المتوقعة. ، حيث أن المستخدم لا يسيطر وحده على معالم هويته حتى على شبكة الانترنت، *" فعلى الرغم من أن صفحات الواب تقتصر فقط على ما يظهر من معلومات يقدمها المستعملون مقارنة مع التفاعل وجها لوجه، إلا أنه يوجد مجال أيضا للحصول على معلومات حول الذوات من خلال طريقة استخدامهم للوسيط، ويتجلى هذا فيما يقولونه وما لا يقولونه"*[1].

فتماما مثل الاتصال المباشر وجها لوجه تعطى بعض المعلومات طواعية، وأخرى عن غير قصد تمنح للآخرين على شبكة الانترنت، فالمؤشرات les indices ليست لفظية أو غير لفظية فقط، ولكن توجد أيضا ما يعرف باللغةالشبهية أو المكملةleparalinguistiquesأو ما يعرف بـ: le paracommunicationالاتصال الشبهي أو مكملات الاتصال.

" أصبح البعض على دراية كبيرة بالواب، يعرفون هيكله الذي اعتادوا عليه ومحتوى صفحاته الرئيسية، مما يمكنهم من استخدام هذا الإطار– المعرفة– بمفارقة في نقل المعلومات بأكثر دقة"[2].

فكلما فهم الفاعل الإطار التقني للتفاعل أكثر، أصبح قادرا على التحكم فيه ومعرفة حدوده – الفعل– كما يتمكن من إبراز صورة أكثر تعقيدا عن نفسه، أو يتمثل في صورة معقدة لدى الآخرين.

[1]Miller Hugh, op cit, p8.
[2]Miller Hugh, look cit, p4.

5. المداخل المختلفة لتناول مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كتقنيةمن منظور سوسيولوجيا الاستخدامات

أبحاث النزعة التقنية:

سنركز أولا على الجانب الأقل معالجة من قبل المختصين في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وهو الجانب الذي يدرس بصمة التقنية على الممارسات الاتصالية، وعلى نطاق أوسع، ممارسات المستخدمين المعرفية.

حسب Josiane Jouet فإن "العديد من الدراسات تشير إلى أن محتوى ومنطق وطريقة استعمال هذه التقنية غير محايدة في بناء الاستخدامات،وبالتالي فإن نوعية البنية اللغوية للنظم التفاعلية أمر أساسي، وفي الواقع تبدو التقنيات الرقمية وكأنها مفعلة للنشاط.

فالباحثة تقارن الفرد بالمادية التقنية وبالقيم العقلانية، والإنتاجية التي تنقل هذه المواد، إذ يجب على المستخدم اكتساب بعض المهارات واحترام الشفرات التقنية وإتباع المنطق الداخلي للجهاز، حيث تلاحظ تقننة الممارسة من خلال أداء جميع الأنشطة العادية عن طريق التقنيات الرقمية، فعمليات الإعلام والخدمات وأيضا ألعاب الاتصال الشخصي مشكُلة من الأوامر والاختيارات والمراقبة التسلسلية والتخزين التي تضمن فعالية النشاط"[1]

في إطار هذه الفرضية، تعد Josiane Jouet من الأوائل الذين قاموا بدراسة تأثير الآلة على الهندسة العقلية للأفراد، ومن خلال سلسلة من المقالات[2] بينت كيف ينحني المستعملون

[1]Miller Hugh, op cit, p374-375.

[2]يمكن الرجوع إلى المقالات في المراجع التالية:

- JOUËT Josiane, « Relecture de la société de l'information », dansCHAMBAT Pierre (Dir.),*Communication et lien social : usages des machines àcommuniquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette,1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.
- JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation »,*Réseaux*, n°60 « Les médiations», 1993.

JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », dans SFEZLucien (Ed.), (1993), *Dictionnaire critique de la Communication*, Tome 1 « Lesdonnées de base – Les théories opérationnelles », Paris, PUF,1993, pp. 371-376.

للإجراءات المنطقية المدمجة في الأجهزة التقنية من أجل تمكينها من العمل بشكل صحيح من جهة، فإن احترام الهندسة التقنية (لاسيما طبيعتها الآلية والرقمية أو التفاعلية) تقود المستعمل إلى اكتساب مهارات محددة، ومعرفة الإجراءات التنفيذية المناسبة وبناء معرفة أدنى بوظائف الأداة.باختصار عن طريق تكييف ممارسات هذا المستخدم لمتطلبات الأدوات التقنية، هذا ما أسمتهبتقننة Technicisation سيرعملية الاتصال. ومن جهة أخرى، تعد أدوات الاتصال المعلوماتية حاملة لقيم معينة كالقيم العقلانية وقيم الأداء والنظام والاتساق التي تخترق الممارسات.

في منظور قريب من منظورJouetJosiane، وفي مقال نشر في مجلة "*Esprit*"، يقوم Pierre Chambatبدراسة المشاكل التي يطرحها إدماج الأنظمة التكنولوجية في المنزل إزاء الاستخدامات والمفاهيم الاجتماعية السابقة للسكن[1]ويبين أن الآليات المنزلية، بما أنها تقوم باختراق داخل الفضاء الخاص، وتغير علاقة السكن (الداخل) بالخارج، ولكن الأهم من ذلك أنها تسلط الضوء على الطبيعة الصارمة لأنظمة العمل المدمجة في الأنظمة التقنية، ويحذرنا من خطر الضبط الذاتي لإدماج روتين الاستخدام في برامج الأنظمة التقنية. *"فتعليم الإنسان لاستعمال الآلة، يجعل عاداته آلية، حتى المرئية منها، تصبح خارجية وجامدة، والخطر يكون أقل بسبب وجود عطل أو عطب نظامي منه عند الوقوع في روتين الجهاز أو في خياراته المبرمجة والمنصبة على أنها معايير، فالآلة تعاقب كل مزحة أو فجوة، فالاستخدام العادي يرجع على المستخدم المتقلب"*[2]

بناء على رأي هذين الباحثين – JouetوChambat–، وكذا من خلال بعض الأعمال الامبريقية، التي تظهر بأن مختصي سوسيولوجيا الاستخدامات ، الذين يقومون بتحليل

[1]CHAMBAT Pierre, « Technologies à domicile », *Esprit*, n°186 « Latélématique ou les nouvelles frontières du privé et du public »,1992, pp. 99-112.
[2]Look cit, p112.

تأثير الأجهزة التقنية على الأنشطة المعرفية للأفراد قليلون[1]، مع ذلك يسلم بعض الباحثين بوجود تشابه بين خصائص المواضيع التقنية وبعض أنماط السلوك، ويعترفون بقدرة الجهاز التقني على تسجيل السلوك في إطار تفاعلي معين.

في سنة1994، وفي عدد لمجلة Réseaux خصص لـ: "الاتصال التحويلي" « la communication itinérante » ، يشير Marc Guillaume للتغيرات الاجتماعية التي يمكن أن تحدث من خلال الميزات غير المصرح بها لقابلية التنقل في الهواتف الخلوية أما Chantal de Gournay فاستكشف في وقت مبكر التطورات الاجتماعية والتنظيمة، التي تحمل بذور إمكانيات تقنية تسمح بالاتصال والتواصل في أي مكان وأي وقت، وتهتم خاصة بالتعديلات الحالية للعلاقات مع المكان والزمان[2].

ولكن يتطرق المختصون في سوسيولوجيا استخدام تكنولوجياتالإعلام والاتصالإلى البصمات التقنية أساسا في صيغ التواصل وأساليب العلاقات الاجتماعية،بتسليطهم الضوء على "التماثل البنيوي بين نظام التشغيل التقني وشكل التبادل بين الأشخاص[3].على سبيل المثال، يبين Christian Licoppeمن خلال مسح ثلاثيلاستخدام هاتف المنزل، والهاتف المحمول، والرسائل النصية القصيرة على الهاتف النقال، بأن كيفية الحفاظ على الروابط مع الأقارب مشكلة جزئيا من طرف أداة الاتصال المستعملة، فهو يربط خاصة الميزات التقنية للهاتف النقال وتطوير نوع العلاقة المسمى بـ"المتصل" « connectè »، فيبدوأن انتشار

[1]GREENFIELD Patricia M, « Les jeux vidéo comme instrument de socialisation cognitive », *Réseaux*, n°67, 1994.

[2] ارجع الى:

-DE GOURNAY Chantal, *L'errance communicationnelle. Ville, mobilité etcommunication*, Paris, Plan Urbain,1989, 36 p.

- DE GOURNAY Chantal, « L'âge du citoyen nomade », *Esprit*, n°186 « Latélématique ou les nouvelles frontières du privé et du public »,1992, pp. 113-126.

- DE GOURNAY Chantal, « En attendant les nomades. Téléphonie mobile et modes de vie », *Réseaux*, n°65 « La communication itinérante »,1994, pp. 9-26.

[3]JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », op cit.

إشارات الاتصال الصغيرة في جميع الأماكن وفي كل الأوقات يسهل توافر وتقليل الجهود المسموح بها من طرف هذه الأداة.[1]

نجد أخيرا من بين بحوث المختصين في سوسيولوجيا الاستخدامات المزيد من الأعمال حول الطرق الجديدة للكلام والتعبير التي تم إستحداثها عن طريق استعمال بعض أنظمة الاتصالات التقنية، لاسيما المكتوبة، كما سنشير بوجه خاص إلى الدراسات التالية المتعلقة بالرسائل، والمينيتيل[2]، ثمالوسائل الالكترونية[3] :

[1]LICOPPE Christian, SMOREDA Zbigniew, « Liens sociaux et régulationsdomestiques dans l'usage du téléphone, de l'analyse quantitative de la durée des conversations à l'examen des interactions », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, Vol.19, n°103 « Le sexe du téléphone »,2000. pp.253-276.

[2]دراسات متعلقة بالمينتال

-TOUSSAINT Yves, « La parole électronique. Du minitel aux nouvelles 'machines à communiquer' », *Esprit*, n°186 « La télématique ou les nouvelles frontières du privé et du public »,1992, pp. 127-139.

-JOUËT Josiane, TOUSSAINT Yves, « Le courrier électronique privé : une nouvelle forme de communication interpersonnelle », dans PELACHAUD Guy (Ed.), *Systèmes et réseaux d'informations, acteurs sociaux et collège invisible [Actesde la Conférence internationale, Dublin, juin 1993]*, AIERI, 1994, pp.125-129.

-HERT P., « Quasi-oralité de l'écriture électronique et sentiment de communauté dans les débats scientifiques en ligne », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°97, 1999, pp.211-259.

-AKRICH Madeleine, MEADEL Cécile, PARAVEL Véréna, « Le temps du mail : écrit instantané ou oral immédiat », *Sociologie et sociétés* (Canada), Vol.32, n°2 « Les promesses du cyberspace », 2000, pp.154-171.

[3]دراسات حول منتديات المحادثة على الانترنت

-BEAUDOUIN V., VELKOVSKA J., « Constitution d'un espace de communication sur Internet (Forums, pages perso, courrier électronique…) »,
Réseaux, Issy-Les-Moulineaux, n°97, 1999, pp.121-177.
-MONDADA M., « Formes de séquentialité dans les courriels et les forums de discussion. Une approche conversationelle de l'interaction sur internet», *Apprentissage des langues et systèmes d'information et de communication*, n°2, [revue en ligne : alsic.uni-fcomte.fr], 1999.
-VERVILLE D., LAFRANCE J.-P., « L'art de bavarder sur Internet »,
Réseaux, Issy-Les-Moulineaux, n°97, 1999, pp.179-209.
-RIVIERE C.A., « La pratique du mini-message. Une double stratégie
d'extériorisation et de retrait de l'intimité dans les interactions quotidiennes »,
Réseaux, Issy-Les-Moulineaux, Vol.20, n°112-113 « Mobiles », 2002, pp.139-168.

أبحاث نزعةالتثاقف التقني« acculturation de la technique »:

نبدأ بفكرة التثاقف التقني « acculturation de la technique »حسب Pierre-Alain Mercier تضم هذه الفكرة الملاحظات والتحاليل الناتجة من ظهور وتطور الاستخدامات الاجتماعية للأنظمة التقنية الجديدة،ويتعلق الأمر بإظهار التنوع بخلاف الافتراضات الحتمية، وكذا بتحديد المنطق في استخدام أو عدم استخدام الابتكارات التي تندرج ضمن فضاء مشكل ثقافيا، حيث أن نمط التملك يجب أن يعكس أشكال العقلانية أو اللاعقلانية خارجة عن معايير النظام التقني، في هذا الصدد، شكل توزيع الأجهزة المعلوماتية المنزلية télématique, péritéléphonie , lapéritélévision magnétoscopes, nouveaux réseauxأسس ملاحظة متميزة".[1].

وبعبارة أخرى لا يتعلق الأمر بدراسة كيفية تسجيل الأنظمة التقنية بصماتها على الممارسات الاجتماعية، وإنما على العكس، بتحليل الطريقة التي تقدم الفئات الاجتماعية المختلفة أو أنواع المستخدمين، سواء بالعمليات التطبيقية أو عن طريق المنشآت الفكرية، التي تمنح معنى للمواضيع التقنية، وتحول الاستخدام وتسجل استعمالها في عالم رمزي خاص.

يفضل هذا المنظور التركيز على تحليل الإدراج السوسيو–ثقافي للابتكارات التقنية، الذي يبقى مهيمنا إلى حد كبير في مجال سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال.[2]

هذا والمزيد فـ JouetJosianeتأكد على أشكال تملك أجهزة الاتصال، فالدراسات تثبت أن التقنية لا تولد الاستخدامات الفريدة، وأن الشق الاجتماعي le social يلعب دورا حاسما

[1]MERCIER Pierre-Alain, « Technicisation de la culture, acculturation dela technique », dans SFEZ Lucien (Ed.), *Dictionnaire critique de lacommunication*, Tome 1 « Les données de base – Les théories opérationnelles », Paris, PUF, 1993, pp.333.

[2]SCARDIGLI Victor, « Déterminisme technique et appropriation :l'évolution du regard porté sur les technologies de l'information », *Technologiede l'information et société*, Vol. 6, n°4 « Technologies de l'information et modes de vie », 1994, pp.299-314.

في إجراءات التبني، *فالتثاقف التقني يستند على البناء المنطقي للاستخدام، فالاستخدام يقوم على أصل التقنية، والممارسات السابقة، والبنية تحدث بين توظيف أدوات الاتصال الجديدة والقديمة... وإن التعميم الاجتماعي لأدوات الاتصال يمر عبر نماذج الامتثال للمشروع التقني، وكذا تحويل التطبيقات المحددة مسبقا كما نلاحظ أيضا الرفض النهائي ...ففي الواقع، فإنه من خلال تبسيط وتطوير الممارسة الملموسة فإن التكنولوجيات الجديدة تصبح عامل مساهم في تحول أنماط الحياة، وإن تغلغل أدوات الاتصال الجديدة في المنازل يعتبر أيضا فرصة لتحليل أثرها على الحياة المنزلية (وفقا للتكوينات العائلية المختلفة، فإن هذه الأدوات يمكن أن تصبح عوامل تقوية العلاقات الشخصية) وملاحظة تأثيراتها الأصلية والجنسية*.[1]

وبذلكيقوم المختصون في سوسيولوجيا استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال بوصف أشكال مختلفة من الذاتية الفردية والجماعية الموقعة من طرف مستخدمي وسائل الاتصال، حيثأنهم يسلطون الضوء على تعدد الممارسات ومعنى هذه الأنظمة التقنية ويؤكدون على الدور المحوري للمستخدمين العاديين لتحديد منطق الاستخدام[2] أو بناء معنى كل تقنية.وخاصة Victor Scardigli الذي يعد حريصا على أهمية التملك الفعال l'appropriation active للتقنية من قبل الفاعلين، وإدماجها في النماذج الثقافية، وبعبارة أخرى، الانتباه إلىإنتاج معنى التقنية الذي تمنحه الاستخدامات الاجتماعية، أي ملاحظة مشاركة المستخدم في إبداعla co-inventionلتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC من قبل مستعمليها.[3]

[1] JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », op cit,1993, 373.

[2]PERRIAULT J., *La logique de l'usage. Essai sur les machines àcommuniquer*, Paris, Flammarion, 1989.

[3]SCARDIGLI Victor, « Les technologies de l'information changent-ellesles structures de la vie en société ? », dans FREEMAN C., MENDRAS H., *Leparadigme informatique : Technologies et évolution sociale*, Paris, Ed. Descartes et Cie, 1995, pp.61-76.

إن المختصين في سوسيولوجيا استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال يحاولون وصف البناءات الرمزية المتناقضة والأجهزة التقنية، وكذا المعاني التي يقدمها الأفراد للاستخدام، وخاصة يظهرون وصفا للخطابات المشاركة في بناء المعنى المقدم لمختلف الأدوات الاتصالية، وهذا ما يمكنها مثلا من الظهور وكأنها أدوات حرية وحكم ذاتي، أو بالعكس تظهر وكأنها أدوات عزلة ورقابة، وترفض أيضا فكرة الحتمية الرمزية.

من هذا المنظور، يأخذ الباحثون دور هذه التصورات على محمل الجد بسبب تأثيراتها على التمثلات والممارسات المنشأة حول أدوات الاتصال. على سبيل المثال، يظهر Victor Scardigli كيف أصبحت المخيلة الجماعية للتقدم محركا قويا للفعل ولتعريف الاستخدامات الفعلية للتكنولوجيا.[1]ومن جهته، يباشر Patrice Flichy تحقيقه حول "تصورات الانترنت" مسلطا الضوء على مدى مشاركة هذا الأخير في تحديد إطار مرجعي للممارسات.[2]

في الختام نلاحظ أن هذا العرض الموجز للوساطة المزدوجة قد أصبح شرطا أساسيا لأي دراسة متعلقة باستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال عموما ووسائط الاعلام الجديد خصوصا، وأنها سمحت خاصة بتجديد التفكير حول التغيير الاجتماعي والتطرق إلى الاستخدام كبناء اجتماعي وتقني، مما يسمح للباحثين بالتغلب على الرؤى المهيمنة للابتكار التكنولوجي، خاصة تلك التي تتعلق بالخطابات حول ظهور مجتمع المعلومات.

[1] SCARDIGLI Victor, *Le sens de la technique*, Paris, PUF, 1992
[2]FLICHY Patrice,*L'imaginaire d'Internet*, op cit.

الفصل الثاني: مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات

1. ظهور مقاربة الاستخدام وتطور أبحاثها

يعتبر كل من Josiane Jouetو Pierre Chambat وSerge Proulxمن أهم الرواد المؤرخين والمنظرين لسوسيولوجيا الاستخدامات، حيث يركزون على ميزة التعدد وتنوع الإشكاليات في التيار، والاعتراف المؤسساتي التدريجي بها، وعلى التنوع في البحوث التي تشملها.

وبالتركيز على النصوص التلخيصية([1]proulx 2002،chambat1994[3] jouet 2000[2]) نصبح بحاجة إلى تتبع الخطوط المؤدية إلى نشأة هذه المقاربة، فضلا عن الجوانب المتعددة لتطورها، قبل عرضنا لتفاصيل الفرضيات التي تقوم عليها البحوث المندرجة في إطار تيار سوسيولوجيا الاستخدامات.

تشددJouet Jousianeعلى صفة تزامن الأبحاث الفرنسية الأولى المتعلقة بأدوات ووسائل الاتصال، مع الأبحاث الأولى لسوسيولوجيا الاستخدامات، فحسبها فإن الأبحاث الأولى أنجزت في قسم الأبحاث الاستقباليةDRP لـ: l'INA تزامنت مع صدور أول نشرية ساهمت في تداول "شعبية" مفهوم الاستخدام، وكذا دراسة Badoulin , Gaudin, et Mallein . المعنونة[4] بـ « Le Magnétoscope au quotidien un demi puce de liberté »، سنة 1983، والتي أكدت بصورة كبيرة على أن الأبحاث الأولى والمتعلقة بأدوات ووسائل الاتصال، لم يشرف عليها باحثون مختصون في الاتصال، أو وسائل الاتصال الجماهيري، حيث تطورت خارج النماذج الكلاسيكية لعلوم الإعلام والاتصال (وسائل الإعلام،

[1]Serge Proulx, Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles – tendances, op cit.

[2]JOUËT Josiane, « Retour critique sur la sociologie des usages », op cit

[3]CHAMBAT Pierre, Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC) : évolution des problématiques , op cit.

[4]BABOULIN J.C., GAUDIN J.P., MALLEIN Ph., *Le magnétoscope au quotidien : un demi-pouce de liberté*, Paris, Aubier INA/Res Babel, 1983.

السيمولوجيا...). فسوسولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال Tic، نستطيع أن نقول أن ظهورها كان سري نسبيا، وكان متأثرا بالمناقصات التي أطلقتها المديرية العامة للاتصالات D.G.T ، والمركز الوطني لدراسات الاتصالات CNET(الفرنسي)، ووزارة البحث، والتي ساهمت في تطوير الأعمال المنجزة من هذا المنظور.

توجد العديد من المراجع التي تشير إلى أن ظهور هذه المقاربة كان خلال ثمانينيات القرن الماضي، Marchand et Ancelin 1984، Jauréguiberry[1] 1989، JOUËT Josiane[2] ولكن بدايات التسعينيات شهدت تطور ونمو سوسيولوجيا الاستخدامات، حيث أن تعداد الأعمال العلمية الهامة، ينهض بهذا الأسلوب في التصور والفهم بالإضافة إلى نشر العديد من الأوراق النظرية في منتصف التسعينيات تشهد على تقارب مهم حول مسألة الاستخدامات والمستخدمين، وأدوات الاتصال خلال هذه الفترة.

أما فيما يخص المصادر والأصل النظري وأصل التخصص لهذه المقاربة، التي ظهرت بظهور الاستخدام، فالتفاسير تختلفJousiane Jouet، من جهتهاتبرز الاستقلال النسبي لسوسيولوجيا الاستخدامات تجاه إشكاليات التلقي التي تطورت داخل سوسيولوجيا وسائل الإعلام الجماهيري البريطانية، وهي تؤكد على تأثير الأفكار والتأملاتفي حقل السوسيولوجيا السياسية، سوسيولوجيا التغيير الاجتماعي وسوسيولوجيا أنماط الحياة. *في الواقع، الإشكاليات التي لعبت دور العامل الأول في تيار سوسيولوجيا الاستخدامات لا تُرد إلى مجال الاتصال بقدر ما هي نابعة من مقاربات سوسيولوجية جديدة ظهرت بعد 1968، والتي صبت جم اهتمامها على دراسة تحولات المجتمع. وإشكاليات سوسيولوجيا أنماط الحياة والسوسيولوجيا العائلية والسوسيولوجيا المهنية، كانت جد مثمرة في هذه الفترة حيث تأثرت بتيار الاستقلالية الاجتماعية (الذاتية) l'autonomie sociale. وتشير كتابات عدة إلى أن هناك هشاشة في هياكل الانتماء (الأصلي) التقليدي (إزالة الفوارق الاجتماعية، الابتعاد عن*

[1]JAUREGUIBERRY Francis, *Un goût d'ubiquité. Usages sociaux duvisiophone*, IRSAM / CNRS, 1989.
[2]JOUËT Josiane,*Des usages de la télématique aux Internet Studies*, op cit.

الدين والنقابات...) أزمة المؤسسات (التربية الوطنية والصحة والعائلة)، تفكيك الإيديولوجيات، الخ. فهي كلها عوامل تغيير رافقتها ممارسات اجتماعية فريدة من نوعها.[1]"حيث أحيت بعض المفاهيم التي تعود إلى الاثنوميتودولوجيا، والألسنية الاجتماعية، وسوسيولوجيا الابتكار وذلك لدراسة علاقة الاجتماعي بوسائل الاتصال.

وهناك مؤلفون آخرون يصفون التحولالكبير خلال سنوات الثمانينات، والمتعلق بمقاربة الإشكاليات المختصة بالابتكارات التقنية، والاتصال ووسائل الإعلام، مشكلة نظرة استقبالية للاستخدام (Breton et Proulx ، 1989، Chambat ،1994 ، Mallein, Toussaint 1994، Scardigli ، 1994). Victor Scardigli مثل Philippe Malleinو Yves Toussaint كل هؤلاء رجحوا الانتقال ضمن الأشغال العلمية، من مقاربة "تقنو–منطقية" إلى " تقنو–اجتماعية"، هيمنت خلال السبعينيات مع تفضيل التحليل المركز على العرض التقني وتجلياته الاجتماعية، مع وضع علاقة سببية بين الابتكارات التقنية والتغيير الاجتماعي، إلى مقاربة "سوسيو–تقنية' يتم فيها التطرق إلى استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال كمفاوضة بين العرض التقني والطلب الاجتماعي.

في الأخير، يبدو لنا أن كتابات Michel de Certeau حول مهارات العمل اليومية lesarts de faire quotidiens[2] تشكل إحدى مصادر إلهام معترف بها إجماعا من طرف مؤيدي مقاربة الاستخدام، خاصة الذين يميلون إلى مقاربة كيفيات التملك، والاستخدامات للاكتشافات التقنية.

1 JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages, op cit, p494.

2 Michel de certeau, l'invention du quotidien, tome1 : arts défaire, paris, Gallimard,1990.

2. مقاربة الاستخدام تيار علمي متعدد التخصصات

إذا اختلف منظرو سوسيولوجيا إستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC حول أصول هذه المقاربة، فإن Pierre Chambat et Jousiane Jouet يؤكدان على تنوع المصادر النظرية، والبراديغمية، والتخصصية، التي يتغذى منها هذا الحقل، وأكثر من ذلك، على تعدد تخصصات هذا التخصص pluridisciplinaire .

يؤكد Pierre Chambat أن سوسيولوجيا الاستخدامات لا تظهر في الأصل كتيار متجانس ومهيكل، وأنه لا يشكل تخصصا فرعيا معروفا في علم الاجتماع، "*كسوسيولجيا العمل مثلا، تملك شرعية نتعرف عليها من خلال إشارات مؤسساتية*"[1]. حيث أن الدراسات التي تنتمي إلى هذا التيار بشكل واضح، تعد ذات طبيعة فسيفسائية، حيث تنتمي إلى سوسيولوجيا التقنيات والاتصال وأنماط الحياة.

بعد ستة سنوات، JousianeJouet تتوسع في هذه الفكرة مصرحة: *"في غياب مراجع نظرية مشكلة،ونماذج للتطبيق، نشأت سوسيولوجيا الاستخدام من فيض من التراكيب الفكرية والتقاليد التصورية*"[2]، وأشارت أيضا إلى الضعف العددي للباحثين الفرنسيين الذين يدعون انتسابهم إلى هذا المجال، والذي يرجع إلى غموض أصوله.

Pierre Chambatيصر على إيضاح مفهوم الاستخدام نفسه *"علاوة على بديهية المعنى المشترك نجد له معان كثيرة، تختلف حسب العلاقة الموجودة بين ما هو تقني وما هو اجتماعي*"[3] فهو محل اختبار لمقاربات عدة للاستخدام، حيث تطور في ظل سوسيولوجيا التوزيع، والابتكارات، والتملك. وأخيرا، يشدد Pierre Chambat على الطبيعة المتعددة لهذاالمفهوم، وقدرته على بلورة الاختلافات أكثر من إبرازه لتيار سوسيولوجي خاص: " *في*

[1]CHAMBAT Pierre, Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC) : évolution des problématiques,op cit, p254.
[2]JOUËT Josiane, Retour critique sur la sociologie des usages, op cit, p 493
[3] CHAMBAT Pierre, Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC) : évolution des problématiques,op cit, p249.

حين نجد أن مسألة الاستخدام تحتل مكانة هامة بل ونامية في ميدان سوسيولوجيا تكنولوجيات الإعلام والاتصال، فالمحتوى والحالة النظرية للمفهوم هما بعيدتان كل البعد عن التوافق، فلا جدوى من الادعاء هنا بإعطاء تعريف، لأن معناه ينجم عن خيارات نظرية تجاوزها: فهو يساهم بالفعل بالنقاش في السوسيولوجيا، يقابل العامل بالفاعل، المستويات المايكرو بالماكرو Micro et Macro، التقني بالاجتماعي، الامبريقية بالنظرية النقدية. إذا فهو يشكل على الأقل نقطة ارتكاز للتحليل (...). مفهوم مفترق الطرق، مع ذلك فبإمكان الاستخدام أن يكون فرصة لمواجهات بين الاختصاصات التي تتقاسم حقل الاتصال[1]."

إن وقائع أشغال المؤتمر المنعقد سنة 1992 تحت إشرافPierre Chambat والمعنون بـ: " Communication et lien social: usages des machines àcommuniqué" تشهد على تنوع الباحثين والأبحاث الفرنكوفونية في حقل سوسيولوجيا الاستخدامات، ففي بدايات التسعينات نجد هذا المرجع الذي جمع بين الباحثين الفرنسيين المهتمين بهذه المقاربة، والذي وفر نظرة عن تباين أعمالهم، خاصة من زاوية الأدوات الاتصالية المدروسة (التلفزيون عالي الوضوح TV haute définition ، الكابلات، الفاكس، المينيتال، أنظمة المراقبة عن بعد، بطاقات الذاكرة، المعلوماتية المنزلية informatique domiciliaire ...) حيث يقدمون رؤى وإسهامات مهمة ، فنجد مثلا Guillaume, Chambat يقدمان تأملات عامة حول الآلات الاتصالية. أما Quéré فينسج قراءة نقدية لهذا التيار، ويساءل remettre en) question)هجانة الآلات التقنية، والقيم الثقافية والاجتماعية، وبخصوص Sfez et Musso فيريان أن طريقة التفكير في سوسيولوجيا الاستخدامات تقترب من علم الاجتماع السياسي، وأخيرا نجد Toussaint et Gourney فيريان أن سوسيولوجيا الاستخدامات هي عبارة عن اثنوغرافيا تستهدف استخدامات بعض تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC .

[1] CHAMBAT Pierre, Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC) : évolution des problématiques,op cit, p263.

على الرغم من هذا التنوع فان مجموع هؤلاء المساهمين يجتمعون حول نواة مشتركة، بالإضافة إلى أن هذا المرجع يعكس ديناميكية التفكير حول الاستخدام، ويتنبأ حسب Pierre Chambat بولادة مدرسة حقيقية، غير مرئية collège invisible.

هذا التنوع وهذا الاختلاف في التأويلات مرتبط بنشأة هذا التيار، وهذا الزخم المفاهيمي يفسر لدرجة كبيرة صعوبة رسم حدود واضحة للأعمال المتعلقة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال، لوصف تلك التي يمكن أن نسقطها في خانة سوسيولوجيا الاستخدامات، ومع تنوع وتعدد تخصصات هذه الأبحاث، فإن سوسيولوجيا الاستخدامات تظهر على أنها تتمحور حول نواة مشتركة من الفرضيات والمسلمات،كما سنرى فيما يلي.

3. الفروض العلمية لتيار سوسيولوجيا الاستخدامات

من خلال الملاحظة المسحية التي أجريناها على مجموعة معتبرة من البحوث التي تندرج كليا أو جزئيا في تيار سوسيولوجيا الاستخدامات تمكنا من الوصول إلى استنتاج مهم يكمن في أن أغلب هذه الأبحاث بحثت جزئيا أو كليا في إطارالفرضيتين البحثيتين التاليتين:

الفرضية الأولى والمرتكز على القاعدة الابستيمولوجية التالية:إن معالجة وتناول موضوع استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصالles TICيتأتى من خلال ما يعرف بالوساطة المزدوجة، –اجتماعية وتقنية–، تعمل بين وسائل الاتصال ومستخدميها.

تعتبر الوساطة المتبادلة بين التقني والاجتماعي أمر أساسي بالنسبة لتفكير علماء سوسيولوجيا الاستخدامات، لاسيما عندJosiane Jouetففي عام 1993 قامت بنشر مقال نظري يعد رئيسيا بالنسبة لنا، أرستJouetمن خلاله أسس هذا النموذج من الوساطة المزدوجة، من خلال ملاحظة طريقة العمل الاجتماعي في تعاطيه مع تقنيات

الاتصال، فتقول أن *"ظهور النظام التقني في عملية الاتصال لا يستبعد العمل الاجتماعي في محتوى التفاعل"*.[1]

وتؤكدJouet في هذا المقال على الأصول النظرية، وطبيعة إختصاص هذه المقاربة، من خلال تلخيصهاللنماذج التي إفترضت العلاقة بين الأجهزة التقنية والأحكام الاجتماعية، فهي تؤكد بشكل خاص على المقاربة التاريخية المنتهجة من طرفPatrice Flichyالذي ينفي الفصل الجذري بين البناء التقني للجهاز وبنائه الاجتماعي، ثم تشيرJosiane Jouetإلى المساهمة الأساسية لأنتروبولوجيا العلوم، التي تذيب الفجوة بين الاكتشافات العلمية والسيرورات الاجتماعية، مع التركيز بوجه خاص على نموذج الترجمة لـ:Latour et Callon، كما تقوم أيضا بالثناء على أعمال المختصين في الإثنوميتودولوجيا وعلماء الاجتماع واللغويين الاجتماعيين، الذين يأخذون بعين الإعتبار التفاعلات المعقدة بين الأجهزة التقنية ومستعمليها[2].

كما خاضتJosiane Jouetفي الإنتماءات النظرية لسوسيولوجيا الاستخدامات، وسنركز هنا على الإفتراضات للمصادر النظرية الثلاثة المتناولة للوساطة المزدوجة للتقني والاجتماعي .

أولا، لمسائلة ونقد أفضل للخطابات التي تفترض ظهور تغيرات اجتماعية كبيرة تحت أثر وسائل الاتصال الجديدة، وتتغاضى عن الوجود الاجتماعي القبلي للأطر والممارسات، معتبرة الابتكار التقني متحرر عن ظروف اعتماده، يقوم المختصون في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال بتبني أعمال نظرية لسوسيولوجيا الابتكار، والتاريخ السوسيوتقني، وخاصة النموذج الذي سيتم اقتراحه من قبل Patrice Flichyسنة1995في كتابه *L'innovation technique: Récents développements en*

[1]JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de lamédiation »,*op cit*, p17.

[2]JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », dans SFEZ Lucien (Ed.), *Dictionnaire critique de la Communication*, Tome 1 « Les données de base – Les théories opérationnelles », op cit.

sciences sociales, vers une nouvelle théorie de l'innovation[1]من أجل تنظيم صياغة معقدة وتفاعلية بعيدة عن أي حتمية بين التقني والاجتماعي وكذا اعتماد منظور إجرائي وتبادلي، يستندPatrice Flichyعلى المفهوم المركزي للأطر المرجعية السوسيوتقنية، فهو يسعى لوصف الأوقات الثلاثة لهيكلة نشأة واستقرار هذه الأطر[2]:

- الأول، يتوافق مع ما قبل التأريخ للابتكار.
- الثاني، فيعد وبشكل خاص فترة غير مستقرة، أين تتداخل المشاريع المتناقضة أحيانا، و/ أو يحدث تقارب بين العناصر الطوباوية والخيالية
- الثالث، مرحلة حدود الجهاز التقني، وهي مرحلة رفع الغموض، مرورا من الميثالية إلى الواقع ومن التجريد إلى التجسيد.

بناء علىPatrice Flichy، يسعى المختصون في سوسيولوجيا الاستخدامات إلى وصف سيرورات الإستقرار في الاستخدامات الاجتماعية لأدوات الاتصال، انطلاقا من مبدأ أنه لا يتم نشر الأنظمة التقنية واستعمالاتها في فراغ اجتماعي: "لا يمكن تطوير أي إبتكار دون تعديل لإيجاد مستعملين جدد، وبدورها التغيرات في أنماط التنظيم الاجتماعي تحقق خدمات ومنتجات جديدة، كانت غير جلية في وقت سابق، على الرغم من أنها كانت ممكنة، فلم يظهر لا الترانزستور*le transistor*، ولا التلفزيون، ولا حتى الأنترنت، في الوقت الذي سمح لهم التقدم التقني: حيث توجب الأمر معادلة تقنية واقتصادية واجتماعيةمن أجل الظهور. باختصار، فإن التقدم التقني القصير والسريع جدا يندرج دائما في نظام سوسيوتقني معقد"[3]

وفي الوقت نفسه،تؤكدJosiane Jouetقائلة"*يتم أيضا تحليل استخدام التقنيات الجديدة من خلال نوع التجربة التي تجري بين الفرد والأداة التقنية، أين تلعب طريقة الاستعمال عن*

[1]FLICHY Patrice, *L'innovation technique. Récents développements ensciences sociales. Vers une nouvelle théorie de l'innovation*, Paris, La Découverte,1995, p255 .
[2]Ibidem.
[3]GUILLAUME Marc ,*Où vont les autoroutes de l'information ?*, Paris, Descartes & Cie, 1997.

طريقالدليل التوجيهي دور الناقل من الآلة نحو المستخدم، حيث لا يدرك المستخدم بعض عناصر الجهاز،كما يعيد تفسير البعض الآخر، أو ينحني إلى النمط السوسيوتقني للآلة، فتتم الترجمة والتفسير من خلال مفاوضات دائمة بين الأداة والمستخدم"[1]

ثانيا: وفي مجال البحث في تكنولوجيات الإعلام والاتصال، يعتبر كل من Madeleine AkrichetDominique Boullierهما الوريثان الأساسيان لنظريات سوسيولوجيا الابتكار،حيث جمعا بين إسهامات هذه المدرسة الفكرية – التي تركز أساسا على عملية التطوير التقني، مع سوسيولوجيا الفعل أو النشاطsociologie de l'action[2]، حيث يتجاوز هذين الباحثين التمييز الأساسي بين الرجل والآلة – أي ثنائية التقني والاجتماعي–لتطوير مقاربة فيما يخص التعديل المتبادل، ففي وقت مبكر كانا يهتمان بإدماج الاستخدام طوال المسار الإبداعي من قبل المصممين، فظاهرة الترجمة والتفسير تتم بين أداة الاتصال وطريقة استعمالها والمستعملين وكذا أنظمة التعديل أو التنسيق بين الأجهزة التقنية ومستخدميها ، فقد درسا معا من هذا المنظور تشكل طرق الاستخدام، وواصلا بعدها بحثها بشكل مستقل، كل واحد على حدا، من خلال تطويرهما لنماذج نظرية حول استخدام وسائل الاتصال المتنوعة من مثل الموزع الآلي للتذاكر في محطات السكك الحديدية وأنظمة المراقبة عن بعد و البريد الإلكتروني.

أخيرا، يغذي المصدر النظري الثالث تفكير علماء سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال حول الوساطات المتبادلة بين أجهزة الاتصال والمستخدمين من: المقاربة السوسيولغوية والتحادثية،" تُظهِر من جهتها تعقيد حالة الجهاز التقني مقارنة بالنشاط التواصلي، فلا نبالغ إذا وصفناه بالعلبة السوداء، حيث أن الوسيط كجهاز تقني يتضمن جوانب عدة للعلاقة التفاعلية، كونه موضوع تقني كما يتضح من خلال تحليل الهاتف

[1] JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », op cit, pp 374-375.
[2]BOULLIER Dominique, *L'usager, l'utilisateur et le récepteur : douze ans d'exploration dans les machines à communiquer*, Habilitation à diriger des recherches, 1995.

المرئي والبريد*la messagerie conviviale*"[1]، كما يقوم المختصون في الاثنوميتودولوجيا والسوسيولغويون، بالإضافة إلى الدراسات حول التفاعل العملي بين وسائل الاتصال ومستعمليها، بوضع تحليل شامل للهياكل الرمزية المتعلقة بهذه الأدوات، والإهتمام خصيصا بوضعيتها كأداة،"artefact communicationnel"، "موضوع متصل"، وكذا "أجهزة الاتصال"[2]

يهتمLouis Quéréبمسألة "البناء الاجتماعي للفردانية والسلوك الاجتماعي للمواضيع والأجهزة التقنية"، فالمبدأ الرئيسي في تحليله يتمثل في اعتبار أنه "لا يوجد جهاز في حد ذاته للتواصل، ليصبح موضوع أو جهاز أو آلة ما، باختصار، بمجرد أن بعض الأجهزة يمكن أن تصبح محددة وملاحظة ومستعملة وقابلة للتحليل والوصف كأجهزة اتصال، سواء للاستخدام أو للخطاب، من جهة إلى أخرى، يوجد بناء اجتماعي يجب أخذه بعين الاعتبار"[3].

من جانبها تقومMichel de Fornelبتحليل الاستخدام التجريبي للهاتف المرئي في بياريتزBiarritzوتتسائل عن وضعية آلة الاتصال[4] بعد التفصيل في المهارات والتعديلات التفاعلية المنفذة من قبل مستخدمي الهاتف المرئي، خاصة من خلال مقارنة هذا الجهاز مع خصائص الاتصال المباشر وجها لوجه، تختمMichel de Fornelمقالها مشيرة إلى أن الهاتف المرئي ليس مجرد أداة، ولكنun véritable artefact interactionnel، "فهو لا يكتسب هذا الوضع إلا بظهور تدريجي للممارسات والمهارات من أجل أن يشتغل الهاتف المرئي كآلة اتصال، وهيكل وسائطي.

---

[1] JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », op cit, pp 374-375.

[2]QUERE Louis, « Espace public et communication : remarques sur l'hybridation des machines et des valeurs », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes duColloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

[3] QUERE Louis, loc cit, p32.

[4]DE FORNEL Michel, « Le visiophone, un artefact interactionnel », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication et lien social : usages des machines àcommuniquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette,1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

قامت تيارات الفكر الثلاثة وأنظمتها النظرية بما فيها التاريخ السوسيوتقني، وسوسيولوجيا العلوم وسوسيولوجيا الابتكارات، والاثنوميتودولوجيا، بتزويد البحوث المتعلقة باستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال بخلفية علمية من خلال إبراز الإدماج المزدوج للتقنية في المجتمع والمجتمع في التقنية.

الفرضية الثانية والمرتكزة على القاعدة الابستيمولوجية التالية: "التفكير متجدد حول العلاقات المتبادلة بين المبتكرات التقنية والتغيرات الاجتماعية".

على الرغم من أن العديد من الكتاب والباحثين المختصين في سوسيولوجيا الاستخدامات، يرفضون الخطاب المغالي بإيجابية "مجتمع المعلومات"، إلا أنهم ليسوا أقل اهتماما بإشكالية التغيير الاجتماعي، حيث يشككون في التأثير المباشر لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TICعلى أنماط وطرق الحياة، وكذا طريقة التنظيم والتفكير، ولكن حاولوا تطوير مقاربة معقدة للوساطة بين المبتكرات التقنية والتغيرات الاجتماعية،.

إن المختصين في تكنولوجيات الإعلام والاتصالTICينتجون أفكارا وتأملات تندرج غالبا في حقل أوسع من التساؤلات الكلاسيكية حول التغيرات الاجتماعية الجارية، إلى حد أن Alain Grasفي مقدمة الكتاب المعنون بـــ: *Sociologie Des Techniques de la Viequotidiènne*، بدأ بالإشارة إلى أن تقنيات الحياة اليومية يجب أن ينظر إليها في سياق أوسع لمسائلة حول التغيير الاجتماعي[1].

إن الأعمال المنجزة حول استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال بداية من سنوات الثمانينات، إلى غاية العشرية الأولى من الألفية الجديدة، مع التركيز على إدراج دراسة

[1]Gras A, JOERGES B, SCARDIGLI Victor (Eds.), *Sociologie des techniques de la vie quotidienne*, Paris, L'Harmattan, 1992.

الممارسات الاتصالية في سياق مناقشة أوسع حول تطور مكانة الفرد في المجتمع، وحول تطور الروابط الاجتماعية، وحول تحولات الأدوار الاجتماعية والتنظيمات العائلية، وحول تطور أنماط الحياة، والمعايير والمؤشرات المكانية والزمانية التقليدية، والممارسات الحضرية، وحتى على التحولات الأنتروبولوجية المعاصرة.

من أولى المهام الموكلة للمختصين في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال هو تسليط الضوء على التناقض الصارخ بين الواقع الاجتماعي والمبالغات المتعلقة بالتغيرات الاجتماعية المتوقعة تحت أثر الانتشار الواسع لأجهزة الاتصالات، وسوف نجد أيضا أنه في الوقت الذي نشأ فيه وسط علمي منشغل بمسألة الاستخداماتظهر عددمهم من النصوص المتعلقة بتصور التطور المجتمعي، من مثل مقالاتChambat[1]وكتاباتScardigliفبينما أُعلن عن ظهور مجتمع الاتصال منذ أكثر من 20 عاما، فإنPierre Chambatيلاحظ رفقة آخرين[2] أن التغيرات العميقة في أنماط الحياة التي تم التنبأ بها لم تتحقق بعد.

أماToussaintYvesفي مقاله المعنون ب: « *La parole électronique duMinitel aux Nouvelles Machines à communiquer*"[3]يشير أيضا إلى المينتال والتغيير الاجتماعي، حيث ركز على الهوة الموجودة بين المثالية التقنية وواقع الإدماج الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصالTIC،وأخيرا وكما أشارتJosiane Jouetفإن الأفراد يفعلون نفس الشيء ولكن بشكل مختلف حيث أن التغييرات الاجتماعية هي أقل شعبية ودراماتيكية من تلك التي تم الإعلان عنها،فحتى ولو كان يمكن ملاحظة الأثر الفعلي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال تكون مرئية فقط في الفجوات الاجتماعية[4]، علاوة على ذلك يبدو أنه بالنظر إلى التغيرات

[1] - مقالات Chambat سيق وأن تطرقنا إليها في التهميشات السابقة، أما Scardigli فنجد من بين كتاباته :
-SCARDIGLI Victor, *Le sens de la technique*, Paris, PUF, 1992.
[2]CHAMBAT Pierre, « Communiquer, relier », dans CHAMBAT Pierre (Dir.),*Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes duColloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, EditionsDescartes, 1992.
[3]TOUSSAINT Yves, « La parole électronique. Du minitel aux nouvelles 'machines à communiquer' », *Esprit*, n°186 « La télématique ou les nouvelles frontières du privé et du public », 1992.
[4]JOUËT Josiane, « Relecture de la société de l'information », op cit.

المسهلةلظروف الحياة عن طريق استخدام الأدوات الجديدة للاتصال، وتغيرسبل الوصول إلى المعلومات، وكسر الحدود التقليدية للتقسيم اليومي للحياة، وتغيير أنماط المؤانسة الاجتماعية...إلخ، فإن الأفراد يعيدون ترتيب ممارساتهم .

بالنسبة لـVictor Scardigliوبقية أنصار تيار سوسيولوحيا الاستخدامات، لا ينبغي اعتبار التكنولوجيا العامل الوحيد المسبب للتغييرات في أنماط الحياة بل بالعكس فالعلاقة الجدلية بين المبتكرات التقنية والإبتكارات الاجتماعية هي التي يجب أن تشكل نقطةالارتكاز، حيث أن تكنولوجيات الإعلام والاتصالTICتوفر حقلا متميزا للملاحظة[1]

لتلخيص مبسط للعناصر الرئيسية التي طورها المختصون في سوسيولوجيا الإستخدامات، والمرتبطة بالعلاقة بين المبتكرات التكنولوجية والتغيير الاجتماعي، نفترض أن هذه العناصر يبلغ عددها ثلاثة، وهذا التمييز الثلاثي، الذي بني لأغراض غير واضحة في بعض الأعمال التي إطلعنا عليها.

أولا، يبدوا أن معظم المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات أثاروا هذه الإشكالية، من خلال تشديدهم على أسبقية وجود التغييرات الاجتماعية الواسعة، التي مكنت ودعمت تطوير مختلف تكنولوجيات الإعلام والاتصالTIC، Victor Scardigliعلى سبيل المثال بيَن أن استخدام الهاتف عمم بصفة أقل لدعم الحراك الاجتماعي، ولكن عمم بصفة أكبر لأجل تميز أنماط الحياة بالفردانية، وتحويل المساكن إلى أماكن حياة جماعية[2].

كما أكدJean Pierre Heurtinمن هذا المنظورأن التغييرات الاجتماعية ستكون مرتبطة ومحددة بصفة أقل من طرف الميزات والخصائص التقنية للوسائل الجديدة، مقارنة مع التغيرات العامة التي تخترق الفضاءات الاجتماعية[3].

[1] JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », op cit.
[2]SCARDIGLI Victor, « Les technologies de l'information changent-elles les structures de la vie en société ? », op cit.
[3]HEURTIN Jean-Pierre, « La téléphonie mobile, une communication itinérante ou individuelle? Premiers éléments d'une analyse des usages en France », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°90 « Quelques aperçus sur le téléphone mobile », 1998, pp. 37-50

ثانيا: حاول الباحثون في بعض الأحيان العثور على تقارب بين تطور الممارسات الاجتماعية، وأنماط التنظيم، والميزات التقنية لبعض الإبتكارات التكنولوجية، وفي هذه الحالة، فإن الاستخدامات الملاحظةلأداة اتصالية ما، تتعلق أساسا وترجعإلى احتياجات اجتماعية جديدة[1]، أو بالعكس تجلب تعويضات مقابل التوقعات والانتظار الاجتماعي الجديد، الحاكم عليها سلبا.

Philippe Mallein وYves Toussaintمثلا يؤكدان أن نجاح الإدماج الإجتماعي للمانيتوسكوبMagnétoscopeوالمينتالMinitel في العائلات يفسر من خلال التطورات الواسعة في الأشكال الاجتماعية للعائلات، مثل الانتقال من نموذج التسلسل الهرمي السلطوي إلى النموذج التفاوضي، حيث أن تطور نموذج العيش الجماعي ذو طابع فردي خاصة، أو بعض الظواهر كانفجار الأزواجles couples، والحياة المادية[2]، وفي نفس السياق نجدJean Pierre Heurtinوبعد بضع سنوات، أمد في هذه الملاحظة: حيث أكد على الإستجابة الكافية التي قدمها الاتصال المحمول ردا على الإحتياجات الجديدة، كعدم التعارف وكذا تحرر بعض أعضاء العائلة الواحدة، وكذا ردا على مجموع الاحتياجات الجديدة كإدارة الطوارئ في أماكن العمل[3] .

وأخيرا ومن خلال الجمع بين النموذجين السابقين، نجد أن المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات يظهرون أيضا كيف للإبتكارات التكنولوجية–الأجهزة الالكترونية الجديدة– والتغيرات الاجتماعية السابقة لظهورها –أي المتغيرين معا–، تحضر لتبني وسائل اتصال جديدة، في ظل سيرورة توليد جدلية تتجدد باستمرار، حيث يشير Laurence Bardin[4]إلىذلك موضحا أن التملك الحالي للهاتف النقال كان محضرا ومعدا مسبقا فيقول: "*من جهة، ومن*

[1]HEURTIN Jean-Pierre, op cit.

[2]MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves, « L'intégration sociale des technologies d'information et de communication : une sociologie des usages », *Technologies de l'information et société*, Vol. 6, n°4 « Technologies de l'information et modes de vie », 1994.

[3]HEURTIN Jean-Pierre, op cit.

[4]BARDIN Laurence, « Du téléphone fixe au portable. Un quart de siècle derelationsinterpersonnelles médiatisées en France », *Cahiers internationaux desociologie*, Vol.CXII «Communication et liens sociaux », 2002, p112 .

خلال المستويات السابقة لإستخدام الهاتف الثابت، أو المواد المكملة له، ومن جهة أخرى، ومن خلال بعض التطورات في المجتمع، وكذا الحاجة التعويضية، للاستفادة من المحمول".

وهكذا فإن المختصين في سوسيولوجيا إستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال يقترحون التفكير وبصفة معقدة في التمفصلات بين المبتكرات التقنية والتطورات الاجتماعية، وتجاوز الطرح المباشر الذي ينوء دائما عن ربط التغيير الاجتماعي بصفة مباشرة وآلية باستعمال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، في ظل تغييب للسياقات الاجتماعية والثقافية الأخرى.

4.البناء السوسيوتقني للاستخدام وبروز الهوية الثقافية:

في مقال نشرتهJosiane Jouet سنة 2000بعنوان « retour critique sur la sociologie des usages » ، حاولت فيه أن تجد قواسم ومساهمات مشتركة في دراسات الاستخدام المتنوعة، مبدئها الأساسي هو اعتبار الاستخدام كبناء اجتماعي[1].فالاستخدام المنتظر ليس هو دائما الاستخدام الفعلي، هذا الأخير هو نتاج للإطار السوسيوتقني المستمر، وكذا ثمرة لخيال المبتكرين، وهو نتيجة الابتكار الذي يتولد من ممارسات المستخدمين أو انعكاس لحالتهم السوسيوثقافية ، فالاستخدام لم يكن أبدا مثاليا بل هو تتويج لسيرورة تفاوض وتقارب بين الجهاز التقني، الشبكات، والجماعات الاجتماعية، لذا فهو يختلف بإخلاف الأفراد والجماعلت وفقا لاختلاف تجاربهم وتكوينهم وبيئتهم ولغتهم وتاريخهم ورموزهم وقيمهم ومختلف عناصر هوياتهم الثقافية المحددة لأشكال تملكهم.

لذا سنقدم محاولة لإكتشاف الجوانب المختلفة للاستخدام ، والتي شكلت اهتماما متجددا بالنسبة للباحثين،حيث رأوا في الفجوة بين الاستخدامات المحددة والانحرافات، إقرار لواقع التبني الاجتماعي وبروز للاختلاف الهوياتي؛ حيث نجد بعض الأمثلة الناجحة

[1]JOUËT Josiane, « Retour critique sur la sociologie des usages », *op cit.*

المطورة من قبل الباحثين تبين تكرار هذا الفارق بين التصورات القبلية والاستخدامات الفعلية، كالهاتف، المنيتال، المانيتوسكوب، التلفزيون التفاعلي، وغيرها ضمن ما كتب حول تكنولوجيا الإعلام والاتصال TIC ، لكن سنتوقف عند حالة Minitelفي فرنسا والتي طورها Yves Toussaint عدة مرات واستطعنا الوصول إليها كلها[1]

إن النشر السريع للفيديوتاكست Vidéotex (المينتال) في المنازل الفرنسية، ناتج عن سياسة معتمدة من جانب الدولة الفرنسية، والتي وزعت مجانا المحطات وقامت بمجموعة من التجارب خلال عقد الثمانينات. فالمينيتال وفقا لمختلف المنظورات المتصورة من قبل المصممين يمكن من الحصول على جميع المعلومات الضرورية من داخل المنزل، والتي عادة ما كان يتحصل عليها من خارج المنزل، من خلال جلب "المدينة للمنزل" فالمينتال يسمح للمستهلك– المواطن العقلاني الآن بالتحرر من عناء التنقل، الحصول على معلومات، التواصل، العمل والمشاركة ، في المنزل وفي النقاش العام.

هذه الاستخدامات المتصورة يجب عن تسمح نظريا بتنشيط مشاركة المواطنين في الحياة السياسية، وأن تستقبل بحماس من قبل المجتمعات المحلية بما في ذلك المدن الجديدة، والشركاء في هذه التجارب، والتي نفذت تحت رعاية المديرية العامة للاتصالات. ولكن في حين كانت هذه التجارب تشبه السياسات الترقوية، والتي أخذت تتضاعف بداية من سنة 1980، فإنها لا تظهر سوى الوظائف المتصورة حيال Minitel، فتجمع نجاحات متفاوتة، فخدمة دليل الهاتف مثلا لاقت إعجابا سريعا، في حين أن الوظائف الأخرى (بوابة المعلومات، الفضاء العام لمواجهات المواطنين...إلخ) عرف فشلا واسعا، وخلافا لذلك نجد مثلا أن استخدام la messagerie conviviale الرسائل القصيرة كان بعيدا عن تصور المصممين لهذا الجهاز، في حين عرف هذا الاستخدام رواجا شعبيا كبيرا، حيث أن المينتال من المفروض أنه يصبح أداة للتجديد السياسي ولكنه بني من قبل المستعملين على أنه أداة

[1]TOUSSAINT Yves, « Communication : l'usage diffère de l'offre », *Avancéesscientifiques et techniques*, n°6, 1992.
TOUSSAINT Yves, « La parole électronique. Du minitel aux nouvelle 'machines à communiquer' », *op cit.*

ممتعة للاتصال، والتبادل، واللقاءات الشخصية، فتملكه تحقق بشكل أضيق بكثير مما كان متوقعا، فالمستخدمين استفادوا قليلا من الخدمات التي يقدمها المينتال.

Yves Toussaint شأنه شأن Jean Marie Charonيؤكد في كتاباته حول مخطط كابل فرنسا « cable en France »[1] عن الفارق المهم بين رؤية المصممين والمطورين لجهاز الإعلام والاتصال وكذا الاستخدامات الفعلية له. فالأيديولوجيا هي أصل هذا الابتكار المثمن لتطور الإنسان والآلة، مع تسليط الضوء بالتساوي على الوظيفة الإعلامية والاتصالية، ولكن

في مقال آخر كتبه Toussaint رفقة Philippe Mallin[2]قدما تقييما نظريا لمختلف التجارب، التي كانا حاضران فيها.

Yves toussaint يفسر فشل هذه التجارب المعلوماتية بعدم التصور العقلاني للمصممين في مواجهة الممارسات الفعلية للسكان، كما نجد عند scardiglivictorنفس نوع التفكير والمتعلق بالاختلافات العقلانية بين المهندسين– المصممين والمستعملين[3]

Philippe Mallein و Yves Toussaint يأسف لمنطق الأداء التكنولوجي الذي يتزعمه المصممون، حيث دعوا إلى أخذ هذا بعين الاعتبار بداية من مرحلة التصميم، فطرق الإدماج الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC تتعارض وعقلانية مناصري التقنية أي المصممين الذين يميلون إلى فرض الأداة التقنية على المستخدم، فهي مصممة وفقا لمعايير للاستخدام المثالي لأن الابتكار التقني لا يعتبر من قبل المصممين ذو أثر على المجتمع.

[1]CHARON Jean-Marie, « Réseaux techniques, réseaux sociaux. A propos du plan câble en France », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication et lien social: usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines àcommuniquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

[2]MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves, « L'intégration sociale destechnologies d'information et de communication : une sociologie des usages », op cit.

[3]SCARDIGLI Victor, « Déterminisme technique et appropriation :l'évolution du regard porté sur les technologies de l'information », *op cit.*

فهذه العقلانية التقنية تتعلق بأربعة مفاهيم، الأول متعلق بالمثالية Idéalisationفالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال NTIC صممت من قبل مبتكريها على أنها ثورية، وتتوجه إلى المستخدم المثالي، وكذلك لدينا المفهوم الثاني والمتعلق بالإنابة والاستبدال substitution فبدلا من تثبيتها في الممارسات السابقة، فالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال NTIC صممت بهدف القضاء على الممارسات القديمة، لصالح استخدامات جديدة كليا، أما المفهوم الثالث فيتعلق بالثورة الاجتماعية La Révolution Social بفضل أثرها الثوري، فإن التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال NTIC صممت لأجل تحويل المجتمع بشكل كبير، وأخيرا مفهوم الهوية السلبي L'identité passive يؤكد أن المصممين هيئوا مسبقا شكل المستخدم المثالي مما يضطر المستخدم الفعلي إلى الامتثال أو رفض الابتكار التقني.

وعلى نقيض هذا النموذج، يشجع المصممون بمساعدة علماء الاجتماع على القيام بعملية تقييم بين الاجتماعي والتقني، فاستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC يجب من الآن فصاعدا تصميمه على أنه تفاوض بين العرض التقني والطلب الاجتماعي، فالمهندسين لأجل ضمان نجاح مبتكراتهم يجب أن يأخذوا في الحسبان الممارسات الاجتماعية السابقة، وهذا بداية من مرحلة التصميم، وبتصور الاستخدامات وأشكال تبني مرنة ومتنوعة للأداة، فهذه العقلانية الجديدة تنادي وتستند أيضا على أربعة مفاهيم مفتاحية، مقابل المفاهيم المتعلقة بالعقلانية "التكنو–اجتماعية". فيجب من الآن فصاعدا على المصممين التفكير في التسطيح والبساطة الاجتماعية la banalisation socialeلأداة الاتصال كشرط أساسي لنجاحها، فالتفكير في إدماج التكنولوجيات الحديثة من حيث التهجين مع الممارسات الإعلامية القديمة، وليس من حيث الاستئصال، فالتخلي عن تصور الأداة التقنية على أنها عامل ثورة اجتماعية، والاعتراف بالمراسلات بين الاستخدام الذي تم فعلا والتطورات الشاملة في الأشكال الاجتماعية، وأخيرا اعتبار قدرة الفعل (العمل) وإبداع المستخدم من خلال منحه مواصفات سلبية لأجل فرض العرض التقني.

فنموذج إدراج الاستخدام بداية من مرحلة تصميم أداة الاتصال سيمثل العمود أو الأساس عند Philippe Mallein طوال عشرية التسعينيات، حيث ساعد على تطوير بروتوكول conception assistée par l'usage(CAU) حيث يسعى لوضعه في خدمة الصناعات المبتكرة لشبكات تحليل سوسيولوجية تراعي أكثر إدماج تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC في الممارسات السابقة المترجمة للمميزات الهوياتية للمستخدمين، حيث أن خدمة البحث هذه يبدو أنها تطبق لتكون واحدة من التطبيقات العملية لسوسيولوجيا الإستخدامات[1]

[1] أنظر في:

-MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves,« Diffusion, médiation, usage desTICs », *Culture Technique*, n°24, 1992, pp.219-226.

-MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves,« L'intégration sociale destechnologies d'information et de communication : une sociologie des usages », *op cit.*

-MALLEIN Philippe, ARNAL N., *et al.Pour une prospective de l'usage desnouvelles technologies d'information et de communication : une grille d'analyse sociologique et trois exercices d'application*, Rapport CERAT1995.

5. الانتقادات الموجهة لمقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات

شهدت بداية الألفية الثالثة تطورا ملحوظا في كم ونوع الأبحاث المتعلقة بسوسيولوجيا الاستخدامات، كما شهدت نفس الفترة بروز عدة انتقادات وجهت لهذه المقاربة نذكر منها ما يلي:

أولا: لقد سبق وأن أشرنا أنه على الرغم من اهتمام سوسيولوجيا الاستخدامات بالعلاقة بين ما هو تقني وما هو اجتماعي، إلا أنها تميل باستمرار لمواجهة الحتمية التقنية مقابل الحتمية الاجتماعية، وتقلق وتتسائل عن الخطاب الذي يعلن عن عهد اجتماعي جديد متأثر بوسائل الإعلام والاتصال، فيبدوا أن بعض المختصين وقعوا في الجهة أو الطرف المقابل، من خلال وصفهم للمقاومة الاجتماعية للابتكارات التقنية، حيث أن Marc Guillaumeرسم حدود الحتمية الاجتماعية فيقول: "*لا ينبغي أن نخطأ في المفردات والمفاهيم، فرفض المستخدم لتبني المبتكرات، مرتبط ببطء امتلاكه لها ولا يعني أنه تعبير عن المقاومة، وهذه الفكرة قليلة القوة والتماسك، وتعد في بعض الحالات مثالية للمستقبل المشرق، فإذا كنا نعتقد أنها قوة دائمة تحفز الابتكار، فنحن نميل أيضا إلى الاعتقاد بأن المستخدمين وبناء على هذه القوة يقومون بكبح الحركة التي تعتبر مسار لا مفر منه*"[1].

نجد في مقال[2] لـ: Francis Jauréguiberry الذي نشره سنة 1994 في مجلة Réseaux مراجعة نقدية لهذا الانحراف، حيث يختبر في الواقع الأطروحات التي قدمها علماء الاجتماع والتي تفترض فشل المبتكرات التقنية في توليد التغيير الاجتماعي، مع التشديد على القوة المطلقة لإعادة الإنتاج، والتكييف الاجتماعي لتنمية تكنولوجيات الإعلام والاتصال Les TIC فالكتاب أمثال Jean Pierre Garnier, Gérard Claisse, Gabriel Dupuy يؤكدون في

[1]GUILLAUME Marc, Articulation entre les échanges immatériels: présentation, dans OBABIA Alain, Entreprendre la ville [Colloque de Cerisy], Chapitre 2.2 , Editions de l'Aube,1997, p41.
[2]JAUREGUIBERRY Francis, De l'appel au local comme effet inattendu de l'ubiquité médiatique ,op cit.

أعمالهم على تأثُر التكرار في السلطة الهرمية، بالفصل والتمركز المكاني بالشبكات الالكترونية، فحسبهم هندسة الإعلام لا تقوم سوى بإعادة إنتاج أو ترسيخ البنية غير المتكافئة للفضاء الاجتماعي وتعزز الفوارق المكانية، وعليه نستنتج اعتمادا على Francis Jauréguiberry أن السوسيولوجيا نقدية، فكتاباته تركز على التأثير الخطي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال les TIC وتجعل من ظواهر التفرقة السوسيومكانية Socio-spatiales مقبولة، وبالتالي استبعاد أي إمكانية فعالية ونشاط، أو أي تعبئة من أجل التغيير.

يعترف الكاتب بأهمية هذه الأعمال لكن ينتقد الرضوخ الكلي للحتمية الاجتماعية، حيث يلوم مجموع الباحثين لعدم أخذهم بعين الاعتبار دور المبتكرات التكنولوجية كدعائم يمكن أن تحفز التغيير الاجتماعي.

الانتقاد الثاني الذي يمكن تشكيله بخصوص النظرة الخارجية هو الصعوبة في فصل المقاربة عن الاستخدام، فكما أشار Louis Quéré الذي يدعوا للتأمل في البنية الباطنية للأجسام التقنية، مع الأخذ بعين الاعتبار الوساطة المتبادلة بين هذه الأجسام ومستخدميها، *"إن الحديث عن الممارسات التي أدخلت وفقا لمخطط خارجي: حيث نفترض أن الآلات هي العلب السوداء، المغلقة إلى الأبد، ويتم توزيع هذه الآلات على الاستخدامات التي يحكمها منطق اجتماعي وثقافي، والتي تستطيع أن تتغير.وحتى الممارسات البشرية المهيمنة على هذه الأجسام التقنية لا تعالج أو تعامل كمكونات أو حتى عناصر وفقا لفردانيتهم الموضوعية، التي تبقى خارجية"*[1] إن هذا الباحث يحكم على سوسيولوجيا الاستخدامات على أنها علم غير قادر على التفكير من داخل أدوات الاتصال، ونلاحظ في كثير من الأحيان الصعوبة التي يتلقاها المختصين في سوسيولوجيا الاستخدامات لفهم الهندسة التقنية للأدوات التي يدرسونها.

[1]QUERE Louis, « Espace public et communication : remarques sur l'hybridation des machines et des valeurs », op cit, pp 44-45.

هذين الانتقادين الرئيسيين الذين شكلهما المختصين في تكنولوجيات الإعلام والاتصال، والموجهين لسوسيولوجيا الاستخدامات ينضمان إلى الفكرة المناصرة لمقاربة الاستخدام، على أنها اجتماعية أكثر منها تقنية، ويبدوا أنها تفضل تحليل السيرورات الاجتماعية أكثر من الإجراءات التقنية، ولكن ما يعيبه البعض الآخر على هذه المقاربة أنها تركز على السيرورات الاجتماعية الصغرى أي سياق المستخدم « Micro niveau » وتغض النظر على سياق الاستخدام العام، أي السياق التكنوسياسي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، وهذا ما أشار إليه الباحثالفرنسي المتميز Fabien Granjon عند مناداته بمقاربة سوسيولوجية نقدية تأخذ بعين الاعتبار عنصر السياق أثناء سيرورة الاستخدام[1].أي الأخذ بعين الاعتبار منطق الهيمنة الممتدة في تكنولوجيات الإعلام والاتصال في حد ذاتها، والمنعكسة على المستخدمين، أي مراعاتنا لسياق الاستخدام الكلي Macro niveau وليس فقط سياق المستخدم وهو ما أشار إليه SergeBroulx في أبحاثه[2]من خلال دعوته إلى عدم الفصل التعسفي بين متطلبات Macroو Micro.

[1]Fabien Granjon, De quelques éléments programmatiques pour une sociologie critique des usages sociaux des TIC, op cit.
[2]PROULX Serge, Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles tendances, op cit.

6. الاتجاه النقدي في سوسيولوجيا الاستخدامات:

انطلاقا من الانتقادات الموجهة للأبحاث المتعلقة بمقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات وخاصة منها المتعلقة بالطرح الابستيمولوجي عن طبيعة نسبها وانتمائها النظري والمنهجي وتطبيقاتها في السيرورات الجزئية الـMicro وإغفالها للسياقات الكلية للـMacro ، حيث يرى Serge Proulxأنها تشكل رهانا بالنسبة للباحثين في سوسيولوجيا الاستخدامات فيقول[1]:"*إن التحدي الكبير بالنسبة للباحثين يسمح بتطوير استراتيجيات نظرية ومنهجيةجريئة لأجل التفكير جميعا في دفاتر الميكرو والماكرو سوسيولوجي*".

وبناء عليه رجع بعض الباحثين للتنقيب في النظرية النقدية، والتي ما فتئت تنشغل بالمواضيع التقنية، ورغم ذلك فان الأطروحات المطورة من قبل ممثلي مدرسة فرانكفورت وروادها Max Horkheimer، Theodor W. Adorno، Herbert Marcuse كانت في أغلب الأحيان مترددة عن الدخول في جدلية التقني والاجتماعي، وهذا تحت رعاية حتمية الفلسفة الاجتماعية، التي تولي اهتماما قليلا بتنوع الاستخدامات الاجتماعية الفعلية للتقنية، حيث ركزت على سبيل المثال على الطبيعة الأيديولوجية لها (التقنية كأيديولوجيا مادية) ولكن لم يظهروا اهتماما كبيرا بعمقها الاجتماعي، لكن رغم هذا استفاد منها الباحثون في سوسيولوجيا الاستخدامات خاصة في طروحهم النقدية ومقارباتهم السياقية الكلية، حيث أن الاتجاه الفرانكفوني طبق سوسيولوجيا الاستخدامات (وخاصة تكنولوجيا الإعلام والاتصال) على تنوع سيرورات التبني الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC، ولكن من ناحية أخرى كانت لا تزال بعيدة عن أي منظور تقني، وعليه نود هنا إظهار الاهتمام الذي يمكن أن يكون لهذين المقاربتين بالتقنية، والإثراء المتبادل لهما لينتج عنهما مقاربة جديدة للبحث une

[1]PROULX Serge, Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles tendances, in Lise Vieira et Nathalie Pinède, éds, Enjeux et usages des TIC aspects sociaux et culturels, Tome 1, Presses universitaires de Bordeaux, , 2005, p. 7-20.

nouvelle heuristique ترسم ملامح سوسيولوجيا نقدية للاستخدامات الاجتماعية لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC[1]

إن من أهم مميزات سوسيولوجيا الاستخدامات يتمثل في: من جهة في لفت الانتباه للمكانة التي تحتلها التقنية في التغيير الاجتماعي، وإبراز أهمية القضايا السوسيوسياسية المتعلقة بها، ومن جهة أخرى تعترف بالاستقلالية النسبية للمستخدمين في علاقتهم مع التكنولوجيا، ومع ذلك أظهرت الأعمال المنجزة في هذا الاتجاه، والتي اتسمت قوتها بإظهار الجزء الفعال لتكنولوجيا الإعلام والاتصال TIC في إعادة التنظيم الاجتماعي بالإضافة إلى التملكات (جمع تملك) التي تعد دائما تفاوضية بالنسبة للفاعلين وقليلا ما تتحقق لغرض نقدي.

Armand et Michèle mattelart يذكران بأنه دون شك توجد فائدة في تحليل الاستخدامات المختلفة، ولكن يجب مع ذلك "توضيح أنه يتم التعبير عن هذا النهج الجديد في سياق معين، يمكن أن يعزز التساؤل والارتباك، فالتلقي والفرد المستهلك يحتلان مكانة مركزية في التصور النيوليبرالي للمجتمع. فلا يتعلق الأمر بأي مستهلك، ولكن بمستهلك سيادي في اختياراته في السوق نقول أنه حر "[2]، حيث أن السوسيولوجيا النقدية للاستخدامات الاجتماعية لتكنولوجيا الإعلام والاتصال التي نراها تتطور تجيب على أربعة من متطلبات على الأقل[3] :

أ/ إيلاء الاهتمام لتعدد الأشكال الهيكلية للهيمنة، والتي كانت تعمل في الجسم الاجتماعي، فالفاعلين فرديين والجماعيين يصنعون سلوكيات متباينة، والتي في تغيراتها تعتمد على فردياتهم الجماعية (أحكام، هويات، مشاعر..الخ) وحالات ملموسة تؤطر تفاعلاتهم، وهذا التنوع لا ينبغي أن يُحمى من قبل المقاربات الاقتصادية، والتي تحدد في نهاية المطاف جميع العلاقات الاجتماعية ولكن إدراجها لا ينبغي أن يؤدي عكسا إلى فردانية وجودية un

[1] Fabien Granjon, De quelques éléments programmatiques pour une sociologie critique des usages sociaux des TIC, Intervention au sein de la journée d'étude organisée par le LARES-Université de Rennes 2, sous la directon de Smaïl Hadj-Ali : les rapports société-technique du point de vue des sciences de l'homme et de la société, mai 2004, p01.

[2] Mattelart Armand, Mattelart Michèle, Histoire des théories de la communication, La Découverte, Paris, 1995, p88.

[3] سهيلة زوار، نحو مقاربة نقدية في الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، في كتاب وسائط الاتصال بين الاستعمال والاستخدام، سلسلة منشورات مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، طبعة1، 2015، ص 159.

individualisme ontologique، يتم دائما اعتبارها، وراء الهياكل الاجتماعية والوكالات الجماعية فالفرد الدقيق monadel'individuوحقيقة الفرد تكمن في إعطائه أولوية مطلقة للكل، أي أنه يأخذ الشكل والتحاليل الوظيفة المفرطة ل: Theodor Adorno حول الصناعات الثقافية أو وسائل الإعلام فإنه يجب مع ذلك اعتبار الأفعال الاجتماعية وكأنها تاريخيا مرسخة ومتبناة، ووفقا لذلك تعاد سيقنة وجهة النظر هذه في هيكل اجتماعي كلي، ويتمثل التحدي هنا في فتح طريق وسطي وأن نأخذ بعين الاعتبار العالمين باهتمام ونظام متساوي لأجل تقييم الانحرافات المتغيرة للعلاقات الجارية لديهم.

ب/ التأكيد على الجدلية بين الخطوط الاجتماعية الصغرى والتوجهات الاجتماعية الكبرى، بين التجارب الشخصية والهياكل الجماعية (الطبقة، مجموعة الأفراد، المؤسسات...إلخ) بين فعل الموضوعات التقنية والنظام الاجتماعي، فالتاريخ يضع الأشياء، فالاستخدامات الاجتماعية للتقنية يجب أن تكون بالضرورة آخذة بعين الاعتبار شروط الوجود التي تؤطر الحياة اليومية "كطبقات المستخدمين" لأن التفقد في كل تفاصيل التشغيل، والعلامة الاجتماعية التي يحتوي جهاز الاتصال عليها، إرسال، تلقي، كتابة، قراءة، التحدث، والاستماع تعطي فقط الشيء القليل من ميزاتها في المجتمع، أي تشكل إضافة محتشمة للمجتمع، لأنه وخلافا لمعظم العلاقات الاجتماعية نجد العلاقة المهيمنة –عبر وسائط تقنية– لا تمثل إلا إضافة للعلاقات الاجتماعية الأخرى[1].

ت/ تثبيت الدعامات التقنية في مركز التحليل وإعادة تأهيل العامل الفني بتجاوز المعارضة التقليدية بين الموضوع الفاعل والشيء المتصرف، وتفكيك العمل بين المفهوم التقني والاجتماعي، معتبرين التقنية يمكن أن تفهم على أنها علاقة اجتماعية مادية[2]، والهدف هو دفع بعض الانتباه إلى الجزء التوجيهي من الدعامات المادية في تكوين التفاعلات الاجتماعية، والنظر للطريقة التي تكّون بها تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC، ودورها في المشاركة في صيانة أو نقل السلوك الاجتماعي والطريقة التي تتداخل فيها مع الهويات الفردية والجماعية، حيث أن فهم "معنى جهاز تقني، هو إذن فهم كيف أن هذا الجهاز ينظم بشكل مختلف نسيج من العلاقات من مختلف الأنواع، والتي نحن عالقون فيها، ونتحدد

[1]La Haye de Yves, Dissonances. Critique de la communication, La pensée sauvage, Paris, 1984, p42.

[2]Fabien Granjon, op cit, p06.

داخلها[1] ولكن أبعد من النظر في المواصفات المشتركة بين التقني والاجتماعي، ولكن الهدف يتمثل أيضا في اعتبار الأجهزة الصناعية التقنية وكأنها أجهزة ناتجة عن التقرير الاجتماعي لتسجل بذلك نفسها في جدلية الإنتاج وإعادة الإنتاج.

يذكر Pierre Moeglin في هذا الصدد أن "الهدف من البحث النقدي ليس دراسة الاتصال في سياقاته، بل التعامل معه كمكون، وهذا على نقيض مخطط الحتمية– فإن المتطلبات النقدية تعطي الأولوية لظواهر المنبع: ليس ماذا تفعل وسائل الإعلام "أو تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC" في الأفراد ولا ما يفعله الأفراد في وسائل الإعلام " أو تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC" وفقا لتعبير W.Schrammولكن هذا ما يجعل وسائل الإعلام والاتصال هي على ما هي عليه[2].

د/ وأخيرا النظر بعناية في الإنتاج المشترك لـ "الموضوعية" (النشاط الاجتماعي الموضوعي) social objectivé و (النشاط الاجتماعي الذاتي) le social subjectivéللعلاقات الاجتماعية، والعلاقات ذات المعاني لأن النظرية النقدية في السوسيولوجيا لا تستطيع أن لا تعتمد هذا الترسيخ في الممارسات في فضاء اجتماعي رمزي لم يتشكل بعد، وفي أنماط متكررة من السلوكيات" [3]، أي بالتالي تقليص الفجوة بين "المعنى الموضوعي" و"المعنى الذاتي" في السلوكيات[4] بمعنى إيلاء اهتمام متساوي لهما، بالإضافة إلى تسليط الضوء على المحددات الاجتماعية العامة السائدة في النشاطات الاتصالية بواسطة الأجهزة السوسيوتقنية التي تستحدث طرقا متنوعة في استخدام نفس تكنولوجيات الإعلام والاتصالTIC (الاستخدامات التي يطورونها، يعيشون ممارساتهم (الخبرة التي اكتسبوها)، تنسب معنى لممارساتهم وإظهار ما يكشف عن وجودهم الاجتماعي).[5]

[1] Akrich Madeleine, « De la sociologie des techniques à la sociologie des usages. L'impossible intégration du magnétoscope dans les réseaux câblés de première génération », Techniques et culture, n° 16, 1990, p84.
[2]Fabien Granjon, op cit, p07.
[3]Vincent Jean-Marie, « Les conditions de possibilité d'une sociologie critique », Mouvements, n° 24, novembre-décembre 2002, p95.
[4]Singly de François, « La sociologie, forme particulière de conscience », in Lahire (Bernard) dir., À quoi sert la sociologie ?, La Découverte, Paris, 2002, p34

[5]سهيلة زوار، مرجع سبق ذكره، ص 160.

الفصل الثالث: الهوية من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات

1. ماهية الهوية الثقافية والهوية الافتراضية

أ. الهوية الثقافية:مستوياتها وعناصرها

يعتبرمفهومالهويةمنالمفاهيمصعبةالتحديدباعتبارهامفهوماًمتحركاًوفيحالةبناءدائممنخلالالو ضعياتالتي
يكونفيهاالأفرادوالجماعاتونوعيةالعلاقاتالموجودةبينهاوفيكلتلكالوضعياتومايحدثداخلهامنعلاقات،إذ يقومشعورالانتماءبوظيفةهامةفيتأكيدالهوية.[1]ويعدمفهومالهويةمنالمفاهيمالتيأخذتحيزاكبيرا فيتفكيرالباحثينوقدزادهذاالاهتمامفيالسنواتالأخيرة وشهدت عدة تناولاتخاصة مع ظهورتكنولوجيات الإعلام والاتصال ودورها في نشر الأفكار والأيديولوجيات، فيوجد من صنفها على أنها أداة من أدوات العولمة الثقافية.

لذا فإن مفهوم الهويةيتحددبناءاعلىالدلالةاللغويةوالفلسفيةوالسوسيولوجيةوالتاريخية. ونتيجة لهذا التعقيد سنقدم على مستوى هذا المطلب مجموعة من التعاريف متدرجين في عرضها من المستوى اللغوي والمعجمي للهوية، وصولا إلى مفهوم الهوية الثقافية إجرائيا مرورا بمجموعة من المحاولات التي قدمها الباحثون في تعريف الهوية وأنواعها ومراحل تكوينها.

إن مفردة الهويةيقابلها كلمة Identityفياللغةالانجليزية، وكلمةIdentitéفياللغةالفرنسية.ومفردةالهوية فياللغةالعربيةمصدرهامركبمنالمقطع (هو) ضميرالمفردالغائبالمعرفبأداةالتعريف(ال)،ومنالمقطعفياللاحقةالمتمثلةفي(الياء)المشددة،وعلامةالـ تأنيث(ة)أيالتاء.[2]ويرى أحمد بن نعمان أن الياء هي ياء

---

[1] حكيمةبولعشب:تحدياتالهويةالثقافيةالعربيةفيظلالعولمة،منموقع http://www.aranthropos.com

[2] نور الدين غندير، بوبكر عباسي،الهويةالاجتماعيةورياضةالنخبة بينالروحالوطنيةوفعاليةالتسويقالرياضيالجزائر نموذجا،مجلةالعلومالإنسانيةوالاجتماعية، عددخاصالملتقىالدوليالأولحولالهويةوالمجالاتالإجتماعيةفيظلالتحولاتالسوسيوثقافيةفيالمجتمعالجزائري، ص 614

النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني، كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها.[1] والهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حاله أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة، كما هي بناء على مقوماته ومواصفاته وخصائصه المعينة تمكننا من إدراكه صاحب الهوية بعينها دون اشتباهه مع أمثاله من الأشياء.

جاء في كتاب (الكليات) لأبي البقاء الكَفوي، أنما به الشيء هو به باعتبار تحقُّقه يسمى حقيقة وذاتًا. وباعتبار تشخُّصه يسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الاعتبار يسمى ماهية. جاء في هذا الكتاب أيضا أنا لأمر المتعقِّل من حيث إنّه مقولٌ في جواب (ما هو) يسمى ماهية. ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة. ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية. والهوية عند الجرجاني: " الحقيقة المطلقة، المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق".[2]

وجاء في معجم العلوم الاجتماعية أن الهوية هي تحديد المميزات الشخصية للفرد من خلال مقارنة حالته بالخصائص الاجتماعية العامة.[3] أما قاموس أكسفورد فانه يعرف الهوية بوصفها :" *حالة الكينونة المتطابقة بأحكام، أو المتماثلة إلى حد التطابق التام أو التشابه المطلق*".[4]

وقد جاء في تعريف الهوية في المعجم الكبير لعلم النفس على أنها صفات الأشخاص أو الأشياء التي تكون حقيقية أو غير حقيقية أو بصيغة أخرى "*هي مجموعة صفات الأفراد أو الأشياء الحقيقية أو الممثلة أو الأحداث منسقة وتعتبر متكاملة فيما بينها*".[5]

وبحسبه يغلا الهوية تتجمعنا الاعتراف المتبادل للأنا والآخر، فهي نتيجة عملية صراعية تنشأ بين كل من التفاعلات الفردية والممارسات الاجتماعية الموضوعية والتطورات الذاتية"، فالإنسان (ليس هو فورا ولا يكتفي بإدراك من هو)بل

---

1 احمد بن نعمان، الهوية الوطنية، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2005، ص23

2 الموسوعة الفلسفية العربية، الطبعة الأولى، معهد الإنماء العربي–بيروت، 1986

3 فريدريك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، مراجعة: محمد دبس، بيروت، أكاديميا، 1998، ص190

4 محمود سمايلي، سعيدة بن عمارة، إشكالية الهوية العربية في مواجهة تحديات العولمة، متوفر على موقع https://om77.net/forums/thread/828705، روجع في (2015/12/28)

5 كوسة فاطمة الزهراء: أزمة الهوية عند الشباب الجزائري، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس العيادي، جامعة الجزائر، ص46

(منهوعليه)أيأنهلايكتفيبإدراكهويتهبليكتسبهاشيئافشيئا.[1]وعليه فالهوية تمر بمجموعة من المراحل في تطورها، حيث تمثل السنوات الأولى من عمر الإنسان أساس تكونها، والتي سنقدمها كما يلي:[2]

المرحلةالأولى:تشملهذهالمرحلةالسنواتالثلاثالأولىمنعمرالطفلبحيثيقومالطفلفيهابنشاطاتمنتظمةلها معنى،وذلكفيالسنةالأولىكمايفهمتركيبجسمهويفرقبينالأشياءالمحيطةبهتدريجياعنطريقالتعلم.كمايحا ولالاعتمادعلىنفسهدونمساعدةالآخرينفيبدأباكتسابالمعالمالأوليلهويتهويظهرذلكباستقلاليتهلذاتهعنا لآخرين،يحاولالطفلبصفةمنتظمةومرحلية

الاستقلالعنالآخرينوذلكابتداءمنالشهر 18بحيثيكتسبالعلاماتالأوليمنخلالتمسكهبالاستقلاليةوحبهللاب تعادبذاتهوالاستقلالعنالمحيط.

وفيهذهالمرحلةيتشبهالطفلكثيرابأمه،لكنفيالمرحلةاللاحقةيبتعدعنهاويحاولالتعرفعلىالأفرادالآ خرينومعرفةذاتهوجسدهالذييدركاختلافهعنجسدأمه".بعدهذهالمرحلة،يبدأالطفلفيمرحلةمعرفةذاته،أي التلفظمحاولاإيجادأشياءبديلا،كمايتعرفعلىالأفرادمحاولاإيجاداستقلاليتهوكسبذلكبالابتعادعنأمهفيالوق تالذييميزفيهبينجسمهوجسمهابا عتبارهلاينتميإلىواحد.وتسمىهذهالمرحلةالهويةالجسميةأوالهويةالابت دائية،لأنهاأولمرحلةيدركفيهاالطفلهويةجسمه"،أيأنأولالمراحلالتيتتكونفيهاالهويةلدىالشخصهيمرحلةا لطفولةالمبكرةاوالسنواتالثلاثالأولىوالتيتبدأبإدراكالهويةالجسمية.

المرحلةالثانية:وفيهايتطورنموالطفلالجسميوالمعرفيبحيثيميزبينالأشياءوبالمقارنةبينالشيءوالآخر، كمايقومببناءعلاقاتاجتماعيةعنطريقاللعب.ففيهذهالمرحلةيبدأتكوينالطفلللهويةالاجتماعيةأيالتعرفع لىالأفرادالآخرينوتكوينعلاقاتاجتماعيةفيإطارالعب،كذلكإدراكالأشياءالمحيطةبه

"تبدأهذهالمرحلةمنالسنةالثالثةمنعمرالطفلوفيهايطرأعليهتحولاتجدمهمة.وتحدثتطوراتوتقدمفكريوذهني ولغويتتزايد

[1]طايبيرتيبة :الصراعالثقافيوتأثيرهعلىهويةالشبابالجامعيفيالمجتمعالجزائري، أطروحةمكملة لنيلشهادةالدكتوراه،قسمعلمالاجتماع،جامعةالجزائر،ص04

[2]نفس المرجع السابق، ص187-188

مستوياتمعرفيةواجتماعيةعالية،ويصلالطفلإلىبناء هويتهالاجتماعيةعبراللعبوالمقارنةومحاولةتطوير رقدراتهبتشابكواختلافالأشياءبمايجعلهقادرا علىالتفريقبينالأشياء ."

المرحلةالثالثة:تتمثلفيمرحلةالمراهقة،وهيالمرحلةالتييخرجبهاالطفلمنمرحلةالطفولةوتصحبهذهالمرحلةتحولاتجسميةعقليةونفسية.كماتكونالمرحلةحساسةفيحياةالشخص،وفيهايقومالمراهقبتحديد هويته هوالتعرفعلىذاتهويحاولإثباتنفسهووجوده،بأخذقدراتهومواقفه،إذيحاولأنيبحثعنتأكيدأوتثبيتذاتهعنطريق صرامةبأخذالقراراتوالمواقف.

منخلالما

سبقنستنتجأنالإنسانيكتسبهويتهمنخلالنظرتهوشعورهالشخصيلذاته،ومنخلالنظرةيكونهاالآخرونعنه ،أيأنالفرديكونصورةوشعورالهويتهبكلأبعادهامنجهة،

ومنجهةأخرىفالمجتمعوالأفرادالآخرينيلعبوندوراهاماًفيتكوينصورةعنهويةالفرد.ويقولفيهذاالسياق R.D "Liaing أن

علاقةالفردبآخرتعتبربمثابةالوسيلةالتييعززبهاالفردهويتهالذاتيةويبنيبواسطتهاصورتهعنذاته،وأنهلايمكنالفصلبينالهويةالخاصةبالفردوالهويةالموجهةللآخر ،ذلكلأنالفرديريددائما أن يثبتنفسهوتحقيقذاتيتهوفرضشخصيتهأماماالآخر[1]، والمقصودبالآخرهناقديكونفرداًأوأسرةأوجماعة أو مجتمعالتييدخلمعهاالفردفيعلاقاتاجتماعية، ومن هنا تتحدد أصناف الهوية وفقا لمستوياتها: فردية وجماعية وثقافية.

[1]محمدمسلم :الهويةوالعولمة،دارالغربللنشروالتوزيع،ط2 ،وهران،2002،ص28

مستويات الهوية

الهويةالفردية

أولباحثاهتمبالهويةالفرديةفيمجالالعلومالإنسانيةهوالأخصائيفيعلمالنفسالأمريكيEricsson سنة1950وذلكفيإطارالبحثالذيأجراهحولالشبابالمراهق.حيثقامبتحليلمظاهرأزمةالبحثعنالهويةالفرديةأ والذاتيةعندفئةالعمرالمتراوحةمابين12و20سنة. وذلكعلىضوءالثقافةالأمريكيةوالذينشرتحتعنوان "المراهقوأزمةالبحثعنالهوية".

ويذكر أحد الباحثين أنه "

إذاتأملنافيمدلولالهويةالفرديةأوالذاتيةنجدأنهغالباماايستعملهذاالمصطلحللدلالةعلىالهويةالشخصيةوا لتيتعنيفيالواقعشعورالفردبفردانيتهأيأنههونفسهوليسغيرهويبلغهذاالشعورذروتهفيمرحلةالمراهقةويبقىعل ىماهوعليهفيالزمانويشعربوجودهالمختلفعنغيرهفهذاالاختلافبالذاتهوالذييعرفهبنفسهوهويتحركضمنثقا فتهالكليةوثقافتهالفرعية".[1]

ويشرحها الجابري فيقول:" فالفرد داخل الجماعة الواحدة، قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة مدنية (حزبا أو نقابة الخ...)، هو عبارة عن هوية متميزة ومستقلة. عبارة عن "**أنا**"، لها "**آخر**" داخل الجماعة نفسها: "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من "الآخر".[2]

منهذاالمنظور،فإنالهويةتتضمنالقطبالفرديالمتمثلفيالأناالذييوافقفيماأسماهدوركايمبكائننالافر ديحيثيكونهذاالكائنمزاجناوطبعناووراثتناومجموعالذكرياتوالتجاربالتيتشكلتاريخناالخاص. " وخلالذلكالقطبالاجتماعيالذييظهرتشابهامعالغيرفإنالقطبالفرديشهدعلىتفردنا،وبالتاليباختلافاتنامقارن ةبالغير".[3]

---

[1] محمدالعربيولدخليفة :المسألةالثقافيةوقضاياااللسانوالهوية،ديوانالمطبوعاتالجامعية،ط2 ،الجزائر،2003، ص95-96

[2] الجابريمحمدعابد،العولمةوالهويةالثقافية : عشرأطروحات،مجلةالمستقبلالعربي،العدد228، 1998، ص14

[3] Robert Campeau et al: individu et société introduction a la sociologie, Paris, 1993, p71

وعليه،

واستنادا إلىماسبقيمكنالقولبأنالهويةالذاتيةللفردتتأثربالهويةالجماعيةأيإدراكهالخاصللطريقةالتييراهبها الآخرون.

الهويةالاجتماعية

تعدالهويةالاجتماعيةمظهرامنالذاتناتجعنوعيالأفرادبانتمائهمإلىجماعاتاجتماعيةمحددةويعبرعنهامنخلالالدلالةالعاطفيةلهذاالانتماء.فهيناتجةعنإدماجوتموضعالفردفيمحيطهالاجتماعيوتترجمعنطريقالانتماءوكذاالمشاركةفيالجماعةوالمؤسساتالاجتماعيةالتيتبرزمنخلالممارسةالفردلأدوارهالمحددةاجتماعيا.[1]ويقول الجابري عنها:" *والجماعات، داخل الأمة، هي كالأفراد داخل الجماعة، لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة، ولكل منها "أنا" خاصة بها و"آخر" من خلاله وعبره تتعرف على نفسها بوصفها ليست إياه*".[2]

وعليهفإنالهويةالاجتماعيةتستمدمنالعضويةفيالجماعة،ولأنالأفرادبحاجةللمحافظةعلىالهويةالاجتماعيةإيجابيةفإنهكلمازادالوعيبهاخارجالجماعةزادالتمييزلهافيداخلهذهالجماعة،

فالعلاقاتالجماعيةمتباينةوتقعبينحدينإحداهماالهويةالاجتماعيةوالتيتعنيوجودفردضمنالمجموعة،والآخريكمنفيالهويةالشخصيةوالتيتعكسمفهومالذاتوالتميزعنالآخرين.وتعدعضويةالجماعةعنصرا هاماوأساسياجتماعيافيتكوينهويةالفردالاجتماعية. حيث يقولPierre Bourdieu : *إن الأفراد والجماعات يستثمرون كينونتهم الاجتماعية كلها في صراعات التصنيف، وكل ما يحدد الهُوية التي يكونونها عن أنفسهم، وكل ما لا يمكن التفكير فيه والذي من خلاله يتشكلون كـــ*

[1] محمدالعربيولدخليفة :مرجعسابقالذكر،ص 105.

[2] الجابريمحمدعابد،العولمةوالهويةالثقافية : عشرأطروحات،مرجع سبق ذكره، ص15.

نحن في مقابل هم والآخرون،ويتمسكون بهذا الذي لا يمكن التفكير فيه عن طريق التحام شبه جسدي، وهو ما يفسر القوة التعبوية الاستثنائية لكل ما يمس الهُوية".[1]

منهذاالمنطلقفإنا لانتماء إلىفئةأوإلىمجموعةتتولد عنهنتائجمرتبطةمباشرةبالاعترافبالهوية الاجتما عيةفالهوية، هذه الأخيرةتعدبمثابةالمشاركةالوجدانيةالجماعيةوعنصرتجانسوتماسكالمجتمع،وبهذايبدوأنالهويةالجما عيةتضمناستمراريةالجماعةأوالمجتمعكماترسمفيالزمنحدودالجماعةداخلوسطهاالطبيعيوالاجتماعي علاوةعلىضبطانتماء الأفرادإلىالمجتمع[2]

الهويةالثقافية

سنقدم مفهوم الهوية الثقافية بشيء من التفصيل لأنه يعد متغيرا رئيسا في دراستنا هذه، وسنبدأ بطبيعة التناولات البحثية لهذا المفهوم.حيثتمتدراستهمنالناحيةالنظريةفياتجاهينأساسيينهما: الاتجاه الموضوعيوالاتجاهالذاتي،حيثجاء عنممثليالاتجاهالموضوعيأنهناكتطابقابينمفهومالثقافةومفهومالهوية.فهميرونأنالثقافة وكأنهاوراثةتدخلفيالتكوينالجيني،ويفترضهذاالاتجاهمنالناحيةالمنهجيةأنالأفرادهممجردموضوعالهوية.

ثمة علاقة وثيقة بين المفهوم الذي نتصوره عن الثقافة وبين مفهومنا للهوية الثقافية، فأولئك الذين يعرِّفون الثقافة بِأنها طبيعة ثابتة تأتينا بالوراثة ولا يمكننا الهروب منها، يرون في الهُوية معطى من شأنه أن يحدد الفرد بشكل نهائي ويطبعه بطابعه بشكل لا يقبل الجدل تقريباً. في هذا المنظور، يمكن للهوية أن تحيل بالضرورة إلى المجموعة الأصلية التي

[1] شيهب عادل، الثقافة والهوية إشكالية المفاهيم والعلاقة، موقع أرنتروبوس www.aranthropos.com، روجع يوم 2015/12/28.
[2] محمدعابدالجابري :نحنوالتراث،المركزالثقافيالعربي،دارالطليعة،بيروت،1980،ط1،ص26.

ينتمي إليها الفرد "والأصل" أو الجذور التي وفقاً للتصور العادي، هو أساس الهُوية الثقافية أي ما يحدد الفرد بشكل أكيد وأصيل[1].

إن إشكالية الأصل المطبقة على الهُوية الثقافية يمكن أن تؤدي إلى جعل الأفراد والجماعات عنصريين وبما أن الهُوية، كما تقول بعض الأطروحات المتطرفة، محفورة في الإرث الوراثي، وبما أن الفرد بطبيعة وراثتهِ البيولوجية يولد مع العناصر المكونة للهوية الفردية والثقافية ومنها الصفات النمطية الظاهريةphénotypiquesوالمزايا النفسية الناشئة عن (العقلية) و(العبقرية) الخاصة بالشعب الذي ينتمي إليه الفرد، فإن الهُوية ترتكز بالتالي على شعور غريزي بالانتماء إلى حد ما، وتعد الهُوية شرطاً ملازماً للفرد وتحدده بشكل ثابت ونهائي.[2]

وهنا أيضاً تُعرَّف الهُوية الثقافية على أنها سابقة في وجودها على وجود الفرد، وتبرز الهُوية الثقافية ملازمة للثقافة الخاصة، وبالتالي فإننا نسعى إلى وضع قائمة بالخصائص الثقافية التي يمكن أن تشكّل حاملاً للهوية الجماعية، أي هويتها "الأساسية" الثابتة تقريباً.

وعليهفإن الأمر يتعلق بتحديد الهُوية والقيام بوصفها انطلاقاً مما هو مشترك (الوراثة والسلالة) واللغة والثقافة والدين وعلم النفس الجماعي(الشخصية الأساسية) والارتباط بأرض معينة...الخ. ويرى الموضوعيون أن الجماعة التي تفتقر إلى لغة خاصة بها آو إلى ثقافة أو أرض تختص بها، أي كما يقول البعض، الجماعة التي لا تملك نمطاً ظاهرياً خاصاً بها لا يمكنها أن تكون جماعة عرقية–ثقافية ولا يمكنها المطالبة بهوية ثقافية أصيلة".[3]وفيالمقابليرىأصحابالاتجاهالذاتيأنالهويةتتجاوزبعدهاالمتوارثوالمنقولوكأنهافيحالةسكوننها ئي،فهيتنتقلآليامنجيلإلىجيلوعلىمستوىمجموعةمنالبشر ،بحيثيؤديذلكإلىوجودجماعاتذاتسماتشخصي ةمتطابقة.

[1] شيهب عادل، مرجع سبق ذكره.
[2]نفس المكان
[3] نفس المكان.

لقد لاقت تعريفات الهُوية الثقافية هذه نقداً شديداً من قبل المدافعين عن المفهوم الذاتي لظاهرة الهُوية، فهم يرون أنه لا يمكن اختزال الهُوية ببعدها الوصفي attributiveوهي ليست هوية مكتسبة بشكل نهائي.

والنظر إلى تلك الظاهرة على هذا النحو يعني عدها بمثابة ظاهرة سكونية جامدة تحيل إلى جماعة محددة بشكل ثابت، وهي نفسها غير قابلة للتغير. ويرى الذاتيون أن الهُوية ليست سوى شعور بالانتماء أو التماهي في جماعة خيالية إلى حد ما، وما يهم هذه التحليلات هو التصورات التي يكونها الأفراد عن الواقع الاجتماعي وعن انقساماته.

وينظر هذا التيار العقلاني النقدي إلى الهُوية في كونها هوية مرنة متجددة تتجدد عناصرها حسب التطور ومستجدات العصر، مع احتفاظها بخصوصيتها.

أما التيار الثالث فيتبنى هوية ثقافية تتميز بالمرونة والتشكل المتجدد المستمر، فهي نتاج ذوات وموضوعات وثقافات. فالهُوية الثقافية هي الانعكاس لتكوين الأنا، حيثأن تشكل الأنا عبارة عن ولادة مستمرة، أي الولادة المستمرة للأنا أو الهُوية الثقافية تعني الحياة والاستمرار والنمو والتطور، هوية متجددة تستفيد من معطيات العصر في ميادينه المختلفة واستثمارها لصالح الإنسان ومتطلباته المتعددة في مختلف مناحي الحياة. هوية ثقافية تعيش داخل التاريخ لا خارجه ولا متعالية عليه.

غير أن وجهة النظر الذاتية المتطرفة تؤدي إلى اختزال الهُوية في مجرد مسألة اختيار فردي عشوائي بحيث يكون أيًّا منا حراً في تماهياته.وإذا كان للمقاربة الذاتية من فضيلة فهي تلك التي توضح الطابع المتغير للهوية. لكن هذه المقاربة اتجهت كثيراً إلى التركيز على المظهر المؤقت للهوية في الوقت الذي لا يندر فيه أن تكون الهويات ثابتة نسبياً"[1]

[1] شيهب عادل، مرجع سبق ذكره

ويمكنتعريفالهويةالثقافيةوالحضاريةلأمةمنالأممبأنها "

القدرالثابتوالجوهريوالمشتركمنالسماتوالقسماتالعامةالتيتميزحضارةهذهالأمةعنغيرهامنالحضاراتوالتي تجعلللشخصيةالوطنيةأوالقوميةطابعًايتميزبهعنالشخصياتالوطنيةوالقوميةالأخرى"[1]، *كمأنها "ذلكالمركبالمتجانسمنالذكرياتوالتصوراتوالقيموالرموزوالتعبيراتوالإبداعاتوالتطلعاتالتيتحتفظلجماعة بشريةتشكلأمةأومافيمعناهابهويتهاالحضاريةفيإطارماتعرفهمنتطوراتبفعلديناميتهاالداخليةوقابليتهالا تواصلوالأخذوالعطاء .وبعبارةأخرى، هيالمعبرالأصيلعنالخصوصيةالتاريخيةلأمةمنالأمم، عننظرةهذ هالأمةإلىالكونوالحياةوالموتوالإنسانومهامهوقدراتهوحدودهوماينبغيأنيعملوماينبغيأنيأمل".*[2]

وهناكمنيرى" *أنالهويةمعناهافيالأساسالتفرد، والهويةالثقافيةهيالتفردالثقافي،بكلمايتضمنهمعنىالثقافةمنعاداتوأنماطسلوكوقيمونظرةإلىالكونوالحياة* ".[3]ويربذات الباحثأنالهويةالثقافيةهيكلمايميزأمةعنأمةبكلماتحملهمنقيموعاداتوسلوكيات وتاريخ مشترك.ونجد في الكتابات المعاصرةأن الهوية الثقافية تشير في غالب الأحيان إلى الهوية الوطنية. ومن بين التعاريف التي قدمت من طرف الباحثين من Alex MUCCILLIالذي يعرف الهوية الوطنية على أنها:" *منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوة والشعور بها .*"[4]

والهوية الثقافية مستويات ثلاثة كما حددها الجابري[5]: فردية وجماعية ووطنية قومية، والعلاقة بين هذه المستويات تتحدد أساسا بنوع "الآخر" الذي تواجهه.إن الهوية الثقافية كيان يصير ويتطوروليست معطى جاهزا ونهائيا. هي تصير وتتطور، إما في اتجاه الانكماش وإما

---

[1] التويجريعبدالعزيز ،الهويةوالعولمةمنمنظورحقالتنوعالثقافي،منشوراتالايسيكو ،المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ،1997، ص15

[2] الجابريمحمدعابد،العولمةوالهويةالثقافية : عشرأطروحات،مرجع سبق ذكره، ص14

[3] أمينجلال،العولمةوالهويةالثقافيةوالمجتمعالتكنولوجيالجديد،مجلةالمستقبلالعربي،العدد234، 1998، ص61

[4] أليكس ميكشيلي، الهويـــــــة ، ترجمة: على وطفة ، سوريا: دار وسيم للخدمات، 1993 ، ص 76

[5] الجابري محمد عابد، العولمةوالهويةالثقافية : عشرأطروحات مرجع سبق ذكره، ص 15-16.

في اتجاه الانتشار، وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضا باحتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما.وعلى العموم، تتحرك الهوية الثقافية على ثلاث دوائر متداخلة ذات مركز واحد: فالفرد داخل الجماعة الواحدة؛ والجماعات داخل الأمة؛ولأمة الواحدة إزاء الأمم الأخرى.

غير أن هذه الأخيرة أكثر تجريدا، وأوسع نطاقا، وأكثر قابلية للتعدد والتنوع والاختلاف، والعلاقة بين هذه المستويات ليست قارة ولا ثابتة، بل هي في مد وجزر دائمين، يتغير مدى كل منهما اتساعا وضيقا، حسب الظروف وأنواع الصراع واللاصراع، والتضامن واللاتضامن، التي تحركها المصالح: المصالح الفردية والمصالح الجمعوية والمصالح الوطنية والقومية.

وبعبارة أخرى، إن العلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساسا بنوع "الآخر"، بموقعه وطموحاته: فإن كان **داخليا**، ويقع في دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها كـ"أنا"؛ وإن كان يقع في دائرة الأمة فالهوية الجمعوية (القبلية والطائفية والحزبية الخ) هي التي تحل محل "الأنا" الفردي. أما إن كان "**الآخر**" **خارجيا**، أي يقع خارج الأمة (والدولة والوطن) فإن الهوية الوطنية –أو القومية– هي التي تملأ مجال "الأنا".

ويرى الجابري أن الإعلام بوسائله التكنولوجية يعد من إحدى وسائل العولمة للتأثير على ثقافة الشعوب وهويتها الثقافية فيقول: " إعطاء كل الأهمية والأولوية للإعلام لإحداث التغييرات المطلوبة على الصعيد المحلي والعالمي، باعتبار أن "الجيوبوليتيك"، أو السياسة منظورا إليها من زاوية الجغرافيا، وبالتالي الهيمنة العالمية، أصبحت تعني اليوم مراقبة "السلطة اللامادية"، سلطة تكنولوجية الإعلام التي ترسم اليوم الحدود في "الفضاء السيبرنيتي": حدود المجال الاقتصادي السياسي التي ترسمها وسائل الاتصال الإلكترونية المتطورة، وهكذا فبدلا من الحدود الثقافية، الوطنية والقومية، تطرح إيديولوجيا العولمة

"حدودا" أخرى، غير مرئية، ترسمها الشبكات العالمية قصد الهيمنة على الاقتصاد والأذواق والفكر والسلوك.[1]

عناصر الهوية

إذا كانت الهوية تعني الخصوصية والتميز، فما الذي يعطي للشعوب هذه الخصوصية وهذا التميز؟ أي ما الذي يعطيها هويتها؟ بعبارة أخرى: من أين تستمد هذه الشعوب هويتها؟ أو ما هي مكونات الهوية ومحدداتها؟

يقول أمين معلوف عن مكونات الهوية الفردية أن هوية أي شخص هي:" مجموعة من العناصر لا تقتصر بالطبع على تلك المدونة في السجلات الرسمية أو بطاقة التعريف « la pièce d'identité »بل هناك بالنسبة للغالبية من الناس الانتماء إلى تقليد ديني « l'appartenance à une tradition religieuse » أو إلى جنسية وأحيانا جنسيتين، وإلى مجموعة اثنية أو لغوية« groupe ethnique ou linguistique » ، وإلى عائلة أكبر أو أقل اتساعا، وإلى مهنة ومؤسسة ووسط اجتماعي ما."ويضيف أن هذه العناصر المشكلة للهوية الفردية يمكن أن نقول عنها حسب أمين معلوف بأنها موروثات « les gènes de l'âme »بشرط أن نوضح أن معظمها ليس فطريا « innés » بل فيها ما يتغير بتغير الزمن، وتغير التصرفات.[2]وعليه تشتمل الهوية على العديد من العناصر التي تدخل في تكوينها سواء أكانت الهوية الفردية أو الجماعية، أو ثقافية(وطنية).

وسنحاول في تحديدنا لمكونات الهوية أن نكون عمليين وعلميين قدر المستطاع، لأن مكوناتها أو عناصرها ستمثل لنا متغيرات نقيس من خلالها مدى انعكاسها في عناصر الهوية الافتراضيةعلى الخط. وعليه يجب، كما في العلم، أن نخلص إلى نتائج حول عناصر

---

[1]الجابري محمد عابد، العولمةوالهويةالثقافية : عشرأطروحات مرجع سبق ذكره، ص 15-16.

[2]Amin Maalouf, Les identités meurtrières, Paris: Edition Grasset &Fasquelle, 1998, p. 17

الهوية تتوفر فيها الشروط العلمية.لذا سنستأنس ببعض المحاولات التي نرى أنها علمية أكثر من غيرها والتي سنقوم بعرضها، ولكن قبل ذلك لا بأس أن نذكر بأهم الشروط التي يجب أن تتوفر في كل مكون من مكونات الهوية، وهم على النحو التالي:

- أن تكون هذه النتائج عامة، بمعنى أنها لا تصدق على حالة الجزائر فحسب، بل تصدق على هويات كل الشعوب والدول، كما هو شأن الحقائق العلمية التي من شروطها أن تكون صادقة بالنسبة لمجموع الظواهر المنتمية إلى صنف معين.فقانون الجاذبية مثلا لا ينطبق فقط على التفاحة التي انطلق منها "نيوتن" في اكتشافه لهذا القانون كما هو معروف، بل ينطبق على كل الأجسام.
- أن تكون موضوعية، أي مستقلة عن ذواتنا ورغباتنا وأهوائنا واختياراتنا. فـ"الحديد يتمدد بالحرارة" حقيقة علمية لأنها مستقلة عن رغبتنا في أن يتمدد أو لا يتمدد الحديد، ونذكّر هنا أن الاختلافات في المواقف حول إشكالية الهوية ترجع إلى أن كل صاحب موقف ينظر إلى الهوية، ليس كما هي في الواقع، بل كما يريدها أن تكون. وهذا موقف ذاتي وبالتالي غير علمي وغير موضوعي.
- أن نتوصل إلى هذه النتائج، العامة والموضوعية، بالاعتماد، كما في المعرفة العلمية دائما، على منهج علمي دقيق، وليس استنادا إلى المزاج والانطباع والرغبة كما في المعرفة العامّية.

ماهو هذا المنهج العلمي؟ إنه المنهج الاستقرائي الذي تعتمده العلوم في اكتشاف وصياغة القوانين التي تحكم الظواهر موضوع البحث والدراسة. ويتلخص هذا المنهج في الانطلاق من ملاحظة عدد محدود من الظواهر، المنتمية إلى نفس الصنف والمشتركة بالتالي في نفس الخصائص، كحالات فردية وجزئية، ثم استخلاص القانون العام الذي يحكم كل الظواهر الأخرى التي تنتمي إلى نفس الصنف.

فلنتأمل مثلا حالة اليابان، ونطرح سؤالنا: ما الذي يعطي لليابان، كأمة وشعب ودولة، خصوصيتها وتميزها، أي من أين تستمد هويتها؟ سنلاحظ أن الخصوصية الملازمة للشعب الياباني، والتي تخصه هو وحده (عنصر المطابقة)، وبها يتميز عن باقي شعوب الدنيا (عنصر الاختلاف) تتمثل في:

أ . موطنه الجغرافي الخاص به دون غيره من الشعوب، أي أرضه المعروفة باليابان، وفي حالتنا الجزائر، وهنا يجب التمييز جيدا بين "الموطن الجغرافي" و"الأصل الجغرافي". فهذا الأخير لا يتطابق بالضرورة مع الأول، لأنه قد يعني أرضا أخرى غير أرض "الموطن"، والتي (الأرض الأخرى) من الممكن أن يكون الشعب المعني قد هاجر منها، لأسباب تاريخية، قبل أن يستقر به "الترحال" بالموطن المعروف أنه أرض خاصة به.

فلا يهم إذن أن هذا "الأصل" الجغرافي معروف أو غير معروف، كهجرات الشعوب ما قبل التاريخ التي لا نعرف عنها الشيء الكثير. ولهذا نعني بالموطن "محل الإقامة الدائم والقار". وعندما نقول "الدائم والقار"، فمعنى ذلك أنه من الممكن أن تكون هناك "مواطن" سابقة مؤقتة وغير قارة.

ب . لغته اليابانية التي ينفرد بها عن كل الشعوب الأخرى. ولا يهم أن هذه اللغة اليابانية قد تنتشر لدى شعوب أخرى تتعلمها وتستعملها، أو أن الشعب الياباني نفسه يتعلم لغات أخرى ويستعملها، وإنما المهم أن هذه اللغة هي لغة يابانية ترتبط بأرض اليابان والشعب الياباني.

نفس الشيء إذا أخذنا حالة الشعب الجزائري، كأمة وكدولة، سنلاحظ أن الخصوصية الملازمة للعربية والأمازيغية، والتي تخص الشعب الجزائري وفقا لدستوره، وهذا مايميزه عن باقي الشعوب الأخرى هي: أ . موطنه الخاص في شمال إفريقيا ب . لغاته التي ينفرد بها عن كل الشعوب الأخرى.ج- التاريخالوطني:من أهم مكونات الهوية التاريخ الوطني بما يتضمنه من طبقات متراكمة من الأحداث التي شارك فيها واصطلى أحيانا بلهيبها الآباء والأجداد.

إنللتاريخ دور في تشكيل الهوية، فمجتمع بلا تاريخ مجتمع بلا حاضر ولا مستقبل، أي بلا هوية تاريخية. بل أن التاريخ نفسه هو الأنا الذي ترتكز عليه الهوية، ومن ثم فهو أشبه بالأساس في البناء.فمثلا وفيما يتعلق بالخصوصية الملازمة للشعب الإيراني، والتي بها ينفرد ويتميز عن الشعوب الأخرى مستمدة في جزء كبير منها من تاريخه الحضاري الطويل. وقس على ذلك بالنسبة للجزائر فهويتها متأثرة كثيرا بتاريخها الضارب في الأعماق، حيث أن عناصر المجتمع الجزائري ورثت رصيدا تاريخيا حافلا، بل أن ساكني المنطقة عرفوا أنفسهم بالأمازيغ أي الأحرار، فردد التاريخ أسماء بعينها ماسينيسا ويوغرطة والكاهنة وكسيلة وطارق بن زياد وبلكين بن زيري وسالم الثعالبي وابن القاضي والأمير عبد القادر ولالا فاطمة نسومر والعربي بن مهيدي ومصطفى بن بولعيد، وهي أسماء لمحاربين ومقاتلين، لم يدخلوا التاريخ إلا لأنهم حرروا الجغرافيا المكان والتاريخ، وهو ما يميزهم عن غيرهم.

ويمكن أن نستقرئ كل الشعوب والدول الأخرى، فسنقف دائما على نفس النتيجة، وهي أن ما يعطي لهذه الدول والشعوب خصوصيتها الهوياتية الخاصة بها، والتي تميزها عن باقي الشعوب الأخرى، هي دائما موطنها ولغتها ودينها وتاريخها، النتيجة إذن أن هذه الخصائص ملازمة لكل شعب من الشعوب، والتي تعطيه هويته الخاصة التي ينفرد بها عن باقي الشعوب الأخرى، تشكل قاعدة عامة تسري على هويات كل شعوب الدنيا. ويصعب أن نجد مثالا مضادا ينفي هذه القاعدة أو يدحضها.

وبناء على ما سبق، نقدم مجموعة من المحاولات التي قدمت تصنيفات مختلفة لمكونات الهوية:

سنبدأ بالمحاولة التي قدمها Alex MUCCILLI ، على التحو التالي:[1]

[1] أليكس ميكشيلي، الهوية ، ترجمة: على وطفة ، سوريا: دار وسيم للخدمات، 1993 ، ص18-20 (بتصرف)

- العامل التاريخي: يشكل تاريخ الجماعة منطلقا أساسيا لتحديد هويتها، بحيث أن للأصول التاريخية، والآثار التاريخية من عادات وتقاليد وأعراف انعكاسات على تشكيل هوية الفرد والمجتمع، وهو بهذا يربط الهوية بالمحدد التاريخي، إلا أن الهوية لا تتحدد بالتاريخ فحسب بل أن هناك محددات أخرى.
- العامل الجغرافي: أو ما يمكن أن نسميه بالحدود،وهي أساس تشكيل الهويات الوطنية والحفاظ عليها،وقد تكلم عنه ابن خلدون في مبدئه(العصبية) فهو يرى أثر ذلك في تشكيل المجتمع مما يجعله يحمل صفات موحدة، ويمتلك رؤية موحدة تجاه مجمل القضايا التي تحيط به، وله رؤية محددة للعلاقة مع الطبيعة وطريقة التعامل معها، ولهذا قسمت الأمم بحسب هذا المحدد إلى مجتمعات جبلية وسهلية.
- العامل الاجتماعي: من حيث الطبقة والمكانة والوظيفة (الدور والمركز) أو عناصر المكون البيولوجي المتشكلة من العرق، اللون والجنس، كما يمكن التعبير عن الهوية بطريق الانتماء والتبعية والعضوية الإثنية أو القبيلة أو العائلة أو الأسرة.
- العامل الثقافي:من حيث الدين أو اللغة أو العادات والتقاليد والعرف والقيم الاجتماعية المشتركة والملبس ووسائل الإنتاج وطرائق الأكل والشرب ونظام أسلوب الإدارة والتنظيم الهيكلي للقوة والسلطة والقانون المنظم، كما يندرج فيها وحدة المصالح والمصير والتاريخ المشترك.

- العامل السياسي: من حيث الدولة الوطنية أو القومية ونظام الحكم وشكل الدولة ونظام الإدارة والسيطرة على جهاز إدارة الدولة، المواطنة، الجنسية، البناء الدستوري والقانوني فيها أو الأيديولوجيا الموجهة للبناء السياسي الرئيسي والفرع، الحكومة والتنظيمات السياسية كالأحزاب وتنظيمات المجتمع المدني والأهلي.

- العامل الاقتصادي: والذي يتعلق بالموارد والثروات التي تتمتع بها الدولة أو المجتمع، وكذلك النشاط الاقتصادي، والذي يحدد طبيعة المجتمع أن كان مجتمع زراعي أو صناعي.

كما نجد الباحث شيهب عادل كان قد تعرض إلى هذه المكونات على النحو التالي[1]:

أولا،عناصر مادية وفيزيائية:

–الحيازات: الاسم والآلات والموضوعات والأموال والسكن والملابس.

–القدرات: القوة الاقتصادية والمالية والعقلية.

–التنظيمات المادية: التنظيم الإقليمي ونظام السكن ونظام الاتصالات الإنسانية.

–الانتماءات الفيزيائية: الانتماء الاجتماعي والتوزعات الاجتماعية والسمات المرفولوجية الأخرى المميزة.

ثانيا، عناصر تاريخية:

–الأصول التاريخية: الأسلاف والولادة، الاسم والمبدعون والاتحاد والقرابة والخرافات الخاصة بالتكوين والأبطالالأوائل.

–الأحداث التاريخية الهامة: المراحل الهامة في التطور والتحولات الأساسية والآثار الفارقة والتربية والتنشئة الاجتماعية.

[1] شيهب عادل، مرجع سبق ذكره.

–الآثار التاريخية: العقائد والعادات والتقاليد، العقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وجدت في المرحلة الماضية.

ثالثا، عناصر ثقافية نفسية:

–الأنا الثقافي: المنطلقات الثقافية والعقائد والأديان والرموز الثقافية، الايدولوجيا ونظام القيم الثقافية، ثم أشكال التعبير المختلفة كفن والأدب.

–العناصر العقلية: النظرة إلى العالم، نقاط التقاطع الثقافية، الاتجاهات المغلقة، المعايير الجمعية والعادات الاجتماعية.

–النظام المعرفي: السمات النفسية الخاصة واتجاهات نظام القيم.

رابعا، عناصر نفسية اجتماعية:

–أسس اجتماعية: اسم والمركز والعمر والجنس والمهنة والسلطة والأدوار الاجتماعية، نشاطات وانتماءات اجتماعية.

–القيم الاجتماعية: الكفاءة والنوعية والتقديرات المختلفة.

–القدرات الخاصة بالمستقبل: القدرة والإمكانيات، الإثارةالإستراتجية، التكيف ونمط السلوك.

ب. الهوية الافتراضية، مكوناتها وخصائصها

الهوية الافتراضية:

إن الحديث اليوم عن الهوية الافتراضية أصبح يعد تقريبا من البديهيات، على الرغم من أنها مرتبطة بالعالم الافتراضي، لاعتبار الانترنتفضاء لتكوين الهوية، وعلى الرغم من أن جميع أشكال الهيمنة والتلاعبManipulationممكنة، فمثلا لا يوجد شيء يسمح لنا بالقول أن الشخص الذي يبدوا على هذا النحو في فضاء الواب هو في الواقع هذا الشخص، حيث يقولGeorges Fannyعن المفاهيم المتعلقة بالواقع الحقيقي والافتراضي

«*entretiennent des relations ambiguës dans le cadre des nouvelles sociabilités interfacées par des représentations* »[1]

ولقد جاء فيموسوعةالويب webopediaأن الهويةالافتراضية"*هيالشخصيةالتييتمإنشاؤهامنطرفالمستخدمالإنسانالذييعمل كصلةوصلبينالشخصالطبيعيوالشخصالظاهريللمستخدمين*" [2].وحسبهذا التعريففإنالهويةالافتراضيةهيالسماتوالمواصفاتالتييقدمهاالفردالطبيعي للآخرينعبرالانترنت. لكن Georges Fannyيرى أن الهوية الافتراضية تتكون من مجموعة من الأبعاد الهوياتية وليس فقط من المعلومات التي يقدمها المستعمل للآخرين على شبكة الانترنت.[3]

. مكونات الهوية الافتراضية

يصنفها Georges Fannyإلى ثلاثة مكونات رئيسية كما يلي:[4]

- الهوية المعلنة l'identité déclarative ايصرح بها مباشرة المستعمل.
- الهوية النشطةl'identité agissante تبلغ بشكل غير مباشر من خلال الأفعال والأنشطة.
- الهوية المحسوبة l'identité calculée ناتجة عن معالجة الهوية النشطة من قبل نظام التطبيق، وتوجد أمثلة عن كل صنف من الأصناف السابقة في الشكل الموالي.

[1] Georges Fanny. « Identité numérique et Représentation de soi : analyse sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0 ».op cit, p

[2] http://www.webopedia.com/TERM/V/virtual_identity.html

[3] Georges Fanny,Identité numérique et Représentation de soi : analyse sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0 ».op cit.

[4] Georges, F. « L'identité numérique dans le web 2.0 ». Le mensuel de l'Université, n°27. Juin 2008, p1-3.

1- الهوية المعلنة l'identité déclarative

الهوية المعلنة هي وصف تعريفي يقدمه الفرد بنفسه، وهذه الهوية تختلف واقعيا وكميا، فهي أكثر واقعية في مواقع (التعارف، المجموعات، الشبكات) وتعد خيالية أكثر في ألعاب الفيديو (التواصل واللعب)، ففي موقع اجتماعي ما أو مدونة يمكن أن تكون الهوية صحيحة أو خاطئة، حيث يتوقف هذا على نية تواصل المستعمل والمستخدمين، فمثلا في الفايسبوك "الجنس، وتاريخ الميلاد، الوضعية العاطفية) عادة ما تكون واقعية، وفي المدونة "اسم الصحيفةNom du journal" والسيرة الذاتية biographieعادة ما تكون رومانسية نوعا ما، وفي لعب الفيديو "المهنة والطبقة" عادة ما تكون خيالية أو أسطورية.

فالهوية المعلنة لا نأخذها على أنها صحيحة أو خاطئة ولكنها تلبي رغبة تجسيد شخصية ما، فالهوية المعلنة تعد قوية ومفصلة، بالإضافة إلى التمثل الفردي للشخص وتميزه، حيث أن تراكم المعلومات يعد أساس التمايز الهوياتي الأصلي، مثل ذلك الموجود في الواب 1.0 (الصفحات الشخصية) فهي تشكل مركز الهوية، وحولها تتجمع الهوية النشطة والمحسوبة.

2- الهوية النشطة l'identité agissante

لقد تم تطوير الهوية النشطة مع الواب 2.0 وهي تختلف عن الهوية المعلنة، فهي تعتبر أثرا مؤقتا لأفعال أخرى وتتكون من النشاطات الجماعية أو الفردية داخل العالم الافتراضي، وفي الفايسبوك تتردد هذه المعلومات في ما يعرف بـِ: "le Mini-historique"مثلx وyأصبحوا أصدقاء، أو انضم xإلى المجموعة z. أما في ألعاب الفيديو فتظهر هذه الهوية في قنوات الدردشة، مثلx جمع أشياء z ، أو x ترك عدة z ، أو استعار وما إلى ذلك، أي إبلاغ زملائه بنشاطاته الحديثة.

هذه العلامات المؤقتة تنشأ في بعض الأحيان مؤشرات أكثر ديمومة، حيث نجد ما يعرف بـ: « les collections »مثل ما هو موضح في الشكل 01، تجمع مجموعة من الأشياء التي تراكمت خلال البحث: مقاطع الفيديو (علىyou Tube) ، الصور والروابط (Del.icio.us) ملفات (علىEmule) أدوات وأسلحة في ألعاب الفيديو مثل(MMORPG) ، أصدقاء (على Facebook).

هذه المجموعات collectionsترعا معا الهيكل المعلن la structure déclarative (وقائمة الألبومات، والأصدقاء تكمل وصف الشخص في أفعاله وشبكته الاجتماعية)، أما الهيكل المحسوبla structure calculéeالذي سنتطرق إليه فيما يلي فيتمثل في(عدد الأصدقاء، والفيديوهات).

3-الهوية المحسوبة l'identité calculée

وتتكون من مجموع متغيرات ناتجة عن حسابات نظام التطبيق le système d'application،على خلاف الهوية المعلنة، فالهوية المحسوبة لا تقدم من طرف المستعمل، وهذا أيضا بخلاف الهوية النشطة، فهي ليست الناتج الفوري لنشاطه.

حيث يقدم لنا التطبيق بعض المتغيرات النوعية من مثل "المستعمل مرتبط بشبكة الانترنت أم لا" "متاح أو غير متاح" "بعيد عن لوحة المفاتيح أم قريب منها" "مشغول أو غير مشغول" معلومات حول حضور المستعمل ونشاطه، نحصل عليها من قبل البرمجية، وأخرى كمية مثل "عدد الأصدقاء على الفايسبوك"، عدد المجموعات التي ينتمي إليها.

فعن طريق قياس الحضورla présence، المرئيةla visibilité،شهرة المستعمل Notoriété de l'utilisateur، فالهوية المحسوبة تقوم بمقارنات وترتيبات، حيث أنها تطور قياسا عدديا مهما في النظام الهوياتي وتعكس أفعال المستعمل في المرآة الثقافية المحلية، مما يعني ضمنيا شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعي. (انظر الشكل01)

الشكل رقم01 يوضح مكونات الهوية الافتراضية

خصائص الهوية الافتراضية

يشير Doueihiإلىأن الهوية الافتراضية تلخص مجموعة من الأنشطة لفرد أو مجموعة من الأفراد في حالة ما، وهي تتميز بمجموعة من الخصائص:

- خارقة أوعابرة للقانون Transjuridictionnelle
- عابرة للفضاء أو المكان Transpatiale
- لازمانيةAtemporelle

وحتى نكون دقيقين فالقول بأن الهوية الافتراضية Transjuridictionnelleيعني طرح أنها يمكن أن تعبر على مجموع التشريعات، رغم أن الدول تترك أحيانا وبصعوبة سيادتها محل تساؤل، حيث أن هذه الدول لا تتردد أحيانا في التدخل في الفضاء الافتراضي لأجل

فرض قواعد عالمية متعلقة ببعض الاستخدامات الرقمية الحساسة مثل التحميل غير قانونيlestéléchargements illégaux،واستغلال الأطفال جنسيا على الانترنت.بالإضافة إلىذلك نجد شخصا مثلا قام بفعل مخالفات على شبكة الانترنت، وأشرك مصالح دولة أخرى يمكن أن يتابع من قبلها، رغم أن بلاده قد تدعي حق السيادة، وبشأن هذه المسألة فإن Doueihiيقر بأن: *"الهوية الرقمية تطرح مشكلا شائكا في العلاقات بين التشريعات القضائية السيادية، والقائمة أساسا على الشبكة"*.[1]

الهوية الافتراضية هي أيضا Transpatialeوبعبارة أخرى فهي لا ترتبط كليا بالمكان. فمع الانترنت يمكن لأي فرد من الاستفادة من سمة Ubiquité(التواجد في كل مكان في نفس الوقت) بتغيير مساحة الفضاء كما نشاء. ووفقا لِـ : Lenhort et Madden وعلى سبيل المثال فان 30%من المراهقين يكذبون بخصوص سنهم ومدينتهم ووضعيتهم الاجتماعية.[2] كما نجد الكبار أيضا لا يترددون في التلاعب بهوياتيهم وإخفاء الحقائق، وخلافا لهذا الرأي نجدGeorges Fannyيرى أنه بدلا من الانشغال بتعيين هوية الأفراد، يمكننا معرفتهم أكثر من خلال البيئة المعرفية والمعلوماتية للاستعمال[3]، التي تسمح على سبيل المثال بالتعريف والتموضع من خلال الأعمال التي تمارس، نوع الأصدقاء وعددهم على الفايسبوك (أي الهوية المحسوبة وفقا لـ:Georges Fannyكما رأينا سابقا) ، لذلك يمكننا القول وقبل كل شيء أننا نتحدد على الانترنت من خلال ما ننشره، و ردود الفعل الناتجة على أنشطتنا عبر الانترنت.

وأخيرا تعد الهوية الرقمية حسبDoueihiلازمانية، حيث يتأتى لها هذا من خلال سحر شبكة الانترنت، فيمكن للمستعمل أن يختار الاحتفاظ بشبابه على شبكة الانترنت متحررا بذلك على حتمية الوقت، وهذه تعد واحدة من الفرضيات التي طورها Georges Fannyفي

[1]Milad Doueihi, La Grande Conversion numérique, paris, Seuil, 2008, p85

[2]Lenhart Amanda**,** MaddenMary, Teens, Privacy, & Online Social Networks. Washington DC: Pew Internet & American Life Project, 2007

[3]Peraya, Daniel. « Médiation et médiatisation : le campus virtuel ». C.N.R.S. Editions | *Hermès, La Revue*, 1999/3 - n° 25,*1999*, p. 153-167.

كتاباته الحديثة.[1] وهكذا فإن الاتصال الرقمي يدمج العالم الحالي بالعالم الآخر، وهو ما يسمح مثلا لصفحات الواب، التي رحل مستخدموها عن هذا العالم بالعيش والاستمرار.

وعموما فإن الهوية الرقمية تتشكل من شبكة علاقات معقدة ولهذا فمن المناسب اعتبار أي منظور نمطي[2] متصل بإشكالية الهوية الرقمية وكأنه أحد الأشكال الممكنة للوساطة الدالة، أي أحد التفاسير الممكنة وليستتفسيرا نهائيا وكليا une totalité interprétative. بالإضافة إلى هذه الخصائص نجد Fanny Georges[3]يشير إلى خاصية أخرى، إذ يثير موضوع الوجود الافتراضي ومدى اختلافه عن ذلك الواقعي.ففي الشاشة يجب على الفرد أن يبادر بأفعال حتى يكون موجودا وإذا لم يحدث ذلك فيكون الفرد غير مرئي بالنسبة للآخرين وعليه فهو غير موجود. فهناك علامات دائمة تشكل أساس الهوية تدور حولها علامات أخرى تقوم بتحيين أو تحديث التمثلات الهوياتية.

كذلك فإن فضاءات مراكز الاهتمام les centres d'intérêts (الموسيقى المفضلة، الأصدقاء...) تتناسب بين المستعمل وتمثلاته (الصورة أو الاسم المستعار l'avatar ou le pseudonyme) هذا البناء المرتكز على المستعمل يعد أساس ديناميات التعلم الخاصة بالتقنيات الجديدة.

2. الاستراتيجية والتكتيك في بناء الهوية

إن المختصين في تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC ينتجون أفكارا وتأملات رافضة للخطاب المغالي بإيجابية "مجتمع المعلومات"، حيث شككوا في التأثير المباشر لتكنولوجيات

[1]Georges, Fanny, Le spiritisme en ligne. La communication numérique avec l'au-delà. Lavoisier | *Les Cahiers du numérique*, 2013/3 - Vol. 9,2013, p. 211-240

[2]Cardon, Dominique. « Le design de la visibilité. Un essai de cartographie du web 2.0 ». Réseaux,2008, 152, p. 93-137.

[3]Georges, F. « L'identité numérique dans le web 2.0 », op cit, p.1

الإعلام والاتصال TIC على أنماط وطرق الحياة، وكذا طريقة التنظيم والتفكير والتميز الهوياتي.

إن الأعمال المنجزة حول استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال بداية من سنوات الثمانينيات، وطوال سنوات التسعينات مع التركيز في الواقع على إدراج دراسة الممارسات الاتصالية في سياق مناقشة أوسع حول تطور مكانة الفرد في المجتمع، وحول تطور الروابط الاجتماعية، وحول تحولات الأدوار الاجتماعية والتنظيمات العائلية، وحول تطور أنماط الحياة، والمعايير والمؤشرات المكانية والزمانية التقليدية، والممارسات الحضرية، وحتى على التحولات الأنتروبولوجية المعاصرة.

ومن أولى المهام التي قام بهاالباحثون في حقل سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال هي إظهار تمرد المستخدم بتكتيكات بسيطة على استراتيجيات المصممين، من خلال تسليط الضوء على التناقض الصارخ بين الخيال الاجتماعي والمبالغات المتعلقة بالتغيرات الاجتماعية المتوقعة تحت أثر الانتشار الواسع لأجهزة الاتصالات والتغيرات المسجلة فعلا. بالإضافة إلى بروز استخدامات لم يتوقعها المصممون،كمانجد أنه في الوقت الذي نشأ فيه وسط علمي منشغل بمسألة الاستخدامات فإن عددا مهما من النصوص المتعلقة بتصور التجاوب والاستخدام الايجابي للمستخدمين والمنعكس على التطور المجتمعي. من مثل مقالاتChambat[1]وكتاباتScardigli، فبينما أُعلن عن ظهور مجتمع الاتصال منذ أكثر من20عاما، فإن Pierre Chambatيلاحظ رفقة آخرين[2]أن التغيرات العميقة في أنماط الحياة التي تم التنبؤ بها لم تتحقق بعد.

من جهته أكد Dominique Woltonعلى أننا نجد أنفسنا مجبرين على ملاحظة تغييرات طفيفة من خلال معايير مثالية تتضمن تغييرات اجتماعية مهمة، وظيفية وإشكالية،

[1] - مقالات Chambat سيق وأن تطرقنا إليها في التهميشات السابقة، أما Scardigli فنجد من بين كتاباته :
-SCARDIGLI Victor, *Le sens de la technique*, Paris, PUF, 1992.
[2]CHAMBAT Pierre, « Communiquer, relier », op cit.

والتي تحققت فعلا[1]أماToussaintYvesفي مقاله المعنون بـ: « La parole électronique du Minitel aux Nouvelles Machines à communiquer" الذي نشر في العام نفسه[2]والذي يشير أيضا إلى المينتال والتغيير الاجتماعي مع التركيز على الهوة الموجودة بين المثالية التقنية (استراتيجية المصممين) وواقع الإدماج والاستخدام الاجتماعي (تكتيك المستخدم) لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC.

وأخيرا وكما أشارت Josiane Jouetفان الأفراد يفعلون نفس الشيء ولكن بشكل مختلف حيث أن التغييرات الاجتماعية تعد قليلة ودراماتيكية من تلك التي تم الإعلان عنها وحتى ولو كان يمكن ملاحظة الأثر الفعلي لتكنولوجيات الإعلام والاتصال تكون مرئية فقط في الفجوات الاجتماعية.[3]

علاوة على ذلك، يبدو أنه بالنظر إلى التغيرات التي سمحت بتسهيل ظروف الحياة عن طريق استخدام الأدوات الجديدة للاتصال، وتغير سبل الوصول إلى المعلومات، وكسر الحدود التقليدية للتقسيم اليومي للحياة، وتغيير أنماط المؤانسة الاجتماعية...إلخ، حيث أن الأفراد يعيدون ترتيب ممارساتهم ويميلون إلى تطوير نظام التعويضcompensation .

يذكر Victor Scardigliهو أيضا التباين القوي بين التقدم الوهمي والتغيير الاجتماعي، وضعف التغيرات الاجتماعية المعترف بها، ويؤكد على عقم فكرة التأثير، وهذا لوصف ما يبدو على أنه ذهاب وإياب بين الابتكارات التقنية والاجتماعية[4] بالنسبة له وبالنسبة لبقية أنصار نهج سوسيولوحيا الاستخدامات، حيث لا ينبغي اعتبار التكنولوجيا العامل الوحيد المسبب للتغييرات في أنماط الحياة بل بالعكس فالعلاقة الجدلية بين المبتكرات التقنية

[1]WOLTON Dominique, « Médias, nouvelles techniques de communication etl'éternelle idéologie techniciste », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication etlien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines àcommuniquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.
[2]TOUSSAINT Yves, « La parole électronique. Du minitel aux nouvelles 'machines à communiquer' », *op cit.*
[3]JOUËT Josiane, « Relecture de la société de l'information », op cit.
SCARDIGLI Victor, *Le sens de la technique*, op cit.[4]

والابتكارات الاجتماعية هي التي يجب أن تشكل نقطة اهتمامهم حيث أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال TICتوفر حقلا متميزا للملاحظة بغية دراسة نقاط التقائهم.[1]

ولقد برهن الباحثون على مقاومة المستخدمين لاستراتيجيات المصممين من خلال ثلاثة عناصر:

أولا، يبدوا أن معظم المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات أثاروا هذه الإشكالية، من خلال تشديدهم على أسبقية وجود التغييرات التي ينشدها المصممون، والتي مكنت ودعمت تطوير مختلف تكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC. إذ أشار Victor Scardigliعلى سبيل المثال إلى أن استخدام الهاتف عُمم بصفة أقل لدعم الحراك الاجتماعي، ولكن عُمم بصفة أكبر لأجل تمييز أنماط الحياة بالفردانية، وتحويل المساكن إلى أماكن حياة جماعية[2].

ثانيا: حاول الباحثون في بعض الأحيان العثور على تقارب بين تطور الممارسات الاجتماعية وأنماط التنظيم، والميزات التقنية لبعض الابتكارات التكنولوجية، وفي هذه الحالة، فإن الاستخدامات الملاحظة لأداة اتصالية، تتعلق وترد على احتياجات اجتماعية جديدة، أو بالعكس تجلب تعويضات مقابل التوقعات والانتظار الاجتماعي الجديد، الحاكم عليها سلبا.

يؤكدYves Toussaint Philippe Malleinetمثلا أن نجاح الإدماج الإجتماعي للمانيتوسكوب MagnétoscopeوالمينتالMinitelفي العائلات يفسر من خلال التطورات الواسعة في الأشكال المؤانسة للعائلات، مثل الانتقال من نموذج التسلسل الهرمي السلطوي إلى النموذج التفاوضي، حيث أن تطور نموذج العيش الجماعي ذو طابع فردي خاصة، أو بعض الظواهر كانفجار الأزواجles couples، والحياة المادية.3

---

[1] JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », op cit.

[2] SCARDIGLI Victor, « Les technologies de l'information changent-elles les structures de la vie en société ? », op cit.

[3] MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves, « L'intégration sociale destechnologies d'information et de communication : une sociologie des usages », op cit.

وأخيرا ومن خلال الجمع بين النموذجين السابقين، نجد أن المختصين في سوسيولوجيا الإستخدامات يحاولون التوليف والدمج بين النموذجين من خلال إظهار:

كيف للابتكارات التكنولوجية والتغيرات الاجتماعية السابقة لظهور هذه المبتكرات، أن تحضر معا لتبني وسائل اتصال جديدة –كيفية حدوث هذا التبني في حد ذاته– وكذا الممارسات غير منصوص عليها (من قبل المصممين) والتي تساهم في التطوير المستقبلي للمبتكرات، في ظل سيرورة توليد جدلية تتجدد باستمرار.

يوضحLaurence Bardinدعمه لإعادة بناء الخمسة والعشرين عاما لاستخدام الهاتف، والمواد المكملة له في فرنسا.في رأي الكاتب إن التملك الحالي للهاتف النقال كان محضرا ومعدا مسبقا فيقول: "من جهة، من خلال المستويات السابقة لاستخدام الهاتف الثابت، أو المواد المكملة له، ومن جهة أخرى، من خلال بعض التطورات في المجتمع، وكذا الحاجة التعويضية، للاستفادة من المحمول.

3. التملك في الاستخدام من خلال تنوع الممارسات والمعاني

يسلط الباحثون في حقل سوسيولوجيا الاستخدامات الضوء على التباين في التملكات السوسيوثقافية ويشيرون إلى أنه، في الواقع، لا يبني كل المستخدمين بنفس الطريقة معنى الابتكارات.حيث لا يمتلكون نفس الأدوات المعرفية والثقافية، والاجتماعية لاستخدام الأدوات التقنية. وعليه فإن فئة كبيرة من الباحثين في سوسيولوجيا الاستخدامات يحاولون وصف سيرورة تملك تكنولوجيات الإعلام والاتصالTICمثل: Mallein Toussaint1994[1]،1994Pronovost[2]،1994 Scardigli[3]، 1995[4] Frenette ،2002 Bardin[5]، Jouet1993[6]. من خلال إنجازهم لمجموعة من الدراسات تتعلق باختلاف "مواصفات المستخدمين" وتباين أشكال الإدماج السوسيوثقافي لأدوات الاتصال في مجتمعاتنا.

إن سوسيولوجيا التملك *"تركز قليلا على تسجيل ثم شرح التوزيع غير عادل للمعدات والممارسات، أو حتى لحساب البعد الاجتماعي للابتكار التقني لتحليل كيفية بناء الاستخدامات المتباينة وفقا للجماعات الاجتماعية، والمعنى الذي تضفيه عليه"* [7]

ووفقا لـ: Pierre Chambatيوجدأربع تشكيلاتAccentuations،لقد قمنا سلفا بإثارة الثلاثة الأوائل، الدور الإنتاجي للمستخدم، الانحرافات في الاستخدام مقارنة مع الاستخدامات المقررة سلفا من قبل المصممين، وأهمية الوقت في التمرين على الاستخدام، وعليه يبقى لنا المجال الرابع وهو المفضل لدى الباحثين المهتمين بتحليل البناء السوسيوتقني للاستخدامات،

---

[1]MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves, « L'intégration sociale destechnologies d'information et de communication : une sociologie des usages »,op cit.

[2]PRONOVOST Gilles, « Médias : éléments pour l'étude de la formation des usages sociaux », *Technologies de l'information et société*, Vol.6, n°4 « Technologies d'information et modes de vie »,1994, pp.377-400.

[3]SCARDIGLI Victor, « Déterminisme technique et appropriation :l'évolution du regard porté sur les technologies de l'information », op cit.

[4]FRENETTE Micheline, « L'influence des préconceptions dans le processusd'appropriation des technologies », dans LACROIX J.G, TREMBLAY G., *Lesautoroutes de l'information.Un portrait de la convergence*, Sainte-Foy, Québec, Presses de l'Université du Québec,1995, pp.435-465.

[5]BARDIN Laurence, « Du téléphone fixe au portable. Un quart de siècle derelations interpersonnelles médiatisées en France», op cit.

[6]JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de lamédiation », op cit..

[7]CHAMBAT Pierre, « Usages des technologies de l'information et de lacommunication (TIC) : évolution des problématiques », op cit.

لمعرفة معاني الاستخدام، وبعبارة أخرى التمثلات والقيم التي تستثمر في استخدام جهاز تقني.فهذا المنظور يهتم بالإيماءاتوالسلوكات الروتينية والطقوس اليومية العادية، والتي تتم غالبا بدون وعي المستخدمين[1]، ولكن أيضا تعود لخبرتهم، ولثقافتهم التقنية المكتسبة، فالاستعدادات العقلية تهيئ لهم أولا تملك الأجهزة التقنية.

فالباحثون في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال TICيركزون على ضرورة التعلم الثقافي لأجل الاستعمال الصحيح لأدوات الاتصال، وتبين التأثير الحاسم للعوامل السوسيوثقافية في إنجاح أو فشل التملك التقني[2]، وهي تؤكد أيضا على دور التصورات، والأيديولوجيات، وبعبارة أخرى الوساطات الرمزية المحددة لهوية الجهاز التقني.

أولا، يبين الباحثون في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصالTICأن تعبئة وسائل الاتصال من قبل الجماعات الاجتماعية، يخضع للمتطلبات السوسيوثقافية والرمزية التي تخترقها، فمثلاAlain Tarrives et Lamia Missaouiعكفا سنة 1994 على دراسة استخدام الهاتف لدى ثلاث فئات من المهنيين المهاجرين، حيث بينا كيف يمكن لهؤلاء المهنيين أن يجعلوا استعمال الهاتف للاتفاقيات ومعايير التعبير عن الروابط الاجتماعية في شبكات خاصة، والتي يتموقعون فيها[3]

أولا يبين الباحثون في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصالTICأن تعبئة وسائل الاتصال من قبل الجماعات الاجتماعية، يخضع للمتطلبات السوسيوثقافية والرمزية التي تخترقها، فمثلاAlain Tarrives et Lamia Missaouiعكفا سنة 1994 على دراسة استخدام الهاتف لدى ثلاث فئات من المهنيين المهاجرين، حيث بينا كيف يمكن

[1]MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves,« L'intégration sociale des technologies d'information et de communication : une sociologie des usages », op cit.

[2]BARDIN Laurence, « Du téléphone fixe au portable. Un quart de siècle derelations interpersonnelles médiatisées en France », op cit.

[3]TARRIUS Alain, MISSAOUI Lamia, « Entre sédentarité et nomadisme :le savoir-communiquer des migrants », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°65« Communication itinérante », 1994.

لهؤلاء المهنيين أن يجعلوا استعمال الهاتف للاتفاقيات ومعايير التعبير عن الروابط الاجتماعية في شبكات خاصة، والتي يتموقعون فيها[1].

ولقد قامقبلهDominique Boullier بدراسة سلوك جماعة من مستعملي "Cibistes"[2]وأشار إلى أن التعبير عن الانقسامات الاجتماعية والتوترات في العلاقات الخاصة بهذه الفئة من المستعملين، والتي تظهر في العلاقات الوسائطية،[3]حتى ولو أن المواجهة وجها لوجه بين الآلة ومستعملها، قد تكون مظللة وتمرير هذا لأجل علاقة ذاتية وشخصية أساسا.فالمختصون في سوسيولوجيا الاستخدامات يؤكدون على أن عضوية الأفراد في بيئات رمزية تؤثر على طريقتهم في التفكير واستخدام وسائل الاتصال.[4]

[1]TARRIUS Alain, MISSAOUI Lamia, op cit.

[2]*La définition de cibiste selon le dictionnaire Larousse :*
Cibiste : l'utilisateur de la Citizen Band (CB) ou la fréquence réservée au public , pour des communication radiophoniques de loisirs

[3]BOULLIER Dominique, *Propositions de recherche autour de « sociabilitéurbaine et nouvelles technologies de communication »*, Paris, Plan Urbain, Rapport, 1984.

[4]JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de lamédiation », op cit.

4. إشكالية الهوية كمقاربة سوسيولوجية جزئية

يظهر المختصون في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال TICأن وسائل الاتصال يمكن أن تساهم في بناء الهوية الاجتماعية للأفراد.وتعدSherry Turkle واحدة من الأوائل التي أظهرت الدور الذي تلعبه التفاعلات مع الآلة في التمثلات الذاتية، والتي نستشف من خلالها مكانة الهوية كمتغير في بناء الإشكاليات المتعلقة بمختلف الجماعات والثقافات الفرعية، والدراسات المتعلقة بالنوع (Micro sociologie)[1].كما قام Roland Raymond etKouloumdjian Marie-Franceبدراسة الطريقة التي يساهم بها الهاتف والإذاعة في تحديد هوية بعض المهنيين "المستقلين"[2].

فالباحثون في سوسيولوجيا الاستخدامات يسعون إلى التمييز بين الفئات المختلفة للمستعملين، ودراسة تعدد "المعنى الذي يقدمونه للتقنية" والذي يبنونه حول مجموعة واسعة من أدوات الاتصال دون الإدعاء هنا أننا سنقدم حصرا شاملا للدراسات المنجزة في هذا الإطار، حيث نعتقد أنه من المهم أن نشير إلى بعض هذه الدراسات، من خلال تنظيم عرض خاص ببعض السمات الكبرى للمستخدمين.

فئات المبتدئين والهواةوالمحترفين

قليلة هي الدراسات التي نلاحظ فيها التمييز فيما بين المستخدمين على أساسالمبتدئين والهواة أو حتى المتحمسين منهم.[3]في هذا السياق، تبين Josiane jouet أن التعبير عن ذاتية وعقلانية الفئات الثلاث للمستخدمين لأجهزة الكمبيوتر المحمولة التي قامت بدراستها، تكشف عن المهنيين الذين يستعملون تطبيقات مهنية على أجهزة الكمبيوتر المنزلية، والمبرمجين

[1]TURKLE Sherry, *Les enfants de l'ordinateur : un nouveau miroir pour l'homme*, Paris, Denoël, 1984.

[2]KOULOUMDJIAN Marie-France, RAYMOND Roland, « Les mobiles del'indépendance », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°65 « Communication itinérante », 1994.

[3]-BRETON Philippe, « Les amateurs sont-ils plus proches de l'informatique queses professionnels eux-mêmes ? », *Cahiers d'Histoire et de Philosophie des Sciences*, n°27 « Les amateurs de sciences et de techniques », 1989, pp.139-142.
- BRUNET Jean, « Les représentations de l'informatique parmi les usagers demicro-ordinateurs », *Technologies de l'information et société*, Vol.5, n°3, 1993, pp.275- 300.
- JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de lamédiation », *Réseaux*, n°60 « Les médiations », 1993.

الهواة، ومستعملي الرسائل السريعة، حيث تختلف وفقا لنوع العلاقة في مواجهتها مع الجهاز التقني:

الفئة الأولى: "تملك مزايا الجهاز لربح استقلاليتهم وزيادة فعالية إنتاجهم الفردي" والتحرر من القيود المؤسساتية المرتبطة بأماكن عملهم. وفيما يتعلق بالفئة الثانية، فإن البرمجة مرتبطة " بالرغبة في إتقان التقنية وفي التمتع باتصال ذاتي مع الآلة" فالمنافسة بين العقلانية –ذكاء– الآلة وعقلانية المستخدم تصبح في هذه الحالة مركزية. حيث أن قيمة ممارسة استعمال الحواسيب الصغيرة هو هنا أساسا عقلاني. وأخيرا فيما يخص الفئة الثالثة المدروسة، "الغرض المحدد للتقنية كأداة عملية ووظيفية تم تحويله لصالح الاستخدامات الترفيهية.1

فئات المراهقون والأشخاص المسنون وفئات عمرية أخرى

علاوة على ما سبق، يمكننا إيجاد عدد مهم من الأعمال التي تسلط الضوء على التفاوت العملي والرمزي الذي يميز استخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصالTICبين الفئات العمرية المختلفة. فهم أساسا مراهقون أي فئة تعتبر بانتظام في طليعة من يتبنون المبتكرات التقنية، ورائدة فيما يتعلق بابتكار الاستخدامات الجديدة؛ أما الأشخاص المسنون فهي فئة تتبنى هذه المبتكرات بصعوبة، ولها معرفة محدودة للجهاز التقني.وكانت هذه الملاحظة موضوع عدة دراسات[2]

[1] JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », op cit.

[2] نجد مجموعة من هذه الدراسات في عددين خاصين –92،93– لمجلة Réseaux لسنة 1999، حيث تخصصت في دراسة هاتين الفئتين في نفس السنة وعنوانهما "الشباب والشاشة" و"الاتصال والأشخاص المسنون". يمكن أيضا إضافة بعض الدراسات مثل دراسة Adolescents لصاحبها Gras, Joerges, Scardigliسنة 1992، ودراسة Les personnes âgées لصاحبها Le Goaziou سنة 1992.

ومن وجهة نظر مغايرة يمكن أن نجد عددا قليلا من الدراسات المنشغلة بالعلاقات بين الأجيال وروابطها مع الاستخدامات المتباينة لأدوات الاتصال.[1]أو عن طريق تطور الممارسات الاتصالية أثناء مسيرة الحياة وولادة الطفل الأول أوالطلاق وغيرها.[2]

الجماعات الهوياتية والمكانات المهنية

وأخيرا، فمثل ما تظهر الفروقات المهنية، فإن التمايزات الإثنية في تملك تكنولوجيات الإعلام والاتصالTICتظهر وكأنها خارجة عن الحقل فهي مبنية أساسا حول الممارسات الخاصة والشخصية لأدوات الاتصال.

فهذا هو السبب في أننا لا نستطيع أن نذكر هنا إلا بعض البحوث المعزولة والمتعلقة بهاتين الفئتين. ومع ذلك نجد بعض النصوص التي تركز على تمييز مختلف الفئات السوسيومهنية، و/أو التسلسل الهرمي بين مستخدمي تكنولوجيات الإعلام والاتصال TICواكتشاف الاستخدامات ومعنى الاستخدامات المتباينة المتعلقة بها.[3]

يقومJean Pierre Heurtin و Francis Jauréguiberry بتوثيق وجود الفوارق بشكل كبير في الاستخدام والمعنى الممنوح للهاتف النقال بين الرؤساء والمرؤوسين، في حين أن الأوائل يتقنون إمكانية الوصول بفضل سلسلة من المصافيles filtresواستعمال هواتفهم على أنها سلاح حرية يسمح لهم بالتواصل مع محاوريهم في كل وقت وفي كل مكان.أما المرؤوسين فيرونأن الهاتف النقال يشارك في عزلتهم.

---

[1] فنجد مثلا: BOULLIER Dominique, *L'usager, l'utilisateur et le récepteur : douze ansd'exploration dans les machines à communiquer*, Habilitation à diriger desrecherches, 1995.
-PRONOVOST Gilles, CLOUTIER Jacinthe, « Rapports intergénérationnels etdynamique familiale. L'exemple des nouvelles technologies de l'information et de lacommunication », ALARY Jacques, ETHIER Louise (Dirs.), *Comprendre la famille,[Actes du 3e symposium Québécois de recherche sur la Famille]*, Québec, Presses del'Université de Québec,1996, pp.333-350.

[2]SMOREDA Zbigniew, LICOPPE Christian, *Effets du cycle de vie et desréseaux de sociabilité sur la téléphonie*, Rapport CENT, 1989.

-KOULOUMDJIAN Marie-France, RAYMOND Roland, « Les mobiles del'indépendance », *Réseaux*,Issy-Les-Moulineaux, n°65 « Communicationitinérante », 1994.

-JAUREGUIBERRY Francis, « De l'expérience des téléphones portatifscomme expérience du dédoublement et de l'accélération du temps »,*Technologies de l'information en sociétés*, Paris, Dunod, Vol. 8, n°2,1996, pp.169-188.

وفيما يتعلق بالفوارق الإثنية والاستخدام الخاص لتكنولوجيات الإعلام والاتصال TICمن قبل المهاجرين، نرجع إلى الأعمال التالية: Pasquier 2001، Hargreaves et Mahjoub 1997، Katz et Aspden 1998 ، Calogirou et André 1997 .أيضا، وبعيدا عن تحديد التحليل ذي الشكل الموحد والنظري لممارسات الاتصال والإعلام الوسائطية، فإن الباحثين في سوسيولوجيا استخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال TICيرفضون العديد من الدراسات لحالة مركزة، والتي فيها يسعون لتسليط الضوء على الحتميات السوسيوثقافية التي تمنح التقنيات معاني جد متناقضة، وأخيرا يبينون وخلافا للجهات التي اتخذت القطيعة أن الأجهزة التقنية لا تفرض نفسها.

5. الهوية الثقافية والعولمة

لقد جاءفيالمادةالأولىمنإعلانمبادئالتعاونالثقافيالدولي، ما يلي:

1. لكلِّثقافة كرامةٌوقيمةٌيجباحترامهاوالمحافظةعليها.
2. منحقِّكلِّشعبومنواجبهأنيَنميثقافَته.
3. تشكِّلُجميعالثقافات،بمافيهامنتنوعخصب،وبمابينهامنتباينوتأثير متبادل،جزءًامنالتراثالذي يشتركفيملكيتهاالبشرجميعًا.

وليسفيتنوعالهوياتوتعدادالخصوصياتمايتعارضوقضاءالمصالح المشتركةبين الشعوبوالأممفيإطارالتعاونالإنسانيالقائمعلىقاعدَتيالتعارفوالتعايش.

وإنماينطويهذاالتنوععلىعناصرتغذيالميول الإنسانيالفطرينحو امتلاكأسبابالتقدموالرقيبحافزمنالتنافُسالطبيعي،وبوازعمنالتدافعالحضاري[1].

ومادامتالهويةبهذاالرسوخفيطبائعالأممواالشعوب،فلاسبيلَإلىتجاوزها،أومحوها،أوانصهارهافي بوتقةهويةواحدة(العولمة)مهيمَنةذاتسيطرة ونفوذ.مهماتكنالذرائع،وبلغتمابلغت

[1]باية بورغالة، العربي بن داود، إشكالية العولمة والهوية الثقافية،مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص658.

الأسبابوالدوافع،فليسفيذلكخروج على طبيعةالأشياء،وتمردعلىسننالكونوفطرة الحياة وحسب،وإنَّمافيمحاولةإلغاءهويات الشعوبالقهروالقسروالإكراه،خرقٌللقوانينالمتعارف عليهاعندالبشر،ومسخطيربقواعدالقانونِالدولي،وتهديدللأمنوالسلموالاستقرارفيالعالم.

إنفهمناللهويةينبنيعلىتراثنا التاريخي،إذ جاءفيكتاب(الكليات)لأبيالبقاءالكَفوي، أنالأمرالمتعقِّلَمنحيثإنّهمقولٌفيجواب(ماهو)يسمىماهية.ومنحيثثبوتهفيالخارجيسمىحقيقة. ومنحيثامتيازهعنالأغياريسمىهوية.ولذلكفإذااعتمدناالمفهومااللغويلكلمة " هوية "،أواستندناإلىالمفهومالفلسفيالحديث،فإن المعنىالعاملكلمةلايتغير،وهويشملالامتيازعنالغير،والمطابقةللنفس. أيخصوصية الذات،ومايتميزبهالفردأوالمجتمععنالأغيارمنخصائصومميزات،ومنقيومَقومات.

إن العولمة من الموضوعاتالتيلاتزالمصطلحاتهاومدلولاتهافيمرحلةالتكون. ونحتاجإلىالتوقفعند بعضالأسئلة، وإذاكانالإسراعإلىالإجابةقديوقعفيالزلل،فإنالتريثعندالأسئلةوتأملهاقديتيحمجالاللتأملوالتدبر،ولتحقيقذ لكربماكانمنالطبيعيلمنيبحثهذاالموضوعأنيتساءل:

-ما هيالعولمة؟ "العولمة "

ترجمةلكلمة Mondialisation الفرنسيةالتيتعنيجعلُالشيء علىمستوىعالمي،

أينقلهمنالمحدودالمراقبإلىاللامحدودالذيلاأعنكلمراقبة.

والمحدودهنا هوأساسًاالدولةالقوميةالتيتتميزبحدودجغرافيةوبمراقبةصارمةعلىمستوىالجمارك: تنقُّلالبضائعوالسلع،إضافةإلىحمايةمابداخلهامنأيخطرأوتدخُّلٍخارجي،سواءتعلقالأمربالاقتصادأوبال سياسةأوبالثقافة؛ أماللاَّمحدودفالمقصودبه " العالم" ،أيالكرةالأرضية".[1]

[1]صايم عبد الحكيم، العولمة والجدل الثقافي بين الانفتاح والانغلاق، جلة : التواصل والتثاقف، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، 2010، ص 116.

فالعولمةإذن، تتضمنمعنىإلغاءحدودالدولةالقوميةفيالمجالالاقتصادي المالياوالتجاريوتركالأمورتتحركفيهذاالمجالعبرالعالمومداخلفضاءيشملالكرةالأرضيةجميعها. ومنهنا يطرحمصيرالدولةالقومية،الدولة/الأمة،فيزمنتسودهاالعولمةبهذاالمعنى.

علىأنالكلمةالفرنسيةالمذكورةإنماهيترجمةلكلمة Globalisationالإنجليزيةالتيظهرتأولماظهرتفيالولاياتالمتحدةالأمريكية. وهيتفيدمعنىتعميمالشيءوتوسيع دائرتهليشملالكل. فوفقا لمعجم " Webstarالعولمةهيإكسابالشيءطابعالعالميةوبخاصةجعلنطاقالشيءأوتطبيقهعالميا ."[1]والملاحظأ نهذاالمعنىشديدالبراءةبالغالحياد،لاينسجمفيعمقهمعدلالةاللفظومفهومالمصطلحكمايشاعفيالعالماليوم.

فالعولمةفياللغاتالأوروبيةالمختلفةهيسياسةأوسلوكعلىالمستوى العالمي Globalisationوفيمعنىآخريقصدبهاالسياسةالكونيةويقال " أيضًاالكوكبةوالكوننة،وهيمتقاربةمعمصطلحالتدويل International " أيكلماهوأممي،وهذهالمصطلحاتتصبفيالمفهوم"الفكريالذييضفيالطابعالعالميأوالدوليأوالكونيعلىالنشاطالبشري.[2]

والعولمةفيأصلهااقتصادية،قائمةعلىإزالةالحواجزوالحدودأمامحركةالتجارة،لإتاحةحريةتنقلالسلعورأسالمال. ومعأنالاقتصادوالتجارةمقصودانلذاتهمافيالعولمة،إلاأنهالا تقتصرعليهماوحدهماوإنماتتجاوزهماإلىالحياةالثقافيةوالحياةالاجتماعيةبماتتضمنانهمنأنماطسلوكية ومذاهبفكريةومواقفنفسية،وكلذلكهوالذييصوغهويةالشعوبوالأمموالأفراد.[3].

تبلورت ظاهرةالعولمة بمفهومها المعاصر فيالعقودالقليلةالماضيةوبعدصراعكبيربينالمعسكرينالاشتراكيوالرأسماليوهوماعرفبالحربالباردوبعداذ تهاءهذهالحربانتصارالمعسكرالرأسماليوالذيتمثلفي

---

[1] الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العربية، بيروت، 1998.
[2] صقر تركي، الاعلام العربي وتحديات العولمة، وزارة الثقافة، دمشق، 1998، ص178.
[3] محمد عادل التريكي، التغريب وخطره على العالم الإسلامي، ضمن سلسلة مقالاته في قضايا فكرية معاصرة.

سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفيتي، وهكذا سار عالم المعسكر المنتصر إلى إطلاق التصريحات والعمل لفرض السياسات الهادفة إلى فرض تحويل السياسات الاقتصادية للدول التي كانت تحت سيطرة ونفوذ الاتحاد السوفيتي إلى النموذج الرأسمالي ولو اضطرت إلى استعمال قوة السلاح. ومن ثم أصبح هدف هذه الدول فرض النموذج الرأسمالي معتمدا على الاقتصاد الليبرالي الحر على كل دول العالم وتحول هذا الصراع بين دول المعسكر الرأسمالي من أجل فرض سياساتها المؤدية إلى السيطرة الاقتصادية.

وتبلور هذا الصراع بين الولايات المتحدة والكتلة الاقتصادية الرأسمالية الأخرى بشكل إنفرادي وهذا ما أدى إلى صبغ هذا المصطلح بالصبغة "الأمريكية ".

إن العولمة ذات أبعاد اقتصادية وسياسية وأيديولوجية وثقافية، هذه الأخيرة تهمنا لأن لها ارتباط بالهوية. ففي المجال الثقافي أخذت العولمة تمس الثقافة بمعناها العام؛ أي كلما يجيش به فكر الإنسان من تصورات ونظريات وممارسات، وما يخفق به قلبه ويرتاح له ضمير هم من تعبير حرية الفكر والتفرد بالخصوصية والشعور بالذات، والحوار بلغة الذات مع النفس والناس .والمشكلة المطروحة هي الاتجاه إلى صياغة ثقافية عالمية، لها قيمها ومعاييرها، والغرض منها ضبط سلوك الدول والشعوب.[1]

فما يحدث منذ بداية عقد التسعينيات من القرن الماضي من تحول نحو ثقافة تعتمد على الصورة والإشارات والنصوص المرئية على الشاشات الإلكترونية الدائمة البث، والانتقال إلى مرحلة جديدة من الاتصال عبر الانترنت، عززتها التطورات التقنية للتطبيقات المتنوعة للاتصال والتواصل الاجتماعي، سواء عبر أجهزة الحاسوب، أو عبر الهواتف النقالة بأجيالها المتعاقبة القادرة على تصفح مواقع الشبكات الاجتماعية. وقد أصبحت تلك الهواتف النقالة متاحة لدى كافة الشرائح الاجتماعية بمختلف أنماطها، الأمر الذي أدى إلى تشبيك العالم أجمع.

إن التطورات التقنية للتطبيقات المتعلقة بالتواصل الاجتماعي، (الفيس بوك وتويتر وماي سبيس وغيرها من التطبيقات)وإنشاء المواقع الالكترونية، وأدلة المواقع، ساعدت على نشر مختلف الرموز الثقافية لمختلف الأمم والشعوب، وساعدت على انفتاح مختلف الشرائح

[1] باية بورغالة، العربي بن داود، مرجع سبق ذكره، ص 651.

الاجتماعية بجميع مجتمعات العالم على بعضها البعض والإطلاع على رموزها وسماتها الثقافية، بل وتشبيك الثقافات المختلفة في العالم، ومكَّنت من نقل تلك الرموز الثقافية عبر المجتمعات بصورة أسرع من الآليات التي كانت متبعة سابقا، حتى أضحت الثقافة الآن " سلعة "تباع وتشترى في ظل الأوضاع الجديدة، ومن ثم " تشيؤها "والتقليل من قيمتها لدى بعض الجماعات.

لقد بات ذلك التطور يشكل تهديدا لمنظومات القيم، والرموز الثقافية، وتغييرا في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياةوتحمل معها أبطالا ورموزا جديدة تمتلئ بها مخيلة المشاهد بدءا بعارضات الأزياء ونجوم الكرة، ووصولا إلى رموز الفن والسينما والأطعمة وأنماط السلوك وموضات الملابس.

علاوة على أنماط جديدة من العلاقات الإنسانية والسلوكيات الاجتماعية، كأنماط الزواج المختلفة والصداقة والصحبة، وأشكال من التوجهات السلوكية الأخرى.[1] لقد ساعدت وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي باعتمادها على ثقافة الصورة بدلا من ثقافة الكلمة – ساعدت – على اختراق الحدود الثقافية، وترويج الثقافة السائدة ذات الطابع المهيمن، عبر آليات التأثير الإلكتروني ممثلة في مواقع الشبكات الاجتماعية، واكتساح الفضاء الثقافي وهيمنة الثقافات الغربية، مهددا الثقافات الفرعية، وثقافة الجماعات الصغيرة، ومن ثم الانزواء والاحتماء بالتاريخ والتراث، أو الذوبان في خضم الثقافة السائدة والضياع في تيارها الجارف.

بالإضافة إلى ذلك، ظهرت جماعات وأفراد تحاول الجمع بين الوافد والمحلي، حيث تتمثل الثقافة الوافدة بقيمها ورموزها مع الاحتفاظ ببعض الموز الثقافة الموروثة أو الأصيلة، لتشكل " تكوين ثقافي " خليط ومركب من أنماط متنوعة، تتعايش مع بعضها البعض، رغم

[1] عبد الوهاب جودة الحايس، الشبكات الاجتماعية وأزمة الهويةفي ظل تطور تكنولوجيا الاتصال والتواصل الاجتماعي، متوفر على الموقع: http://elhyes-abdelwahab.blogspot.com/ ، روجع يوم: (2015/2/15)

هيمنة نمط معين منها، ويكون في الأغلب النمط الثقافي الوافد. ويطلق على هذا النمط " التمفصلالثقافي ".

الهويةالوطنية : المرجعيةالسوسيو-تاريخية

تساءلHeideggerفيكتابه: "الأعمالالكاملة"، كيفيجبأننكوننحنأنفسنا،والحالأنناالسنانحنأنفسنا،وكيفيمكنأننكونأنفسنا،دونأن نعرفمننكون،حتىنكونعلىيقينمنأنناانحنالذيننكون؟

ومنهلايمكنتفسيرالنحنأوالهويةمندونالرجوعإلىالخلفيةالسوسيوتاريخيةلنشأتها.إذ أن التراكمالتاريخيأثبتأهميةالعنصرالتاريخيفيبناءالهويةلدىالشعبالجزائريعامة[1]،لم يكن لأي عامل، مهما كانت أهميته، الأثر الكبير كالذي يخلفه التاريخ، فمجتمع بلا تاريخ مجتمع بلا حاضر ولا مستقبل، أي بلا هوية تارخية، بل أن التاريخ نفسه هو الأنا الذي ترتكز عليه الهوية، ومن ثم فهو أشبه بالأساس في البناء.

إن تاريخ الأمة الجزائرية من تاريخ الأمة الأمازيغية الضاربة في أعماق تاريخ منطقة شمال إفريقيا، ذلك التاريخ الذي صنعه الأجداد من ماسينسا إلى يوغرطة، وخلقوا مجدا مثلته دولة النوميديين، وترجمه سانت أوغسطين في مؤلفاته الفلسفية الكبرى.

لقد استطاعت هذه الحضارة أن تستوعب الكل وتحافظ على هوية شمال إفريقيا رغم محاولات الغزاة التي تحطمت على أسوار هذه الأمة فمن الفينيقيين إلى الرومان ثم الوندال فالبزنطيين فالعرب والإسبان والترك والفرنسيين كلهم مروا من هنا. لكن الأمة الأمازيغية استوعبت ولم تستوعب، وحوت ولم تحتو، وبذلك حق للمؤرخين أن يقولوا أن شمال إفريقيا

1 شوشان زهرة، الهوية في الحكاية الشعبية الجزائرية: دراسة سوسيولوجية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عددخاصالملتقىالدوليالأولحولالهويةوالمجالات الإجتماعيةفيظلالتحولاتالسوسيوثقافيةفيالمجتمعالجزائري، ص 696.

ملتقى الحضارات، والوعاء التاريخي الذي جمع مختلف الثقافات، دون أن يؤثر ذلك على هويته الثقافية والاجتماعية، بل شكل ذلك رافدا وإضافة لم تعرفها بقية المجتمعات.[1]

فمثلا فيالعهدالأمويوالعباسياتخذالدينالإسلاميالمرجعيةالوحيدةفيبناءالهوية،ومنهكان قياماالشرعيةمرتبطبالدينفنتجعنذلكوجودمسلمينعربومسلمينغيرعرب،وسميت معارضةهذهالشرعيةبالشعوبية.

فيالعهدالعثماني،وعلىالمستوىالرسميفقدتركزتالهويةأكثرعلىالشعورالديني،الذي ظل حاضرافيجميع الأنشطة والممارسات الثقافية،وغالباما كانيأخذطابعاخاصافي المدن،إذتتميزهذهالأخيرةبوفرةمساجدهاومدارسها.وتجدرالإشارةهنإلىأنهلاتكاد المؤسساتالثقافيةأو المؤسساتالملحقةبها تخلو من الطابع الديني.[2]وهذامايفسرالجزائرتنفصلعن المسجدوالمدرسةوالزاويةوالمكتبة بعد احتلال الجزائر من قبل فرنسا[3]. رغم أن العثمانيين حافظوا علىبعضعناصرالهويةالثقافية إلا أنهم طمسوا البعض الآخر، ويرجعسببهذاأيضاإلىتتريكالثقافةالرسمية،ومنهبرزالمفهومالجديد لبناءشرعيةثقافيةوسياسيةتخدمالدولةالعثمانيةمتجاوزةبذلكالهويةالجزائرية.

فالهويةحسبرأي بوزيدةعبدالرحمنهيتخصيصللذات(الهويةالفردية) انطلاقامنماهيةمشتركة(الهويةالجماعية)أوهويةشموليةأولوهياالماهيةالإنسانية[4].ومنه فالأحداثالتاريخيةالتيعاشتهاالجزائرفرضتعناصرالهويةالجزائرية.هذارغمالتباينالكبيرالملاحظبعدالاستقلال مابينالخطابالرسمي (الدستور والميثاق)، والواقعالاجتماعي عموما، وإلىجانبالتناقضاتالموجودةعلىالمستويين :

الرسمي،والداخليلعناصرالهويةالجزائريةيبرزفيالنسقالسياسيوالاجتماعيتياراآخرلايقلأهمية ألاوهوتيارالعولمةوقبولالآخر) التثاقف (ومختلفالإشكالاتالمنبثقةعنهكإشكاليةالتراثوالحداثة.

---

[1] محفوظ رموم، أشكلة الهوية في الجزائر بين الأمزغة و العوربة و العولمة: رؤية تاريخية إستشرافية لظاهرة العنف في الجزائر، متوفر على الموقع: http://www.aranthropos.com/، روجع يوم: 2015/11/12.

[2]Sari ,D: Les villes précoloniales de l'Algérie occidenontales, sned, Alger, 1978, 2ed, p47

[3]سعداللهأبوالقاسم: تاريخالجزائرالثقافي،الجزء الأول،موك،الجزائر، 1985،ص223 .

[4]بوزيدة عبد الرحمان، قراءة نقدية في الأزمة الثقافية، في الثقافة، العدد2، 1993، ص34.

نسوقفيهذاالإطارمثالابالباحثالجزائريإذيجدنفسهمضطراإلىالأخذبخلفيةمعرفية وفكريةلعلومالآخرسواءفيالعلومالتجريبيةالصورية (كالرياضياتوالمنطق)أوالعلومالتجريبية (كالعلومالفيزيائيةوالبيولوجية) أوالعلومالإنسانية (كعلماالاجتماع،علمالنفس،علمالتاريخ) وتعدهذهالتخصصاتوغيرهامنالأسبابالرئيسيةلتحققالتنميةفيتلك المجتمعات،ومنه،علىالباحثالجزائريأنيطلععلىعلومالآخرحتىيتمكنمنتوظيفها فيمجتمعه،علىأنترتبطهذه العلومبالقيمالخلقيةوالدينيةوبهويةالفرد العقائديةوالتراثيةأيتبيئةثقافةوعلومالآخرمعخصوصيةالفردالجزائريالذييفترضأنيأخذبأسسهذه المعطياتالعلميةالثقافيةلابمظاهرها.

هوية الشباب الجزائري الثقافية

واستخدام الفايسبوك

الفصل الخامس: كيف ندرس هوية الشباب الجزائري في علاقتها مع الفايسبوك

1. الفايسبوك ميدان بحث سوسيولوجي خصب

مما لا شك فيه أن مواقع التواصل الاجتماعي والفايسبوك على وجه الخصوص باتت تشكل وسيلة مهمة وموازية إلى حد بعيد للحياة الاجتماعية لمجتمع القرن الواحد والعشرين. كما أن النشاط الرقمي أصبح ممارسة اجتماعية لفئاتعريضة من المجتمع، مماأدى إلى رسم ملامح حياة افتراضية[1]لا تقل أهمية عن الحياة التقليدية في كثير من المجتمعات ومن بينها مجتمعنا الجزائري.

وغني عن القول أن الحياة الافتراضية تعكس أحيانا كثيرة حياة الفرد والجماعة والمجتمع عموما، ذلك أن مبرمجي هذا النوع من التقنيات يحاولون محاكاة الواقع الفعلي قدر المستطاع، غير أنهم وبسبب توفر الأدوات التكنولوجية والطبيعة الرقمية للحياة الافتراضية أتاحوا للمستخدم تقمص أدواراً ومراكز اجتماعية مختلفة في بعض الأحيان اختلافاً كلياً عن الواقع، بل أنها تمكن من تقمص النقيض، وهي بذلك تبني شخصيات وهمية خادعة، وأخرى قد لا يسمح النظام الاجتماعي بظهورها إلى العلن.فبالإضافةلإمكانيةإخفاء الهوية الحقيقية أو بعض مكوناتهاكالاسم والعمر الحقيقي للمستخدم على سبيل المثال، فهي تمكنه من لعب دور الجنس الآخر، وهي كمثيلاتها من برامج المحاكاة كألعاب الفيديو، يستطيع الجبان في الواقع أن يمارس دور البطل المنتصر في العالم الافتراضي، ويحلق بخياله في عالم خيالي لا يلبث أن ينتهي لحظة خلع النظارات ثلاثية الأبعاد أو إقفال شاشة الحاسوب.[2].

وبشكل عام، فالناس في العالم الافتراضي أكثر جرأة من الواقع، ذلك أن الاتصال المباشر في الحياة اليومية يخضع لعوامل ومؤثرات كثيرة تخضع فيها شخصية كل من طرفي

---

[1]طارق موقدي، سوسيولوجيا الفيسبوك، روجع يوم 2015/05/15، متوفر علىhttp://tarikjm.blogspot.com/2015/05/blog-post

[2]نفس المرجع السابق.

الاتصال للبيئة المحيطة. أما الاتصال في العالم الافتراضي يكون في أغلبه اتصالاً يستخدم الرموز الالكترونية، وخلافا لذلك نجد الاتصال الافتراضي يتيح للمستخدم أدوات الكتابة والإشارة والرموز والصور المتحركة والمؤثرات الصوتية ومواد تدعيميه كثيرة نادرا ما تتوفر مجتمعة في الاتصال المباشر أو ما يعرف بالاتصال الوجاهي.

وفي هذا السياق، ظهر الفايسبوك على أنه اتجاه بحث سوسيولوجي خصب، يلاحظه المختصون وخبراء الإعلام، وعلم الاجتماع الإعلامي، وغيرها من التخصصات القريبة منهما والمتداخلة أحيانا، حيث يتميز الفايسبوك بالفردانية التي تعمل على زعزعة القواعد الاجتماعية من خلال إعادة تعريفها لحدود العام والخاص.

فالفايسبوك يدعو مستعمليه لولوج الفضاء العام امتدادا من الأنا، حيث أن الموقع يعكس تغييرا في العلاقات والخصوصيات، وهذا ما قام بتحليلهSerge Tisseron[1] من خلال نحته لمفهومExtrimitéالمرتبطبالانترنت عموما وشبكات التواصل الاجتماعي خصوصا، وتعني إظهارexteriorisation’lخصوصية مستخدمي الانترنت لأجل التحقق من صحة صورة الذات، ويعرفها Serge Tisseronبأنها[2]:

“le processus par lequel des fragments du soi intime sont proposés au regard d’autrui avant d’être validés”

كما أنAndré Gunthertمن خلال كتابه"Terrain de je et scène du soi"بين كيف أصبح الفايسبوك ميدانا سوسيولوجيا تعددت وتنوعت دراساته، حيث أشار إلى أن الحضور على الفايسبوك يستدعي بالضرورة تمرينات للأفراد، أين يتوجب عليهم الاختيار بين مجموعة من الإمكانيات وبهذه الطريقة يتمثلون أنفسهم من خلال استخدامهم لتطبيق الفايسبوك[3].

[1]Tisseron Serge, « Intimité et extimité », *Communications*, 2011/1 n° 88,p83-91..
[2] Look cit, p 84.
[3] Anonyme, *Réflexions sociologiques sur les usages de Facebook*, disponible sur: https:// homosemiotikus.wordpress.com/2009/07/16/reflexions-sociologiques

ووفقا للباحثةNina Testutفإن كلمة freinds "أصدقاء" تشكل على حد قولها "Holdupsémantique"، حيث أنها تعزز تعدد العلاقات غير المتجانسة. فإذا كانت لا تنتج في إطار الصداقة الحقيقية فهي بعيدة عن اكتساب أي قيمة.لكن مع ذلك تعترف أنه يختلط في ملفها الشخصيson profilالأقارب والمعارف أي تختلط العلاقات بين قوية وضعيفة. وتعزي الكاتبة ذلك إلى طبيعة الفايسبوك ومميزاته الخاصة. فمنذ إطلاقه سنة 2004، يقترح الفايسبوك على المسجل بناء شبكته الودية المفتوحة دون أن يفرض مفهومه الخاص، فاقتراح لفظ Ami للدلالة على الروابط والعلاقات على الفايسبوك. وتشير في هذا السياق إلى أن كلمة Ami لا تميز بين من هم قريبين من معارفنا على الفايسبوك، بل تمثل Des paramètre de visibilités"إعدادات الرؤية" المحددة لقوة العلاقات.[1]

وتضيف بأن التصفح الحر لِـles profils يؤكد أن الفايسبوك يروج أو يشجع على التعارف، حيث نجد خدمةGraph search التي أطلقت في الفترة الأخيرة تقترح إنشاء معارف جدد أكثر قربا وتجانسا. كما تشير الباحثة إلى أهمية أدوات التفاعل مثل « j'aime » والتي يمكن توظيفها بشكل صريح أو ضمني في مختلف النشاطات على الشبكة وفقا للسياق، في حين نجد وظيفة Tagوالتي وجدت في الأصل لأجل التعرف على الأصدقاء في المادة المنشورة، ولكنها تحولت فيما بعد مع الاستخدام إلى توظيفها في تهاني عيد الميلاد، أو من أجل تشغيل محادثة ما.

كما أشارت الكاتبة إلى نسخة Pokeوالتي تستخدم لأجل بعث رسائل قصيرة إلى أي عضو من أعضاء الشبكة، والتي من مميزاتها أنها تختفي في غضون 15 ثانية، فنلاحظ كيف أظهرت هذه الدراسات الانحرافات السوسيولوجية للاستخدام المحضر لها مسبقا.

[1]Ninatestut, facebook et moi et moi et moi, édition Hoébeke, paris, 2009, 189p.

وعليه، فإن طبيعة هذه الوسائل التفاعلية غير المحددة على الفايسبوك تفتح استخدامات عديدة وتفتح هامشا كبيرا لتملكها وإعادة تملكها. كذلك، تساهم في الحفاظ على الصداقات أو فتح استخدامات جديدة. وعليه، فإن مجموعة من الباحثين السوسيولوجيين والإعلاميين أصبحوا يتكلمون عن الفايسبوك وكأنه وسيلة موازية للحياة الاجتماعية.كما أن النشاط الرقمي أصبح ممارسة اجتماعية لفئة عريضة من المجتمع، ينجم عنها مجموعة من الظواهر الاتصالية والاجتماعية الحديثة، التي مازالت في حاجة إلى الدراسة والتمحيص، لهذا السبب يشكل الفايسبوك بامتياز مجال بحث سوسيولوجي خصب وثريبدون منازع.

2. إجراءات الدخول في ميدان البحث

سوف نشرح في هذه الجزئية طريقة ولوجنا إلى ميدان البحث، من خلال توظيفنا لأداتي الملاحظة المرئية وتحليل المحتوى في المستوى الأول، لندعمها فيما بعد بالمقابلة مع بعض عناصر العينة لأجل تعزيز تحليلنا وتعميقه. وعليه واستنادا إلى المقاربة المنهجية التي تبنيناها، وفي إطار القسمالمتعلق بالسياق الجزئي للمستخدم Micro contexte،سنقارب موضوع الهوية وتفعيلها من خلال استخدام موقع الفايسبوك بالتركيز على قدرة المستخدم وتميز هويته بشكل خاص.

وعليه، فإن هذا البحث يهدف إلى فهم الظواهر من خلال ملاحظتهاإلكترونيا[1]؛وثانيا من خلال تحليل محتوى المنشورات الصادرة عن أفراد مجموعةfacebook.

حيث أن هذه الدراسة تجمع بين عدة أدوات على النحو الذي اقترحته Hine[2]"*بدلا من استبدال الملاحظة الاثنوغرافية بتحليل الخطاب على الانترنت، يمكن أن يتعايشا معا بشكل مفيد، وهذا المزيج يمكن أن يساعد في تحليل التناقضات التي تلف الظاهرة التي تتم*

[1]Denzin, Norman K..Interpretive ethnography :ethnographie practices for the 21st century. Thousand Oaks, Calif. : Sage Publications, xxiv, 1997, 325 p.
[2]Hine, Christine. Virtual Ethnography.Londres : Publications Sage, 2000, p53-54.

دراستها". لكن Hine[1]تقترح تحليل المحتوىبدل تحليل الخطاب،رغم أن لديهم خصائص مشتركة، *"ويفتحانإمكانية وصولنا إلى الجهاز الاجتماعي من خلال اللغة"*[2]، فكلا النوعين من التحليل يقترح " *استخراجl'extraction النص، واختزال الواقع réduction de la réalité لأجل تحليله،وإعادة تركيبه"*[3]، –أي الواقع–.

إذا كان تحليل الخطاب l'analyse de discours يولي أهمية أكبر بالجانب السوسيولغوي للمضامين والمحتويات "النص الرسمي"le corpus formelامثل الخطب السياسية والمقالات الصحفية[4].فإن تحليل المحتىl'analyse de contenuايسمح بالابتعاد نوعا ما عنالأبعاد الرسمية (الهيكلية) ودلالاتها (المعاني) إلىالمحتويات غير الرسمية (مثل المحادثات).[5]

علاوة على ذلك، وبعكس الترميز الآلي للبيانات الذي يدعوا إليه تحليل الخطابات فإن تحليل المحتوى لا يتطلب مسحا للمعطيات لأنه يسمح بالترميز اليدوي، هذه المسألة الأخيرة تعد ذات أهمية خاصة في سياق الدراسات المنجزة على الخط، أين توجد تغيرات كبيرة في اللغة، مثل bonjour تصبحbnjrفبرامج المعالجة الآلية للبيانات لا تستطيع معالجة المعطيات والمفردات غير الرسمية informels.

فتحليل المحتوى يسمح لنا أيضا بالعمل على نص سليمun corpus inaltéréوبالتأكيد يساهم في ربح الوقت.وبالتالي، فتحليل المحتوى يتمثل في دراسة المكتوب، ويمنح إمكانية الوصول إلى الواقع الاجتماعي وهو في حد ذاته تحكمه قواعد التفاعل والتفاوض من خلال هيكل الجهاز التقني.وفي حالة بحثنا أي تطبيق مجموعة الفايسبوك l'application de groupe facebook.

[1]Hine, Christine, op cit.
[2]Duchastel, Jules. Survol de l'analyse de discours, de son histoire et de ses liens avec l 'ATO - Analyse de texte par ordinateur, Université du Québec à Montréal,2012, 27 p.
[3] ibidem
[4]AmossyRuth. «Argumentation et Analyse du discours : perspectives théoriques et découpages disciplinaires ». Argumentation et Analyse du Discours, vol1 , 2008.
[5]Duchastel, Jules, op cit.

وفي إطار المقاربة المنهجية التي تبنيناها، وفيالجزء المتعلق بالسياق الكلي الخاص بالاستخدامMacro contexte. حيث يرى Serge Proulx[1]أن *"تحقق الاستخدامات يتم ضمن جملة من البناءات الكلية".وعليه*،أدركنا أنه من المهم أخذ ما يعرف بِـ: « Mésodonnées »بعين الاعتبار، والذي يعني البعد الهيكلي للنص أي انتظام النص في مجموعة مختلفة من المساهمات: منشورات، تعليقات...إلخ. بالإضافة إلى ما يعرف بِـ: « les Métadonnée »أي اسم الكاتب أو المرسل، الجهة أو المتلقي، تاريخ وساعة النشر...إلخ،[2]أي البناء الهيكلي العام لتطبيق الفايسبوك، أو القالب العام الذي يؤطر الاستخدامات.

وعليه، تولد لدينا قالب يأخذ بعين الاعتبار البعد النصي أو الكتابي للمحتوى،بالإضافةإلىذلك –أي« les méta et les méso »–المتعلقة بهيكل البيانات من خلال ترددها في المحتوى الملاحظ، نجد أيضا تقاطع المعلومات التي يمنحها القالب، من خلال تحديدنا لاستخدامات تطبيق مجموعة facebook. وعليه،نقترح طريقة تحليل لمزيج من المعطيات.

إذ تبدو المعطيات الكمية *"والمبنية على تردد ظهور عناصر معينة للرسالة"*[3]أكثر وضوحا، وموضوعية ودقة، وأكثر صلابة.[4]أما المعطيات الكيفية تسمح بتوظيف مؤشرات لا تتردد باستمرار ولكن توصل إلى استدلالات". مع الإشارة إلى وجود إمكانية اعتماد عناصر مهمة أو اعتماد عناصر غير دلالية non significatifs".[5]

[1]Serge Proulx, *Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles – tendances*, op cit.
[2]Duchastel, Jules, op cit.
[3]Bardin, Laurence..*L'analyse de contenu*. «Coll. Quadrige. Manuels». Paris :Presses universitaires de France,2002, p147.
[4]ibidem
[5] Loc cit, p 147-148.

ونعتقد أن هذه المزاوجة تسمح بالاستفادة من مزايا الأداتين من خلال الحد من عيوب الاثنين، وعليه نقترح للمزيد من التفاصيل الرجوع إلى الملحق رقم (03) الذييلخص شبكة الملاحظة،أسئلة ومؤشرات البحث، بالإضافةإلى المنهجية المقترحة.

3. مجموعة« 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك كعينة بحث:

سبق وأن أشرنا أننا طبقنا في بحثنا هذا العينة القصدية التي تناسب طبيعة البحث ومجتمع الدراسة، فاخترنا 20طالبا وطالبة ينتمون إلى الفوج 29 بطريقة قصديه يستخدمون موقع الفايسبوك، هذا كخطوة أولى،وللإشارة فإن الفوج 29 ، سنة أولى علوم إعلام واتصال بجامعة الجزائر3 ، قاموا بإنشاء مجموعة Groupeعلى الفايسبوك سموها « 1er.A.J.G.29 »اشتركت الباحثة معهم في عضوية المجموعة بعد إرسالها طلبا بذلك، كما قمنا بإرسال دعوات Des invitationsإلى مختلف أعضاء المجموعة للتمكن من ملاحظات ما ينشرونه وما يعلقون عليه، وكذا تصفح ملفاتهم الشخصية leur profilبسهولة.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن مفردات العينة – الفوج 29واقيا و« 1er.A.J.G.29 »إفتراضيا– تشرف الباحثة على تدريسهم في كلية علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر3.

وفي خطوة ثانية ومن أجل الحفاظ على مصداقية وعلمية الدراسة عمدنا إلى تطبيق العينة الطبقية التناسبية فقمنا بتقسيم مفردات العينة 20 إلى طبقتين (2) : 10 مفردات من فئة الإناث، 10 مفردات من فئة الذكور.

وتعرف العينة الطبقية بأن الباحث عندما يستخدمها في بحثه يعتمد على تقسيم المجتمع الأصلي إلى فئات أو طبقات متجانسة، من حيث طبيعة المعلومات والبيانات المدروسة، مثال طلبة معهد معين يقسم إلى فئة الطلبة وفئة الطالبات، أو إلى فئة السنة الأولى والى فئة السنة الثانية، حتى آخر السنوات. كما يمكن تقسيم طلبة المعهد إلى طلبة الأغنياء والى طبقة الطلبة الفقراء.[1]

[1] أحمد بن مرسلي، مرجع سبق ذكره، ص188.

ولا يفوتنا أن ننوه بسبب اعتمادنا لهذه الطريقة القصدية الطبقية في اختيار العينة، لكونها غير مكلفة، بالإضافة إلى سهولة وسرعة تنفيذها في الميدان، كما تسهل من مهمة الباحث، زيادة على هذا فهي تضمن نتائج صادقة نسبيا.

إذا عينة الدراسة هي العينة القصدية الطبقية، فأما العينة القصدية فقد عرفها إبراهيم عبد اله المسلمي:" هي أن يختار الباحث حالات يعتقد أنها تمثل المجتمع في الجانب الذي يتناوله البحث، كأن يختار الباحث منطقة أو حي معين، يجري فيه بحثه، معتقدا أن سكانها يمثلون الذين يستمعون إلى الراديو، أو يشاهدون التلفزيون، أو يرتادون السينما أو المسرح.."[1]ويستخدمون تطبيقات الإعلام الجديد ووسائله المتنوعة.

أما بالنسبة للعينة الطبقية فهي التي يتم فيها تقسيم مجتمع البحث الأصلي إلى طبقات أو فئات معينة وفق معيار معين، بعد ذلك يتم اختيار عينة من كل فئة أو طبقة بشكل يتناسب مع حجم تلك الفئة في مجتمع الدراسة الأصلي.[2]

لماذا عشرون (20) مفردة في عينة البحث؟

مثلما هو الحال بالنسبة لمختلف المنهجيات النوعية، " *فمفهوم التمثيل لعينة من المقابلات غير الموجهة يختلف كثيرا عن المسوح الاستبيانية*"[3]، فالمادة المدروسة في إطار" *المقابلة غير الموجهة تشمل عادة ما بين عشرين إلى أربعين مقابلة، ونادرا ما يتعدى هذا الرقم*"[4]، ويتحدد عددها نظريا ما بين هذين الرقمين بطبيعة تجانس أو عدم تجانس المجتمع المدروس، وتنوع معايير التمثيل، وعمليا يرجع بنسبة كبيرة إلى الوقت والمال الممكنين للقيام بالبحث، فالتجربة تبين أن إجراء ثلاثين إلى أربعين مقابلة إذا كانت العينة مختارة بطريقة

[1]إبراهيم عبد الله المسلمي، مرجع سبق ذكره، ص124 .

[2]محمد عبيدات، محمد أبو نصار، عقلة مبيضين: منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، الطبعة الثانية، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن. 1999، ص 91.

[3]Michelat Guy. Sur l'utilisation de l'entretien non directif en sociologie. In: Revue française de sociologie, 1975, p 236.

[4]Sophie Duchesne. Pratique de l'entretien dit "non-directif". M. Bachir (dir). Les m´ethodes au concret. D´emarches, formes de l'exp´erience et terrains d'investigation en science politique, PUF, , 2000, p 3.

جيدة، والمعلومات التي تم جمعها كثيفة، حيث تضعنا على الأقل محل تساؤل، وتهيكل أساسا النتائج المحصل عليها[1]

فالكم لا يهم بقدر ما يهم الكيف وهذا ما جعل Jean-Marie Donégani, Guy Michelat et Michel Simon يتحدثون عن مبدأ التنويع « *principe de diversification* »في العينة بدل مبدأ التمثيل «*principe de représentativité* »[2]

ولنبرر أكثر اختيارنا نرتئي هنا تقديم عرض لعدد مفردات العينات لبعض الدراسات التي انتهجت سوسيولوجيا الاستخدمات في مقاربتها المفاهيمية والمنهجية:

- دراسة الباحث Daniel le Blancمن جامعة QUÉBECبمونتريال بعنوان:

Etude ethnographique virtuelle de l'expérience des HARSAH interagissant avec l'organisme de santé RESO sur facebookأين قام بدراسة أعضاء مجموعة على الفايسبوك اسمهاRÉZO، وقدر عدد مفردات عينته بسبع (7) مفردات.

- دراسة الباحث DAVID MYLESمن جامعة QUÉBECبمونتريال بعنوان:

Les usages d'un groupe facebook en situation de deuil : une étude de cas

قام بدراسة أعضاء مجموعة على الفايسبوك اسمهاGroupe de sophie، وقدر عدد مفردات عينته بثلاثة عشر(13) مفردة.

- أطروحة الباحثة Emna Fouratiمن جامعة Paris 1 Panthéon Sorbonneبفرنسا بعنوان: Regards croisés sur les usages problématiques du Smartphone dansla

[1]نستغل الفرصة هنا للإشارة إلى ما أثاره Pierre Bourdieuفي كتابه *La misère du monde* حول ما أسماه peur de l'objectivationأو الخوف من الموضوعية ،أين تشير الباحثةSophie Duchesneإلى هذا الأمر من خلال تسميتهAgacement أو الموضوعية كمصدر إزعاج فتقول: إن مقابلة 40 شخص تسمح باكتشاف عالم من التمثلات لمجتمع يقدر عدده بالملايين بما فيهم الباحث نفسه.

[2] J.M.Donégani, G.Michelat, M.Simon: Représentations du champ social, attitudes politiques et changements socio-économiques, rapport multigr., Institut de sociologie de l'Université des Sciences et Techniques de Lille et CEVIPOF.

société française، طبق في دراسته هذه التقنية المنهجية Focus groupeالتي تحتوي على سبعة (7) مفردات.

- مذكرة الباحثة Mélanie Milette من جامعة QUÉBECبمونتريال بعنوان: Usages contributifs sur internet : le podcasting indépendant et sens de son style ، وقدر عدد مفردات عينته بعشرين(20) مفردة.

- دراسة الباحث Thiault Florence من جامعة Charles de Gaulle Lille 3بفرنسا بعنوان: Approche anthropologique des usages de tablettes tactiles en formation professionnelle supérieure، ، وقدر عدد مفردات عينته بعشرين(20) مفردة.

عرض النتائـــج

كيفيةتحليل مضامين المقابلات:

لقد انتهجنا في تحليلنا لمضامين المقابلات، تحليلا موضوعاتيا Thématique الذي شرحه Bardin[1]فيقول: "تحليل المضمون يعمل من خلال تقطيع النص إلى وحدات ثم تصنيف هذه الوحدات في فئات وفقا لمجموعات تماثلية" وعليه فإن مضمون المقابلات يشكل نصنا التحليلي notre corpus–بالإضافة إلى مضمون الملاحظات– والذي يهدف إلى تحليل موضوعاتي كيفي وفقا لتقليد Paillé[2]؛ وعمليا اعتمدنا على أربع مراحل لتحليل مضموننا على النحو الذي قدمه Robert et Bouillaguet[3]:

1–مرحلة ما قبل التحليل la pré-analyse: والتي تعني تلك القراءة العائمة lalecture flottante للنص قبل تحليله.

2–مرحلة التصنيف la catégorisation : تتأتى من خلال إعداد شبكة المواضيعElaborer une grille de thèmes

3–مرحلة الترميز وعد الوحدات le codage et le comptage d'unitésوتتمثل في إعداد مجموعة مختلفة من وحدات التحليل لفئة واحدة أو أكثر، (ارجع إلى الملحق رقم (02) في نهاية البحث).

4–مرحلة تفسير النتائج l'interprétation des résultat التي تهدف إلى الوصول لاستنتاجات من خلال المعطيات النهائية.

[1]Bardin, L. *L'analyse de contenu.* Op cit.
[2]Paillé, P. « L'analyse par théorisation ancrée ». *Cahiers de recherche sociologique,*1994,p. 147-181.
[3]Robert, A. D. et A. Bouillaguet. *L'analyse de contenu.* Paris: Édition Presses de l'Université de France, 2007, 127 p.

تقديم النتائج:

من حيث عرض مضامين نتائج دراستنا الكيفية سنتبع توصيات Bernard.Y، حيث يقول بهذا الخصوص "*يجب أن يكون النص النهائي واضح وبسيط، وعلى العكس من ذلك فيما يخص عرض الأدلة نستطيع أن نظهر شيئا من الفصاحة، كما لا نخاف من عرض الحكايات أو التفاصيل، والواقع أن تفسير وتأويل الباحث يتم من خلال مجموعة من المفاهيم غير القابلة للفصل عن سلسلة من الأمثلة، مع السعي أيضا إلى توظيف المفردات التي يستعملها المبحوثين*"[1]

كما سنسعى في هذا الفصل الذي نعرض فيه نتائجنا، إلى استنطاق المستخدمين من خلال توظيف لغتهم، لذا قمنا بعرض النتائج التي توصلنا إليها مع العديد من الاقتباسات، ونشير أنه لاعتبارات أخلاقية حرصنا على عدم إظهار أسماء المبحوثين الحقيقية

1. الاستخدامات العامة للفايسبوك لدى طلبة جامعة الجزائر3

كيفية دخول الفايسبوك إلى حياة الشباب الجزائري:

"عندما تحصلت على شهادة البكالوريا، قررت فتح فايسبوك خاص بي لأنني سمعت عنه من أصدقائي، وخفت أن الجميع يستخدمه في الجامعة وأنا أتأخر عن باقي زملائي" (و.م)

"أعتقد أنه دخل صدفة إلى حياتي، فعندما دخلت إلى الانترنت للبحث عن ما هو الفايسبوك لم أكن مقررا أن أنشا حسابا فيه فبحثت عن ما هو الفايسبوك في google وانتهى بي هذا البحث إلى إنشاء حساب في الفايسبوك هذا"(ف.ح)

[1]Bernard Y. « La netnographie : une nouvelle méthode d'enquête qualitative basée sur les communautés virtuelles de consommation ». In *Décisions Marketing*. 2004. En ligne: <http://docgestion.isuisse.com/netn02004.pdf>. Consulté le]1 avril 2015

"شاهدت إخوتي الكبار يستخدمونه ويقضون وقتا معتبرا عليه فقررت اكتشاف هذا العالم أنا أيضا"(ش.ش)

هناك طالبة أخرى أشارت كذلك أنها فتحت حسابا على الفايسبوك متأثرة بزميلاتها في الدراسة

"سمعت عنه من زملائي في مقاعد الدراسة، فلم أستطع أن أبقى بعيدة عن هذا العالم الذي كثيرا ما تمتد النقاشات الواقعية إليه، أو أن ما يتحدثون عنه في القسم نشأ في الفايسبوك ثم امتد إلى قاعة الدراسة في كلتا الحالتين أردت أن أطلع على ما يجري في هذا الفضاء ولا أبقى معزولة عن الآخرين"(م.إ)

نلاحظ أن قرار الطلبة في الالتحاق بهذا العالم الافتراضي من عدمه تأثر كثيرا بمحيطهم الواقعي أكثر من وسائل الإعلام التقليدية منها أو الجديدة، فأغلبهم سمع عنه من محيطه القريب سواء العائلي أو أصدقائهم أو زملاء الدراسة

أسباب استخدام الفايسبوك:

"أعيش بعيدا عن عائلتي وأصدقائي، والفايسبوك يمثل فضاء لتلبية حاجتي للاتصال... شغل نسكن فوق، فعوض النزول إليه أفتح الفايسبوك، فهو وسيلة للحصول على تواصل سريع، فهناك دائما أشخاص موجودين هناك، وربما يكونون وحيدين في منازلهم، وليس لديهم أشياء كثيرة للقيام بها" (ب.أ)

"لأرى ماذا يفعل أصدقائي، ماذا ينشرون؟ وفي مرات أخرى أطلع على ما يفعله أصدقاء أصدقائي... فكأنها رحلة ترى أصدقائك وما يفعلون وما ينشرون ، وهذا ما أعتبره أنا مهما" (م.ب)

"للمشاركة partager، وللاتصال، للتعبير عن نفسي، فأنا شخص بحاجة للتواصل مع الأشخاص، بحاجة إلى رجع للصدى، فإذا لم أتفاعل مع الأشخاص وكأنه ينقصني شيء ... وخاصة مؤخرا عندما كنا في العطلة، أقضي يومي على الفايسبوك وكأن الفايسبوك هذا شخص موجود معي في محيطي أتكلم معه" (أ.ت)

معناه أن معظم المبحوثين قالوا أنهم يستخدمون الفايسبوك من أجل الاتصال والتفاعل

" كل ما أنشره على الفايسبوك يعلق عليه، فلا يوجد شيء ليس له تعليق. وأفعل هذا من خلال ملاحظتي، حيث أرى الكثيرين يعرضون حياتهم على الفايسبوك للتعليق عليها" (ك.ث)

أرى أني أدعوا الناس للتفكير، وعندما لا يعطي أحد رأيه، أجد أن هذا سلبي عندما لا يقدم أحد رأيه مهما كان إيجابيا أو سلبيا فأنا أنقل المعلومة فحسب، وأريد الفهم من خلال التفاعل" (س.ج)

إذا كان البحث عن التفاعل مع الغير، يشكل هدفا لمعظم المبحوثين، لكن يبدو أن البعض الآخر يكتفون فقط بقراءة ما ينشره أصدقائهم ولا يعلقون عليها: *"يحدث أحيانا أن أقوم بمشاركة partager بعض الأشياء، التي لا يتم التعليق عليها، ولكني أعرف أن عدم التعليق لا يعني عدم القراءة، فلدي بعض الأصدقاء لا ينشرون أبدا، لديهم ثلاث أو أربع صور على جدرانهم، لا يقومون بالتعليق أبدا وهم موجودون فقط لأجل مراقبة الغير* (أ.ت)

"أعرف أنه يوجد العديد الذين لا يعلقون ولكن يشاهدون على الأقل ما هو منشور، فإذا رأيت مثلا 5 أشخاص فقط علقوا، أعرف أنه يوجد على الأقل 10 آخرين اكتفوا بالاطلاع على ما هو منشور" (ك.ث)

نستنتج أن الفايسبوك فضاء تفاعل بامتياز فحتى المستعملين غير النشطين الذين لا يتجاوبون أو يعلقون على ما ينشر أو يتفاعلون مع باقي المستعملين الناشرين، فهم على الأقل يتفاعلون مع المحتوى أو المادة المنشورة من خلال الوصول إليها والاطلاع عليها.

تردد (تكرار) استخدام الفايسبوك:

إن الاستخدام اليومي للفايسبوكيظهر بقوة في حديث الطلبة والذين حددوه أيضا على أنه بات يعد جزءا من عاداتهم وأن استخدامه أصبح تقريبا لا إرادي

"اليوم أصبح الفايسبوك يشكل جزء من حياتي ... أستخدمه يوميا، أقول يوميا، إلا في حال تنقلت إلى مكان غير موصول بالانترنت" (ل.ف)

"ترسخ في عاداتي، أستيقظ مع الفايسبوك صباحا، أحتسي القهوة أمام شاشة الكمبيوتر،والفايسبوك مفتوح: أطلع على الرسائل، أشارك الروابط...إلخ نعم لقد ترسخ في يومياتي" (ك.ل)

"أصبح حقا فعلا غير إرادي ويمر الوقت معه بسرعة... خاصة أشدد على أنه أصبح réflèxe فعل لا إرادي" (ك.ث)

"الفايسبوك جزء من عاداتي ولا يوجد أي موقع آخر تجدر في عاداتي مثله... أتصفحه كل يوم دون استثناء" (ب.أ)

نستشف تأكيد المبحوثين على خاصية الوجود المطلق l'omniprésence الاستخدام الفايسبوك في حياتهم من خلال اعتبار مجريات حياتهم اليومية وكأنها أحداث ينبغي معالجتها وعرضها افتراضيا على الفايسبوك.

سياق الاستخدام:

"عادة ما أدخل إلى الفايسبوك عندما أكون في البيت، نحب نكون allaise–أحب أن أكون مرتاحة– أستطيع الرد على رسائلي الشخصية وأرد كذلك على les pokes الخ"(ش.ش)

"لا يوجد مكان أو فضاء معين استخدم فيه الفايسبوك، فهو حاضر معي في كل مكان في هاتفي المحمول، منذ أن أطلقت3G في الجزائر، وإذا كنت منشغلا في الجامعة ولم أستطع النشر أو التعليق، اطلع على الأقل على الجديد والرسائل، وأرد عليها بمجرد تفرغي"(ل.ف)

طالبة أخرى أشارت كذلك إلىأنها تستخدم الانترنت في المنزل أكثر من أي مكان آخر

"استخدمه كثيرا في المنزل ولكن هذا لا يعني أنني لا أستخدمه في أماكن أخرى، فحين أضطر نشري forfait في التلفون تاعي– أشتري اشتراك انترنت– وأرى ما أريد أن أراه أو أفعله على الفايسبوك"(م.إ)

"أستخدمه كثيرا في الإقامة الجامعية، فقاعة المطالعة في مكتبة الإقامة مزودة بنظام wifi فأجلس مطولا في القاعة واستخدم الفايسبوك وأتواصل مع عائلتي وأصدقائي البعيدين عني"(ب.أ)

نلاحظ من خلال تفاعلنا مع المبحوثين في المقابلة أن أغلبهم يفضل استخدام الفايسبوك في المنزل في جو هادئ وهذا راجع إلى الطبيعة التفاعلية للفايسبوك التي تفرض على المستخدم الدخول في هذا العالم والمشاركة فيه، علىالعكس من وسائل الإعلام التقليدية التي يستطيع فيها المتلقي استقبال الرسالة الإعلامية وفعل أشياء أخرى في نفس الوقت،

فالفايسبوك كتكنولوجيا يتطلب تفرغ المستخدم له، لهذا ينتقد الدارسون الإعلاميونلشبكات التواصل الاجتماعي وينعتها البعض بسارقة الوقت ويدعون إلى الاستخدام العقلاني لها

كما نجد بعض الشباب الذي لا يستطيع الانقطاع ومفارقة الفايسبوك تماما وهو حال (ل.ف) الذي يقول" *فهو حاضر معي في كل مكان في هاتفي المحمول، منذ أن أطلقت 3G في الجزائر*"

روتين الاستخدام:

يبدو أن الطلبة طوروا بعض الاستخدامات الروتينية للفايسبوك عادة ما تندرج في إطار الاستخدام العام للانترنت.

"صباحا عندما استيقظ أتجه إلى الحاسوب، أنا أبحر عادة عبر Google chrome وأفتح عدة نوافذ plusieurs onglet الأولى خاصة بالأحوال الجوية la météo النافذة الثانية للفايسبوك، الثالثة خاصة بـ: gmail بريدي الالكتروني الخاص.(ك.ق)

إذا أدخل كل يوم صباحا إلى الفايسبوك، وأرى إن وصلتني رسائل خاصة وأبدأ بالرد عليها، وبعدها أبدأ بالضحك عندما أقرأ التعاليق لأنني أجد مختلف أنواع التعليقات على le fil d'actualité فيستحيل أن لا توجد تعليقات" (أ.ت)

"غالبا ما يكون التصفح بداية ونهاية اليوم وكأن الأمر انتقال من الخاص إلى العام، فالمدونة مثلا شيء خاص جدا، والفايسبوك أيضا خاص نوعا ما إذا ما قارناه مع تويتر، فأصدقائي هم من الناس الذين أعرفهم، أما تويتر فأراه فضاء أكثر عمومية، لأن علاقاتي مع

صحفيين ومع أناس لا أعرفهم، لكنهم ينشرون أشياء مهمة، أطلع على ما ينشرونه لكن ليس لدي تفاعل كبير معهم" (ب.أ)

كيفية الاستخدام الحالي للفايسبوك لدى الطلبة:

"أولا لدينا الوكزات les pokesأبعث بتحياتي للذين أرسلوا لي بتحياتهم، وبعدها أطلع على بعض المعلومات التي أراها مهمة".(س.ج)

هكذا فبعد الرد على التحيات من خلال les pokes وكذا على الرسائل القصيرة يركن الشباب إلى le fil d'actualitéمن أجل الاطلاع على المحتويات المنشورة وشرح الطلبة كيف أخذت هذه الأخيرة شكلا محددا.

"أبحر ما بين شيئين –آخر الإخبار les actualités وكذا الأخبار القديمة أيضا– فلا أحب أن يقرر لي الفايسبوك ما أقرأه" (ب.أ)

"فيما يخص آخر الأخبار les actualités فعندما تدخل إلى الفايسبوك تظهر لك صفحة فيها كل ما قمت به، فأنا من النوع الذي يرى ماذا فعل إلى آخر مرة كنت فيها connecté ولكن أذهب إلى غاية اليوم وكأقصى تقدير ثلاث أيام أو أسبوع، لأنني إذا تعديت هذا يصبح مضيعة للوقت، وفي نفس الوقت يمكّنني هذا من مشاهدة ما تم نشره، وما أراه مهم أعيد نشره" (م.ب)

"فايسبوكي دائما مفتوح وقليلا ما يمر علي شيء ولا أشاهده وإذا حدث وأن فاتني شيء أعود إلى آخر الصفحة، وأتصفح ما فاتني (ك.ل)

"أطلع على المنشورات الجديدة، لأجد آخر منشور اطلعت عليه فأنتقل من الجدار lemur إلى le fil d'actualité وهكذا حتى أصبح هذا ممارسة متكررة عندي، ومن خلال هذا أرى أنه يتحدد المستخدمون، تعليقاتهم، تقييمهم، مشاركتهم لمختلف المضامين التي يعتبرونها مهمة (أ.ت)

استخدام الفايسبوك لدى الطلبة لا يتحدد فقط بـ: le fil d'actualité ، وبالنسبة لآخرين فإن الدردشةعلى الفايسبوك تعد ممارسة يومية وتشبه ممارسات أخرى من مواقع وشبكات اجتماعية أخرى يعرفونها.

أنا أستخدم chat على الفايسبوك مثل ما كنت استخدمه على MSN " وقد تركت MSN وانتقلت إلى الفايسبوك لأقوم بالدردشة على الفايسبوك مباشرة وأجد معارفي في الفايسبوك أكثر من MSN(س.ج)

2.الاستخدام المتملك للفايسبوك يؤسس لهوية ثقافية جزائرية متميزة لدى الطالب

رأي الطلبة في استخدامهم الخاص للفايسبوك:

صمم الفايسبوك أساسا على أنه أداة تواصل، وهذا ما أكده المبحوثين عندما سألناهم عن الأسباب الرئيسية التي دفعتهم إلى استخدام الفايسبوك، لكن مع ذلك فإن العديد من المبحوثين يتجهون نحو تملك Appropriation شخصي للفايسبوك، واصفين بذلك استخدامهم الخاص والمتميز، الذي يهدف أساسا إلى الاستفادة من المعلومات والتعبير عن الذات والهوية.

"لقد قررت استخدام هذا الوسيط بطريقتي الخاصة، فأنا لا أستخدمه لأجل الحديث عن حياتي الخاصة، ولا للحديث عن الجو إن كان جميلا أم ماطرا، فأنا استخدم الفايسبوك لأحاول أن أنقل أخبار ومعلومات مفيدة للناس، فأنا أحب كثيرا فعل هذا، وأرى نفسي صحفيا محترفا عندما أفعل ذلك رغم أنني لازلت طالبا، فأنا استخدم الفايسبوك هكذا" (ك.ل)

"بالنسبة لي أستخدم الفايسبوك pour bouger les choses -لجعل الأمور تتحرك بطريقتي- فأحيانا يمكن فعل هذا من خلال إقحام نفسك طواعية في بعض الأمور الخيرية، ولكن عندما لا تملك الوقت، فأنا مثلا أدرس وأعمل لذا فإن العمل التطوعي غير ممكن، وعليه فان القيام ببعض الأعمال الصغيرة كالإعلان عنها –الأعمال الخيرية– فهذا فعل بسيط لكنه مهم بالنسبة لي" (م.ب)

"الفايسبوك يريد استغلالنا كأرقام لزيادة شهرته، ولكنني أريد العمل عليه لصالحي ولفائدتي وهذا ما يتجلى من خلال إنشائنا لـ: Première année journalisme groupe 29 وغيرها من المجموعات المفيدة، وإذا

كان كل شخص على الفايسبوك بإمكانه فعل هذا لاستفدنا كثيرا، وأنا شخصيا كثيرا ما أقوم بتعبئة 300 صديق الذين لدي معهم علاقة على الفايسبوك لأجل هذا" (س.ج)

وهكذا التقى الطلبة في تملك موقع التواصل لأجل استخدام متميز من ناحية نشر المعلومات، وسوف نرى لاحقا أن المعلومات التي ينشرونها أو يتشاركونها تعبر عن هويتهم كشباب جزائريين وكطلبة جامعيين أساسا. لكن يوجد البعض الآخر يرى أن استخدامه استخدام عادي مثل حال (م.أ)

"عادي أستخدمه مثل كل الناس، أتواصل وأبعث رسائل، وأطلع على ما يوجد..."

"لا أدري أستخدمه لأرى ما يجري في الجامعة وأتحاور مع زملائي، استخدام عادي..." (ك.ق)

علاقة الحياة الواقعية مع الفايسبوك:

حدد المجيبون أيضا الترابط بين استخدام الفايسبوك وحياتهم الواقعية وخاصة من حيث نوع الصداقات، الوقت الذي يخصصونه للفايسبوك، أي المواضيع التي يتحدثون فيها، والأنشطة التي يجدونها على الخط.

"معظم أصدقائي على الفايسبوك هم أصدقائي في الواقع بمعنى أنني كنت أعرفهم وتجمعني بهم علاقة واقعية سواء صداقة أو قرابة ثم تدعمت علاقتنا افتراضيا وأصبحوا أصدقاء لي في الفايسبوك"(و.م)

" les amies تاعي في الفايسبوك كلهم من زملاء الدراسة في الثانوية والجامعة "(ك.ق)

كما أشار بعض الطلبة إلى علاقة حياتهم الواقعية مع الفايسبوك من خلال نوعية المواضيع التي يتحدثون فيها

"أكيد أن حياتي الحقيقية تؤثر على وجودي في الفايسبوك، فما أكتبه ونوعية المواضيع التي تهمني، وما أنشره له علاقة مع اهتماماتي، واهتماماتي تتغير لأنها تتطور في حياتي الواقعية" (ب.أ)

"المسألة مترابطة بطرق عديدة، دعيني أقول أنه حدث معي شيء ما وأنشره، فهو غالبا شيء أسمع عنه في دروسي، أو أحد الأساتذة أو الزملاء تحدث عن شيء مضحك مثلا، وهو ما يجعل الناس يضحكون على الفايسبوك، فالأمر هكذا متعلق بالحياة اليومية"(ك.ث)

" في البداية كان ما يحدث في حياتي أقوم بنشره على الفايسبوك أما اليوم فالعكس من ذلك، عندما يتوجب علي القيام بشيء ما يجب علي أن ألتقط صورا لنشرها على الفايسبوك ففي بعض الأحيان أكون أقوم بفعل شيء ما فأفكر فورا في تحيين وضعيتي actualisé mon statut وفقا للحالة أو الموقف الذي انأ فيه. (أ.ت)

أحيانا أدون بعض الملاحظات في هاتفي المحمول أو لوحتي الالكترونية عندما أعود مساء إلى المنزل أعود إلى ملاحظاتي وانشر بعضها، أفعل هذا لأنني أنسى أحيانا (س.ج)

إن الانشغال بالنشر على الفايسبوك جاء ببعض التغيرات في التجارب الحياتية اليومية للطلبة.

يوجد شاب آخر أشار إلى أن الفايسبوك يؤثر حتى على علاقاته مع الآخرين واقعيا، حيث أنه يضع الأشخاص الذين لا يستخدمون الفايسبوك جانبا à coté على حد تعبيره.

أنا أفضل التعامل مع الكل على الفايسبوك، وكان لدي صديق عزيز ولكن بسبب عدم امتلاكه للفايسبوك، تباعدنا عن بعضنا، فأحيانا يكون رد فعلي أنك لست فايسبوكيا فأنت غير موجود" (أ.ت)

فما يمكننا التماسه، أن الفايسبوك يأخذ مكانة مهمة في يوميات المستخدمين، واستخدامه مرتبط ارتباط وثيق بحياتهم وأنشطتهم اليومية.

المواضيع والاهتمامات المتعلقة بالهوية الثقافية التي يتناولها الطلبة على الفايسبوك:

سنتناول بالتحليل في هذه الجزئية المواضيع المتعلقة بالهوية الثقافية أو على الأقل المواضيع التي تعكس مكونا من مكوناتها، والتي تثير اهتمام الطلبة على الفايسبوك، وعليه فقد أدرجنا مجموعة من المواضيع والمساهمات، بدء بالمواضيع التي لها علاقة بالتاريخ الوطني سواء القديم منه أو الحديث وكذا المواضيع التي لها علاقة بالعادات والتقاليد والتراث الوطني عموما، مرورا بالمواضيع الحالية actuel والتي تعكس انشغالات متعلقة بعناصر الهوية الثقافية، وصولا إلى المواضيع التي نستشف من مضامينها علاقة باستخدام اللغة العربية والامازيغية وكيفية توظيفها على الفايسبوك وأخيرا المواضيع التي تعكس المكون الديني في الهوية والتي لاحظنا تكرارها كثيرا، وهذا من خلال ملاحظة تفاعلات الطلبة على الخط خلال الفترة الممتدة من 01 جانفي إلى غاية 31 مارس 2016، وبناء على ذلك سنعرض الجدول التفصيلي التالي

الجدول رقم 01 يوضحالمواضيع والاهتمامات المتعلقة بالهوية الثقافية التي يتناولها الطلبة على الفايسبوك

المجال الموضوعاتي	الاهتمامات المندرجة فيه	عدد تكرارها
مواضيع تاريخية	التاريخ القديم	00
	التاريخ المعاصر	12
مواضيع حالية Actuel	سياسية	59
	اقتصادية	14
	اجتماعية	64
	ثقافية	29
مواضيع متعلقة بالعادات والتقاليد والتراث الثقافي	الأكل	15
	اللباس	11
	الغناء	23

مواضيع اللغة	العربية	5
	الأمازيغية	7
مواضيع الدين	الدين الإسلامي عامة	157
مواقع جغرافية	مناطق جزائرية	7

نستخلص من الجدول التالي أن الطلبة يولون اهتماما أكبر بالمواضيع التي تعكس المكون الديني، أي الدين الإسلامي في الهوية الثقافية الجزائرية، حيث بلغ تكرار أشكال التفاعل بمختلف أنواعها من صور، وفيديوهات، وتحيين للوضعيات mise àjour de statutذروتها عند هذا المكون،إذ بلغت 157 من أصل 403 أي بنسبة تقارب 39%. وهي نسبة كبيرة مقارنة بعدد المكونات الهوياتية وتفرعاتها.

طرق وأشكال التفاعل المتعلقة بالهوية الثقافية للطلبة على الفايسبوك:

في إطار ملاحظتنا التي قمنا بها استطعنا جمع بعض التبادلات التي تعكس الهوية الثقافية الجزائرية على الفايسبوك، وللحصول على صورة مفصلة قمنا بتصنيف هذه المحتويات تحت عناوين مختلفة: وفقا لنوع المحتوى، وأشكال المشاركة، وأهم المواضيع والانشغالات، وهذه الملاحظات التي قمنا بها تؤكدها شهادات المبحوثين عند لقائهم.

سوف نتحدث أولا في طرق وأشكال التفاعل التي يفضلها الطلبة عندما يتناولون قضايا تعكس هويتهم الثقافية، وللإشارة فإن هذه الأشكال تعد مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتصميم التقني للفايسبوك، والجدول 2 يلخص ويؤكد هذه الملاحظات حيث يشير إلى أن تحديث الوضعية Mise à jour de statutمن خلال النشر على الصفحة هو الفعل الأكثر ترددا الذي تظهر فيه الهوية الثقافية، وكذا النشر الكبير للصور، وفيديوهات، وبنسبة أقل الأحداث، والمواقع الجغرافية، وعامة يرافق هذا التبادل في المحتويات بتعليقات المستخدمين وهذا ما أكده (ك.ث)

"إذا نشرت مقالا فأضع له على الأقل عنوان أو تعليق في statut"

ومن ناحية نوع المحتوى تفيد أجوبة المقابلات أن الطلبة يتقبلون أكثر قراءة ومشاركة المحتويات المرئية مثل الصور أو الفيديوهات لأنها أكثر جاذبية وأكثر سهولة للفهم.

"كل ما هو صور أو فيديوهات أشاهده، أما النصوص المكتوبة فحسب العناوين، هل يجلبني أم لا" (م.ب)

"أرى أن الفيديو له تأثير أكبر" (ك.ل)لأنها أكثر تلخيص فالمقالات لا يقرئها الجميع" (ك.ث)

الجدول رقم 2 طرق التفاعل ونوع المحتوى المشترك

نوع المحتوى	عدد التكرارات
تحديث الوضعية mise à jour de statut	158
وضع تعليق	16
مشاركة صورة	150
مشاركة فيديو	64
مشاركة مقال من الانترنت	7
مشاركة مقال من الفايسبوك	9

إن أنواع المحتوى غير المستخدمة كثيرا مثل المقالات، توظف أيضا فهناك طالب أشار إلى أن هذا النوع من المحتويات يمكن أن يصل إلى جماهير نوعية

"أنا أوظف أيضا المكتوب، خاصة عندما يعجبني مقال صحفي ما، لأن المقالات يمكن أن تمس بعض الأشخاص، والمضامين السمعية البصرية تمس أشخاصا آخرين" (س.ج)

كما أشار طالب آخر إلى أنه يميل إلى مشاركة partager من موقع من مواقع الانترنت أكثر من أن يشارك من الفايسبوك مباشرة، لأنها أكثر جاذبية خاصة إذا كانت مرفقة بصور جميلة، كما يشير طالب آخر قائلا:

"إذا كتب شخص ما مقال مهم كثيرا، وغير مرفق بصور توضيحية لا أهتم كثيرا بنشره، ولكن في المقابل مثلا يوجد مقال أهميته أقل من الأول لكن مرفق بصور جميلة ولطيفة، لأنني أعرف أنه سيقرأ في حين أن الآخر قد لا يقرئه أحد (ب.أ)

كما وجدنا أفعال أخرى لها علاقة مع موضوع الهوية الثقافية من خلال ملاحظتنا لتحيين الملفات الشخصية mise à jour de profil لا سيما التعبير عن الهوية الفردية كطالب جامعي، كالكتابة على جدار صديق أمور مشتركة بينهم وفي بعض الأحيان كلمات مشفرة لا يفهمها إلا هم كتعبير عن الهوية الجماعية)

فاستخدام تطبيق الفايسبوك أساسا لأغراض تسهيل الحياة الأكاديمية اليومية كنشر علامات الطلبة وبرنامج الدروس والتحاور حوله، أو لأجل الإعجاب aimer صفحة أو مجموعة تابعة للكلية أو الجامعة أو المكتبة...إلخ وفي أحيان أخرى التحاور حول مباريات الفريق الوطني، أو أمور في الحياة الاجتماعية كسياسة التقشف، أو النقل الجامعي وتوقيته...إلخ المهم أن الملاحظ لمضامين المنشورات يستشف تعبيرها عن هوية الشباب الجزائري، ويعرف انه ليس يابانيا ولا تركيا ولا مغربيا حتى وان لم يكن يعرف طبيعة المجموعة.

كما أشارت طالبة أخرى إلى أنها تشترك في بعض الصفحات المتعلقة بالهوية الثقافية الجزائرية مباشرة.

"أشترك في عدة صفحات تعكس العادات والثقافة الجزائرية، كصفحة بوقالات جزائرية، وصفحة الطبخ التقليدي الجزائري، وصفحة أخرى

لا أتذكر اسمها عن تاريخ الجزائر المعاصر، وفيها عدة كتب عن تاريخنا الوطني"

علاوة على الإعجاب aimer الصفحات والمجموعات التي تعكس الهوية الثقافية الجزائرية، نجد بعض الطلبة الشباب يبعثون إلى أصدقائهم روابط إلى هذه الصفحات أو المجموعات

"سألتني زميلة لي عدة مرات عن طريقة تحضير طبق الشخشوخة التقليدي، فأرسلت لها رابطا عن الطبخ التقليدي الجزائري" (ك.ل)

المكانة التي تحتلها هذه التفاعلات المتعلقة بالهوية في استخدامك العام لفايسبوك:

"لا أدري فأنا أتفاعل مع ما هو موجود في الفايسبوك بمختلف الطرق والأشكال، ولكنني لم أولي انتباه صراحة إن كان هذا التفاعل يعكس الهوية الثقافية الجزائرية أم لا، حتى أستطيع تحديد حجمه أو مكانته"(ل.ف)

"مكانتها متوسطة شأنها شأن المواضيع الأخرى فأنا لا أركز على شيء دون الآخر"(ك.ق)

وخلافا لهذا نجد طلبة آخرين أشاروا إلى أهمية ومكانة هذه التفاعلات المتعلقة بالهوية الثقافية في استخدامهم العام للفايسبوك.

"لها مكانة مهمة عندي خاصة صفحات الأزياء التقليدية، وأخص بالذكر اللباس التلمساني التقليدي ومجوهراته، فأنا أهتم كثيرا به، بالإضافةإلىالألبسة التقليدية الأخرى كاللباس العاصمي والقبائلي الذي يعجبني أيضا" (ش.ش)

"أنا لدي اهتمام كبير بالصفحات الرياضية وصفحة الفريق الوطني ولاعبيه الذين أتابع أخبارهم حتى في فرقهم الأوروبية التي يلعبون فيها، لا أدري إن كان هذا يعبر عن الهوية الجزائرية، ولكنني أهتم كثيرا به"(ل.ف)

نستنتج أن الطلبة يهتمون بهذه المواضيع حتى وإن كان من دون قصد فهو استخدام لا شعوري ولكنه يعبر بطريقة أو بأخرى عن الخصوصية الجزائرية.

دوافع ومحفزات تفضيلaimerصفحة تتعلق بالهوية الثقافية على الفايسبوك

أشار أحد المشاركين إلى التشابه بين ما يدفعه إلى نشر محتوى على الفايسبوك وما يشجعه على إظهار إعجابه بصفحة أو محتوى ما على الفايسبوك من خلال نقره على زر" j'aime" فبالنسبة له هي طريقة حذرة للتعبير عن إعجابه ومساندته لهذه المعلومات:

" إذا نقرت على الزر aimer لوضعية ما statutمثلا، فهذا لأنني أريد أن يطلع عليه الآخرين نفس الشيء بالنسبة للمشاركة le partage ولكن بنسبة أقل" (ب.أ)

شرح طلبة آخرون ما يدفعهم إلى تفضيل صفحة بالنقر على زر "j'aime" أو "يعجبني" إنها طريقة لطيفة لتسجيل دعمهم لمبادرة ما وما يسمح لهم باستقبال ما ينشر على هذه الصفحة التي اشتركوا فيها والاطلاع على المعلومات المهمة بالنسبة لهم.

"أشعر عند منح إعجابي لصفحة ما، تعبر عن أي شيء يتعلق بالجزائر خصوصا إذا كان في مقابل بلد أجنبي آخر، كمباراة كرة قدم مثلا، أشعر وكأنني أمنح إعجابي لشخص عادي –طبيعي– يمثل الجزائر، فالأمر وكأنه انتخابات، فهمتني تخيلي أن هناك صفحة تدور وعندما أظهر إعجابي بها "j'aime" وكأنني أظهر

إعجابي بهؤلاء الناس –أعضاء الفريق الوطني– وعندما يقومون بنشر محتويات تنزل آليا عندي، ومن هنا يمكنني إعادة نشرها" (ك.ل)

"عادة هي صفحات الطبخ والمودة التي أقوم بتفضيلها أي نديرلها جام، قد تعبر عن الخصوصية الجزائرية وقد تتعداها" (ك.ث)

"إذا أردت أن أظهر إعجابي بصفحة أو محتوى ما، وأريد أن يرى أصدقائي هذا، أرى أنه يحمل شيئا من التأثير،وعليه إذا أردت أن أأثر في الغير، إذا كان لدي أسبابي طبعا، خلاصة القول أمنح إعجابي لصفحة أو منشور ما إذا أردت أن أأثر في الغير أو أردت استقبال آخر التحديثات على الصفحة" (ب.أ)

إذن مثل ما شرح المبحوثين سابقا، فهم يمنحون إعجابهم لصفحة ما عندما يريدون التأثير والحصول على المعلومات "*عندما أريد الحصول على آخر الأخبار الموجودة في الصفحة مثل صفحة الفريق الوطني لي درتلها جام باش يجوني أخبار لي جوور ونعاود نبارتاجيهم بلا ما نحوس في لي سيت واب ولا لي سيت انتاعهم*" (ك.ل)

الإعجاب بصفحة ما هو أيضا وسيلة للانتماء:

"بالنسبة لي أعتبر من المهم أن أنتمي إلى حركة أو جمعية وطنية رغم أنني لست بالضرورة موجود واقعيا فيها، سواء كانت جمعية خيرية، أو دينية، أو اجتماعية فبالنسبة لي هذه أخلاقي كمسلم وأرى أن نشاطي هذا يمكن أن يراه أناس من شتى بقاع العالم، على الأقل أصلح من خلال هذه الوسائل صورة المسلم التي شوهتها وسائل الإعلام الأخرى" (م.ب)

دوافع النشر على الفايسبوك:

من أهم العناصر المشجعة للطلبة على النشر في الفايسبوك لمختلف المحتويات هي الرغبة بالمساهمة في حركة ايجابية في المجتمع وهذا من خلال الأفعال التي يقومون بها ولها تأثير ايجابي ويبدوا أن هذا دافع مهم جدا:

" أنا أفتخر بنشاطي على الفايسبوك فعندما أقوم بنشر صور عن مختلف المناطق الجزائرية مثلا، فأنا أروج للسياحة لوطني بطريقة غير مباشرة، وتخيل كم شخص سيشاهدها، وكم من شخص سيعيد نشرها وهكذا" (م.ب)

"أتخيل نفسي أحيانا وكأنني جرس une cloche أنبه غيري عن شيء ما مهم كثيرا بالنسبة له، حتى لا يفوته فأذكره به، هكذا أرى نشاطي على الفايسبوك فهو بالتأكيد يشكل منبها لشخص ما مهما كان نشاطي بسيطا ومتواضعا" (ك.ل)

يعبرون عن أنفسهم كطلبة، وطلبة إعلام خاصة فيرغبون في المساهمة بإعلام هادف يخدمون من خلاله المجتمع، حيث تقول (س.ج):

"أرغب دائما في تقديم إضافة un plus لمحيطي الخاص"

وأمام هذه الاعتبارات الاجتماعية، نستطيع أن نفهم ما يدفع مستخدمي الفايسبوك لنشر مختلف المحتويات التي تعكس هويتهم الثقافية، وفي هذا الصدد تقول (ق.ك)

" أحيانا عندما أجد بعض المحتويات منشورة على مجموعتنا سواء صور أو فيديوهات أو حتى مقالات وكتابات شخصية للزملاء تعبر عنا وعن هويتنا كطلبة شباب وكجزائريين أساسا أقوم بنشرها أكيد

ليس كلها ما أجده مهما وما يمكن أن يكون مهما لأشخاص آخرين، فما هو مفيد اليوم في الفايسبوك أنه يمكن أن أرى الشخص الذي شارك الرابط وعليه يمكن أن نقول أنها سلسلة نستفيد منها جميعا"

نجد كذلك من بين العوامل التي تدفع البعض إلى النشر إحساسهم أنهم من الأوائل المشاركين والناشرين للمحتويات

" في بعض الأحيان أقوم بنشر شيء ما وأرى أنه على مر أسبوع وأحيانا على مر شهر لا يزال يتشارك "partager ça partage et ça partage" وهذا يجعلني مسرور، فالأمر ممتع ومثير للاهتمام، ولهذا أنا عضو في العديد من الصفحات والتي لا اطلع عليها كلها، وهناك صفحات أنسى أنني عضو فيها ولكن عندما يتشاركون من عندي أتذكرهم" (ك.ل)

"أقوم بنشر شيء ما، عندما أتوقع أن يتم تشاركه il soit partager من قبل الآخرين، أي شيء أتوقع له بيدير buzz–صدى كبير– أقوم بنشره ليقوم الجميع بنشره من بعدي (ل.ف)

هناك طالبة قالت أنها تميل إلى مشاركة ونشر المحتويات الأصلية وغير المتداولة كثيرا على الفايسبوك:

"عندما أجد محتوى أصلي وأسمع عنه لأول مرة، أي شيء يتعارض مع ما هو سائد ومكرس، لأننا نسمع دائما نفس وجهات النظر وعندما يظهر رأي آخر مبني ومهم أرى أن هذا ما يثير حقا الاهتمام فهو يفتح مجالا جديدا للنقاش والتفكر (ف.ح)

إن المحتوى الأصلي والجديد يصبح قابل لإعادة نشره وهذا يعني أن نشر المحتوى يسمح بظهور بعض أشكال التعارف من قبل المستخدمين

"لقد لاحظت أنني عندما أنشر شيء ما، ويحدث أن يقوم صديقين أو ثلاثة من أصدقائي بإعادة نشر ما نشرته أشعر بافتخار، لأن ما نشرته حضي بالتعليق وحتى إعادة النشر" (م.ب)

"إنها متعة كبيرة عندما تلقى المادة المنشورة أو الرابط نجاحا كبيرا لدرجة أن الآخرين يقومون بنشرها أيضا، وبالتالي التأثير الذي شعرت به أنا سيشعر به أيضا أصدقائي، وهذا يوجد لنا على الأقل بعض النقاط المشتركة" (م.ب)

كما أعزى بعض الطلبة سبب نشرهم إلى محاولة إثارة ردود أفعال والنقاش مع الغير.

"أرى كيف يستجيب الأشخاص ويعقبون على ما نشرت في بعض الأحيان يكون رد الفعل بعد 8 إلى9 ساعات وهدفي هو خلق هذه النقاشات في شبكتي الخاصة" (م.إ)

"عندما أنشر شيئا أكون شبه متيقن أن ثلاثة إلى أربعة أشخاص سيقومون بالتعليق على ما نشرت، وأقرأ بعناية هذه التعليقات ويسعدني هذا أي قراءة الآخرين لما أكتب والتعليق عليه" (ك.ث)

" عندما أجد معلومات تعجبني على الفايسبوك أوظفها لأجل النقاش ومعرفة آراء الغير سواء أعرفهم أو لا أعرفهم واقعيا، وهذا لأجل تبادل الأفكار والتفكير" (س.ج)

شرح بعض الطلبة أيضا كيف أن النشر على الفايسبوك يساهم في بناء صورة إيجابية عن الذات، فالمحتوى المنشور يبث شرطا لا غنى عنه في بعض التمثلات

"عموما هي أفكار أدافع عنها أو أشياء هكذا تمنحني الرغبة في مشاركتها" (ف.ح)

كما يبدو أن المحتوى المنشور يسمح بالتعبير عن شخصية المستخدم

"مثل ما هناك أشياء تجعل الناس يضحكون هناك أشياء أخرى تجعل الناس يفكرون، وعليه فالأمر يشكل نوعا ما جزء من شخصيتنا فإذا جاز التعبير، لا أريد أن يعتقد الناس أنني لوحديمحب للتحدث أو جاد sérieux (م.ب)

"إن عرضنا لإسهاماتنا على الفايسبوك، كيف ما كانت مهمة، مضحكة، تدعو للتفكير، تظهر إلتزاما بالقيم، وفقا لأفكارنا وأذواقنا ووفقا لما نحب ولا نحب، إنها تمثلنا" (م.ب)

وعليه نقول أن من أهم دوافع نشر المحتوى وإعادة مشاركته على الفايسبوك وفقا لما صرح به الطلبة نجد: الرغبة في أن يكون المستخدم من الأوائل الذين ينشرون محتوى ما، ظهور بعض أشكال التعارف وإثارة ردود أفعال والنقاش من قبل المستخدمين، كما نجد دافع نشر صورة إيجابية عن الذات.

دوافع الانضمام إلى المجموعة " « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك:

نقوم الآن بتحديد دوافع المستخدمين في الانضمام إلى المجموعة « 1er.A.J.G.29 »ومتابعتها على الفايسبوك بالإضافة إلى الآثار التي يتوقعها المستخدمين جراء تفاعلهم في إطار المجموعة le groupe على تطبيق الفايسبوك

قدم الطلبة المبحوثين مجموعة من العوامل التي دفعتهم إلى الانضمام والمساهمة في هذه المجموعة على الفايسبوك، فبداية يظهر أن التفاعل والتعبير عن الذات مهم حال (س.ج) التي صرحت أن دافع متابعتها للمجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك ينبع من مساهمتها الملموسة في المجموعة من خلال ما تنشره باستمرار من كتب ونقاشات

"أنا أفتخر بانتمائي إلى هذه المجموعة التي تبقيني مرتبطة باستمرار مع محيطي الجامعي، وتشعرني باستمرار أنني طالبة"

في نفس الإطار يشير أحد الطلبة إلى أنه تحدث مع طالب آخر من نفس الفوج وأخبره عن المجموعة، وهذا خلق لديه الرغبة في الانضمام إلى هذه المجموعة على الفايسبوك، *أرسلت دعوة أعبر من خلالها عن رغبتي في الانضمام إليهم، فتم قبولي وأصبحت أتواصل مع زملائي باستمرار ولا يمر علي يوم واحد حتى أطلع على آخر التحديثات وآخر ما نشره زملائي الطلبة، لأن لدينا نفس الاهتمامات على اعتبار أننا طلبة وندرس معا" (ك.ل)*

مثل ما هو الحال لمختلف المجموعات أو الصفحات يريد المستخدمين الانضمام إليها إما للمساهمة فيها أو الاستفادة من خدماتها وتدفعهم بعض العوامل إلى ذلك ونجد في حالتنا بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا هو رغبة الطلبة في الاطلاع والاستفادة من مختلف المضامين المنشورة في المجموعة « 1er.A.J.G.29 »

"عندما اطلع على صفحة المجموعة أجد معلومات مهمة لي، ولمحيطي الأكاديمي –زملاء وأساتذة– فأنا استخدم هذه المجموعة

للحصول على آخر الأخبار التي تخص الفوج الذي انتمي إليه"

(س.ج)

"بالنسبة لي بمجرد أنني متيقنة أنني أجد معلومات تفيدني، ويمكنني إعادة نشرها في مجموعة أخرى أو على حائطي الخاص، حتى يستفيد منها طلبة الكلية جميعا" (م.ب)

إن الاطلاع على المعلومات وتبادلها بين مختلف الطلبة المستخدمين يشكل دافعا مهما جعل الطلبة المبحوثين ينتمون إلى المجموعة على الفايسبوك ليعززوا بذلك شبكتهم الخاصة.

الآثار المتوقعة من تفاعل الطلبة في المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك

من خلال مقابلة المبحوثين تبين لنا أنهم يتوقعون أن تفيدهم تفاعلاتهم في إطار المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك في عدة جوانب، فهي تعزز لديهم الشعور بالانتماء لمجموعتهم واقعيا، ما يترتب عليه تقارب ما بين بعضهم البعض، ويسمح لهم بتبادل معلوماتي ومعرفي جيد في إطار دراستهم، مما يعزز صورة الفرد وتمثله الذاتي إيجابا.

الشعور بالانتماء:

العديد من المبحوثين أشاروا إلى أن تفاعلهم في إطار المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك سمح لهم بتنمية شعورهم بالانتماء إلى المجموعة وإظهار دعمهم لها

" أشعر مثل الواقع أنني جزء لا يتجزأ من المجموعة، لدي شعور بالانتماء" (أ.ت)

"يراودني وبسهولة ذلك الشعور بالانتماء، وأحس أنني أشارك في عمل شيء ما، حتى وإن كان الأمر في الواقع غير ملموس" (ش.ش)

الشعور بالتقارب proximité :

إن التفاعل مع أشخاص قريبين منك لهم نفس اهتماماتك وحاجاتك وتعيشون في نفس البيئة، يولد لديك شعور أنك لست لوحدك، وأنك قريب من أناس يفهمونك على الأقل، هذا ما أشار إليه بعض المبحوثين من خلال مقابلتهم

"إن إمكانية التواصل مع أصدقاء قريبين منك يعد متعة في حد ذاته، حيث يضمن لك نسبيا إمكانية التواصل اللامتناهي ولا منقطع مع أناس تجمعك معهم اهتمامات مشتركة، إن هذه المجموعة تعد وسيلة تقريب بيننا وكأنها منزل يجمعنا ونملك نسخة لمفتاحه نستطيع أن ندخل إلى المنزل ونرى بعضنا متى شئنا، وحتى عندما لا يكون هناك تبادل كبير بيننا في النشر والتعليق وغيرها، ولكن دائما تحس أنك مطمئن لأنه يمكن أن تعود إلى المجموعة في أي وقت احتجتها فيه" (ك.ق)

إلى جانب هذا نجد طالبة شابة قالت أنها تستفيد في بعض الأحيان من معلومات افتراضيا على المجموعة أكثر منها واقعيا في الجامعة

"أحيانا أحرج في القاعة بوجود الأستاذ أن أسئل بعض الأسئلة ولكن مع زملائي في المجموعة على الفايسبوك أحس أنني يمكن أن أسئل عن أي شيء لم أفهمه ودون إحراج، فأشعر بشيء من الطمأنينة وكذا القرب من أفراد المجموعة لأننا تقريبا نتناقش

افتراضيا أكثر من الواقع ففي القاعة يغلب الطابع الرسمي والسكوت أكثر من الكلام" (و.م)

الاستعلام ومعرفة الإخبار:

تزداد أهمية المجموعة على تطبيق الفايسبوك لدى بعض الطلبة كثيرا، حيث أشاروا أنهم أصبحوا يحصلون على المعلومات دون التفكير في طريقة الوصول إليها كزيارة الموقع الالكتروني الرسمي للجامعة أو الكلية مثلا الذي يحصلون منه على معلومات مهمة وضرورية لهم.

" في الأيام الأولى بعد الدخول الجامعي، وقبل أن أعرف بوجود المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوككنت عندما أحتاج إلى بعض المعلومات أزور الموقع الالكتروني للكلية أو الجامعة أحيانا لأعرف الجديد، لكن الأمر أصبح متعبا بالنسبة لي، وأحيانا أنسى فعل هذا ولكن بعد انضمامي إلى المجموعة 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك أجد جديد الجامعة في قائمة الأحداث " la liste des évènements" كتواريخ الامتحانات وتواريخ الأيام الدراسية وغيرها" (و.م)

"حتى ولو كان موقع الكلية أو الجامعة ممتاز ومنشورات الجمعيات الطلابية والإعلان عن نشاطات الطلبة جيد لكن يتوجب علي أن أزورها واحدة واحدة سواء افتراضيا أو واقعيا، ولكن على الفايسبوك الأمر أكثر سهولة، فعند دخولي إلى صفحتي أجد جميع الأخبار في المجموعة « 1er.A.J.G.29 »

على الفايسبوك وغيرها من المجموعات الخاصة بأخبار L'ITFC"
(ل.ف)

يبدو أن النشر المتكرر للأحداث التي تهم الطلبة الشباب في الفايسبوك تسمح لهم أن يكونوا على علم بما يحدث من أحداث تهمهم وخاصة المستقبلية منها.

التمثل الذاتي الايجابي:

يبدو أن استخدام الفايسبوك والتفاعل في إطار المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك يساعد على زيادة الإحساس بتحقيق الذات l'accomplissement personelالدى المستخدمين الأكثر نشاطا من حيث إنتاجهم للمحتوى أو نشرهم للأخبار والمعلومات، وفي هذا الصدد أفاد العديد من المشاركين أنهم شعرو باكتساب قيمة شخصية إضافية، وهذا مرتبط بحجم وكمية المعلومات التي ينشرونها من خلال صفحاتهم على الفايسبوك

" عندما أنام ليلا وأتذكر أنني نشرت معلومات مفيدة أحس بالراحة والايجابية" (س.ش)

" أحس أنني أفعل شيئا مفيدا je fait de quoi في المجتمع، وهذا ما يساعدني على المواصلة" (ش.ش)

تبين من خلال المقابلة أن حفاظ المستخدمين على ملفاتهم الشخصية leur profilمحينة يشارك في بناء صورة إيجابية عن الذات يمنحونها للآخرين

" –نحب البروفيل نتاعي يمثلني– أحب أن يمثلني بروفايلي وأعتقد أنه يمثلني فعلا لأنه يعرضني أمام أصدقائي، يعرض أذواقي ومنشوراتي، لأنني أولي أهمية لصورتي فكل العالم لديه الحق في الوصول إليها من صديق إلى صديق وهكذا فمن السهل أن يحكم

عليك من مجرد نظرة لذا يتوجب علي عرض نفسي بعناية كما أنا لا يساء فهمي" (ح.ف)

إن استخدام الفايسبوك وصناعة المحتوى فيه، يعد فرصة لتحديد الأفراد وتمثلهم الذاتي لهوياتهم فاستخدام الفايسبوك والتفاعل في إطار المجموعات يساهم في إعلام المستخدمين ويطور الشعور لديهم بأهميتهم وأهمية انجازاتهم الافتراضية مما يترتب عنه تعزيز لانتمائهم في إطار الجماعات التي تنشط افتراضيا وواقعيا غالبا جنبا إلى جنب، مما يضاعف الإرادة لديهم في عرض صورة إيجابية عن الذات ويعزز التمثل الهوياتي الايجابي لديهم كطلبة وكشباب جزائريون أساسا.

3. تجلى الهوية الثقافية لطلبة جامعة الجزائر3 من خلال هويتهم الافتراضية

سنحاول أن نجيب في هذا الجزء عن تساؤل مهم يبحث مدى تجلي الهوية الثقافية الجزائرية لدى طلبة جامعة الجزائر3 من خلال هويتهم الافتراضية بمكوناتها الثلاثة كما حددها Georges Fanny[1]، وهذا من خلال الملاحظة والتحليل لمختلف صفحات واستخدامات الطلبة الأعضاء في المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك. بتدرجنا لتناول كل مكون من مكونات الهوية الافتراضية الثلاثة على حدى ومدى تعبيره عن الهوية الثقافية الجزائرية أو أحد مكوناتها، خلال الفترة التي لاحظنا فيها أعضاء المجموعة والممتدة على مدى ثلاث أشهركما سبق وأن أشرنا.

أ. الهوية الثقافية من خلال الهوية المعلنةl'identité déclarative:

سبق وأن أشرنا أن الهوية المعلنة هي وصف تعريفي يقدمه الفرد بنفسه من خلال مجموعة من المؤشرات كالاسم، الجنس، السن الذي يفهم من خلال خانة تاريخ الميلاد، مكان الإقامة، مكان الدراسة، المهنة...إلخ حيث قمنا بتحليل هذه المؤشرات من خلال دراستها وتصنيفها على أساس الطبيعة: واقعية أم مستعارة .

[1]Georges, F. « L'identité numérique dans le web 2.0 ». Le mensuel de l'Université, n°27. Juin 2008, p1-3.

فوجدنا من خلال هذا التصنيف أن ما نسبته 64.16% من مجموع المؤشرات الستة واقعية وغير مستعارة، وهي نسبة معتبرة وتؤكد النتيجة التي توصل إليها Georges Fanny من خلال أبحاثه المختلفة حيث يرى أن الهوية المعلنة في شبكات التواصل الاجتماعي والفايسبوك على الخصوص تكون واقعية أكثر. وللإشارة فان الباحثة استطاعت عن تفصل في مدى واقعية المتغيرات نتيجة ملاحظة الطلبة عن كتب وصلتها المباشرة بهم، وللتفصيل في هذه النسبة أكثر سنقدم الشكل التالي يوضح مدى تردد كل مؤشر على حدى:

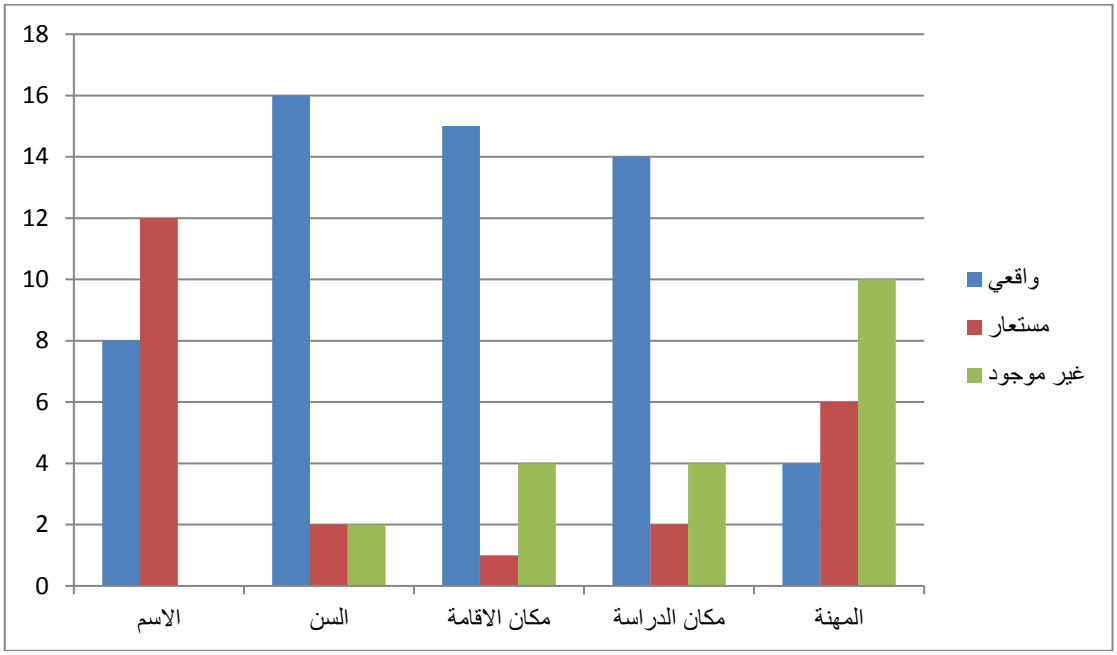

الشكل رقم 02 يوضح مدى تردد مؤشرات الهوية المعلنة لدى الطلبة

نلاحظ من خلال الشكل أعلاه أن مختلف مؤشرات الهوية المعلنة هي مؤشرات واقعية باستثناء مؤشر الاسم الذي يرتفع حيث نجد أن نسبة الطلبة الذي يتخذون أسماء مستعارة على الفايسبوك تقدر بـ: 60%، وهي نسبة معتبرة وتمثل حسب اعتقادنا أهم مؤشر في الهوية المعلنة. لأننا لا نتعامل معها على أساس أنها صحيحة أو خاطئة ولكنها تلبي رغبة تجسيد شخصية ما، وتحيل إلى التمثل الفردي للشخص وتميزه الهوياتي.

ب. **الهوية الثقافية من خلال الهوية النشطة** l'identité agissante

تعد الهوية النشطة رد الفعل الأولي لأنشطة المستخدم، وفي الفايسبوك نجد تتردد هذه المعلومات في ما يعرف بـِ: "le Mini-historique"مثلx وyأصبحوا أصدقاء، أو قامxبتحديث وضعيته أو مشاركة صورة أو فيديو أو أي محتوى يخبرنا عن نشاطات هذا المستخدم. وللإشارة فقد قمنا بتحليل مؤشرات الهوية النشطة من خلال الفضاء المخصص لها كما هو موضح في الشكل رقم 01 أعلاه وليس من خلال خانةle Mini-historique" أو Notification حتى نستطيع التوصل إلى المؤشرات التي يدوم ظهورها ويمكن الرجوع إليها والتحقق منها. وعليه سنبين كيف تجلت الهوية الثقافية من خلال نسبة ترددها في الاستخدام العام المتجلي في مؤشرات الهوية النشطة كما يوضح الشكل التالي:

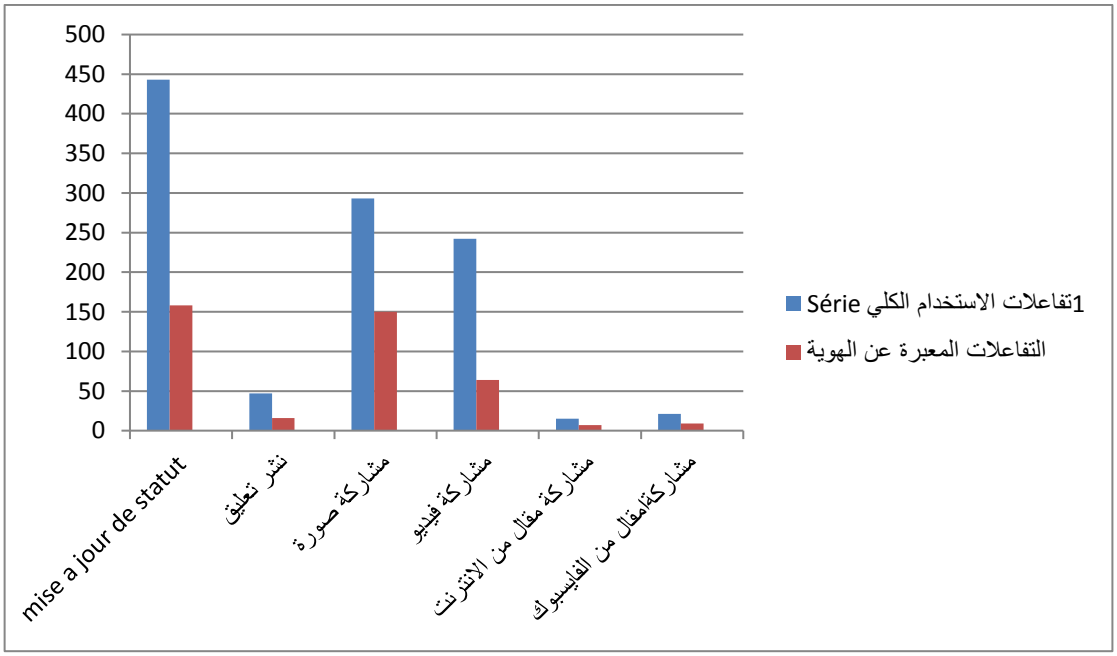

الشكلرقم 03 يوضح مدى تردد التفاعلات المعبرة عن الهوية الثقافية في مؤشرات الهوية النشطة لدى الطلبة

يتضح لنا من خلال الشكل أعلاه أن أعلى نسبة تظهر فيها تفاعلات الطلبة المعبرة عن الهوية الثقافية الجزائرية أو أحد مكوناتها المتجلية من خلال مؤشر الهوية النشطة المتمثل في "مشاركة الصورة" تقر بـ: 51.16% (ن=150) من تفاعلات الاستخدام العام للفايسبوك وهي نسبة معتبرة جدا وتتأكد لنا لاحقا من خلال الشكل رقم05 في المبحث

الموالي، ليليها مؤشر تحديث الوضعية Mise a jour de statutبنسبة تقدر بـ: 34.04% من الاستخدام العام الفايسبوك (ن=158). في حين نجد أن نشر التعليقات ومشاركة مقالات من الانترنت أو الفايسبوك أي المحتويات المكتوبة عامة تخفض في التفاعلات المعبرة عن الهوية الثقافية الجزائرية وكذا في مختلف تفاعلات الاستخدام العام للانترنت. وللإشارة فإن هذه النتائج تتوافق إلى حد كبير مع أجوبة المقابلة، أين أشار الطلبة إلى تفضيلهم للمحتويات البصرية.

ج. الهوية المحسوبة l'identité calculée

الهوية المحسوبة هي مجموع متغيرات ناتجة عن حسابات نظام التطبيق le système d'application، نحصل عليها من قبل البرمجية، مثل "عدد الأصدقاء على الفايسبوك"، عدد المجموعات التي ينتمي إليها.حيث قمنا بتحليل هذه المؤشرات من خلال دراستها وتصنيفها على أساس طبيعة العلاقات التي يربطها المستخدم: محلية أم عالمية.

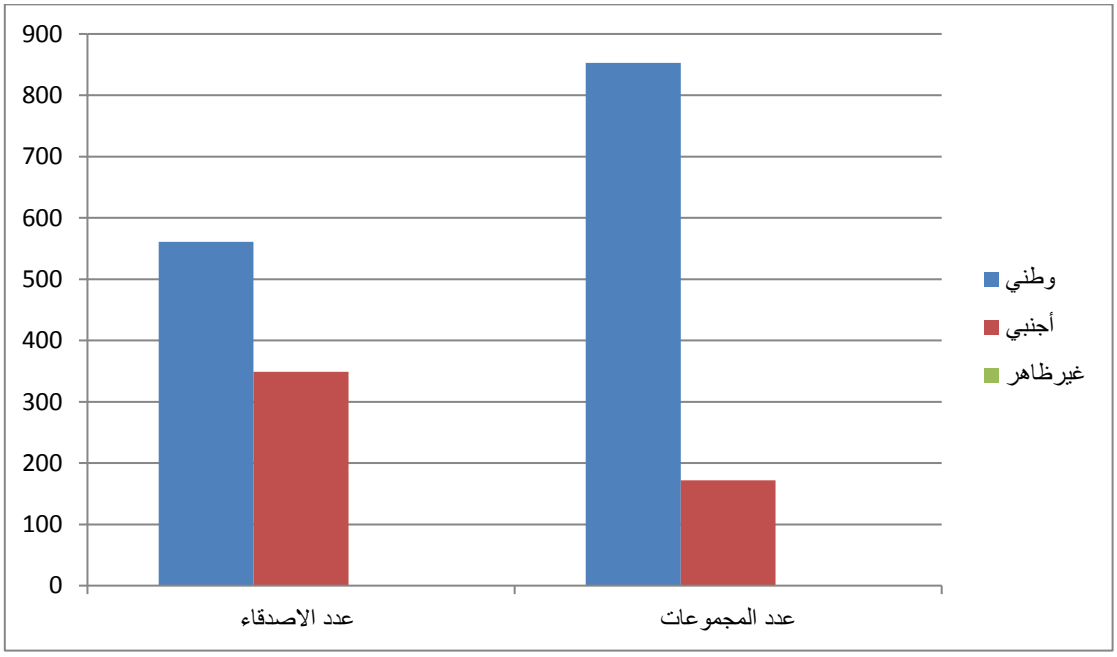

الشكل رقم 04 يوضح طبيعة العلاقات التي يبنيها الطلبة من خلال مؤشرات الهوية المحسوبة

نلاحظ من خلال الشكل رقم 04 ارتفاع نسبة الطلبة الذين يربطون علاقات مع محيطهم المحلي أو الوطني 61.64% (ن=561) كما قدرت نسبة الطلبة الذين ينتمون إلى مجموعات على الفايسبوك يسومها الطابع المحلي 83.21%(ن=853)، هذه الأخيرة التي يتفاعل فيها الطلبة مع أعضاء يتشاركون معهم نفس الاهتمامات لذا نعزي أسباب ارتفاع التفاعل مع المحيط القريب في هذا النوع من أشكال التواصل إلى أن المستخدم يجد اهتماماته بتنوعاتها مهنية وعائلية وصداقات عموما في المحيط القريب الذي يعد الفايسبوك امتدادا له، وفقا لما أكدته أجوبة المقابلة عن طبيعة الصداقات الواقعية والافتراضية وأوجه التلاقي بينها في المبحث الثاني.

كما لا يفوتنا أن نشير أن الطلبة الذين يخفون صداقاتهم وطبيعة المجموعات التي ينتمون إليها عددهم معتبر ومهم حيث قدر عدد الطلبة الذين يخفون صداقاتهم 10طلبة، أما الذين لا يظهرون عدد وطبيعة المجموعات التي ينتمون إليها 10عشرة طلبة. لذا فان النتائج التي بنيناها تترجم الطلبة الذين يُظهرون مع من يتفاعلون ويتواصلون.

4.الفايسبوك وتأطير تفاعلات الطلبة على الخط:

تفترض سوسيولوجيا الاستخدامات وساطة مزدوجة بين المستخدم والجهاز التقني، حيث تعد الوساطة اجتماعية من جهة لأن المستخدم يعتمد على ممارسات اجتماعية قبلية كما سبق وأن أشرنا في الإطار النظري (ارجع إلى مبحثالفروض العلمية لتيار سوسيولوجيا الاستخدامات)، ومن جهة أخرى تعد الوساطة تقنية لأن الجهاز التقني يؤطر ويهيكل الممارسات[1]

نشير في هذا السياق وبناء على العمل التطبيقي الذي قمنا به أن الملاحظة التي استهدفنا من خلالها إظهار الوساطة الاجتماعية تعد سهلةالتحديد من الوساطة التقنية، مثلا من السهل التماس كيفية عرض الطالب لهويته الثقافية أو على الأقل أحد مكوناتها من خلال ما ينشره في إطار المجموعة على الفايسبوك، والتي تعتمد على الممارسة الاجتماعية القائمة سلفا، ولكن التحقق تجريبيا من كون الجهاز التقني يؤطر ممارسات المستخدم من خلال ملاحظتنا المرئية لتفاعلاته عبر الخط ودون معايشة حية ودائمة يعد أمرا صعبا، وعليه قررنا مواجهة هذا التحدي من خلال تحديدنا لنوع التفاعل وطبيعة محتواه الذي سنلاحظه ونحلله، والذي حصرناه في المحتوى الديني، الذي اخترناه لسبب بسيط هو كثرة تردده في تفاعلات الطلبة على الخط وفق ما هو مقدم في الجدول رقم01، وحضوره لدى كل مفردات العينة دون استثناء.

إن تحليل المحتوى سمح لنا أن نلاحظ أن 38.95 %من ما هو منشور كتابة أو صورا أو فيديوهات يحمل معنى يحيل إلى مكون الدين الإسلامي في الهوية الجزائرية، ويوضح لنا الشكل الموالي ذلك

[1]Jouët, Josiane. «Retour critique sur la sociologie des usages». *Réseaux,2000*

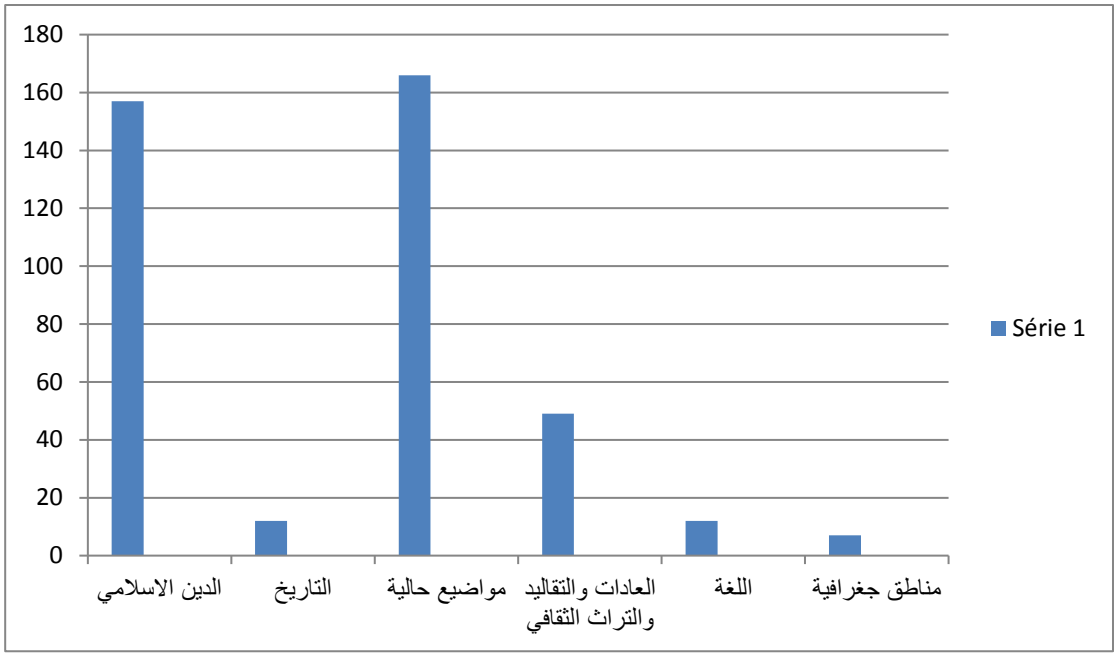

(الشكل رقم 05) يوضح مدى تردد مكونات الهوية الثقافية في تفاعلات الطلبة على الخط

ونعتقد أن هذا الحجم المرتفع في تردد المكون الديني في تفاعلات الطلبة مرتبط كثيرا بارتفاع عدد الصور التي تحمل كتابات أو عبارات دينية بالإضافة إلى المنشورات المكتوبة والتعليقات عليها، إذ شكلت المساهمات من نوع الصور ما قدره 37.22 % (ن = 150) من محتوى المساهمات، فإن هذه الأخيرة تحوي 72 % (ن= 108) من المحتوى الديني الملاحظ، في حين نجد المساهمات من نوع الفيديو تقدر بـ 15.88% (ن=64) تحتوي على ما نسبة 17.18% (ن =11). فما هو منشور على الجدار يشكل 92.3 % من المحتوى (ن= 372) والذي يحوي من جانبه 41.66 % (ن= 155) من المحتوى الديني الملاحظ على الجدار، فالمحتوى الديني مرتبط إذا أكثر بنوع خاص من المحتوى وهو الصورة في حين نجد من التعليقات ما قدره 5.09% (ن=8) فقط، كما هو موضح في الشكل رقم 06 أدناه.

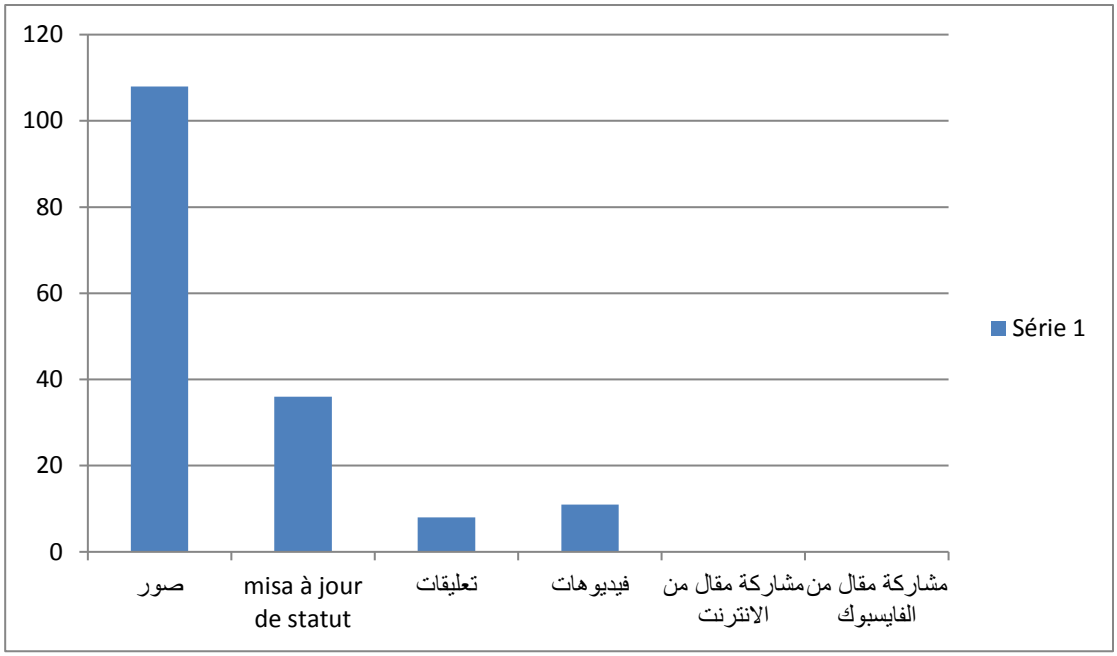

الشكل رقم 06 يوضح أشكال التفاعل التي وظفها الطلبة عند خوضهم في مواضيع متعلقة بالمكون الديني في الهوية

إذا رجعنا إلى الشكل رقم 06 الذي فصلنا فيه أشكال التفاعلات التي وظفها الطلبة عند خوضهم في مواضيع متعلقة بالمكون الديني في الهوية وجدنا أن الصور حققت الذروة في حين نجد الفيديوهات لم تتجاوز ما نسبته 16%، رغم أن كلا الشكلين بصري وهذا ما تؤكده سلفا أجوبة المقابلة التي تظهر أن الطلبة يميلون أكثر إلى المحتويات البصرية، وأردنا معرفة ما إذا كانت ميزة l'option أو وظيفة الفيديو موجودة منذ إنشاء المجموعة، من خلال تفحصنا مجموعة معتبرة من المجموعات على الفايسبوك فوجدنا أن ميزة أو وظيفة الفيديو كانت متوفرة منذ جانفي 2015 كما وجدنا أيضا أن غالبية المجموعات الأخرى تطورت بنفس الديناميكية: قلة التفاعلات في الفترة الأولى لإنشاء المجموعة. وعليه نتسائل هل يرتبط معدل التفاعل بالخصائص والميزات التقنية للجهاز؟

للإجابة على هذا السؤال رجعنا إلى التطور التقني لتطبيق الفايسبوك فسجلنا بداية أن ميزة أو وظيفة « j'aime » تم دمجها في شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك في 09 فيفري

2009، ثم تم تحسينها بتاريخ 19 أكتوبر 2009[1] وتأثير مثل هذا التغيير التقني هو بسيط فما يتم تفضيله aimer من قبل مستخدم ما نجده مباشرة على le fil d'actualité الشخصي لكل فرد من أفراد المجموعة، وهذا في رأينا يعد الابتكار الأكثر تأثيرا على حجم التفاعلات في المجموعات.

فسابقا إذا قام عضو من المجموعة بنشر رسالة أو منشور ما مهما كان نوعه فإن الأعضاء الباقون من نفس المجموعة لا يكونون بعلم بهذا، ولكن بداية من أكتوبر 2009 كل المستخدمين الأعضاء في نفس المجموعة بالإضافة إلى الإخطارات عن النشاطات les notifications يمكنهم أيضا رؤية ما تم نشره على le fil d'actualité الخاص بهم وفي الوقت الحقيقي الذي يتم فيه النشر[2]

إن موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك يعرض كما أشرنا زر « j'aime » منذ 2009 الذي يسمح بالتفاعل بين الأصدقاء على الفايسبوك. والآن في 25 فيفيري

2016 تم تحسين هذا الزر الذي أصبح يحمل مجموعة من الاختيارات التي تظهر للمستخدم وبألوان مختلفة، فالابتكار في هذه الحالة يعد أثره بصريا أكثر (أنظر الشكل 07 أدناه) ، فما يتم تفضيله aimerعلى الفايسبوك أصبح يظهر جذابا أكثر في عيون الأعضاء الباقين.

[1]Pearlman, Leah. « 1 like this ». In *Le blague Facebaak.* En ligne.<http://blog.facebook.com/blog.php?>. Consulté le 26 août 2016.
[2]Pipatsrisawat, Knot« Giving Groups a Stronger Voice ». In *Le blague Facebaak.* En ligne. <http://blog.facebook.com/blog.php?>. Consulté le 26 août 2016.

زر « j’aime » **الجديد**

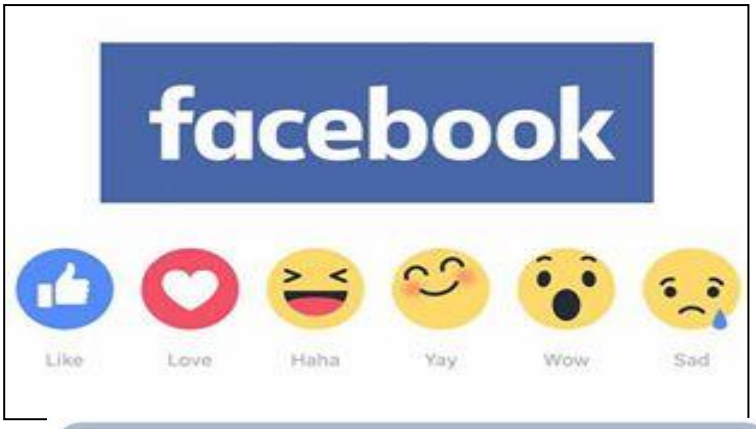

زر « j’aime » **القديم**

الشكل رقم 07 يوضح التغيير التقني في زر « j’aime »

إن ملاحظة وتتبع مثل هذه التغيرات التقنية ربما يبدو بسيطا مع ذلك نعتقد أنه مسئول عن زيادة أو نقص التفاعلات داخل المجموعة،حيث سنوضح دور les Mésodonnéesأي انتظام النص في مجموعة مختلفة من المساهمات: منشورات، تعليقات...إلخ وأثره على مستوى التفاعلات.

وارتأينا ملاحظة هذه التفاعلية من خلال نوع محدد منالإسهامات هو« j’aime »، التي لاحظنا زيادة كبيرة في ترددها في الفترة الممتدة ما بين 20 فيفري و20 مارس حيث وصلت إلى الذروة مابين 1و10 مارس كما هو موضح في الشكل رقم08 أدناه، ومرد هذا في اعتقادنا هو التطور التقني الذي أشرنا إليه سلفا، وأثره البصري في توجيه المستخدم، فكا نلاحظ فترة الذروة تلي مباشرة التغيير التقني الذي حدث في الزر.

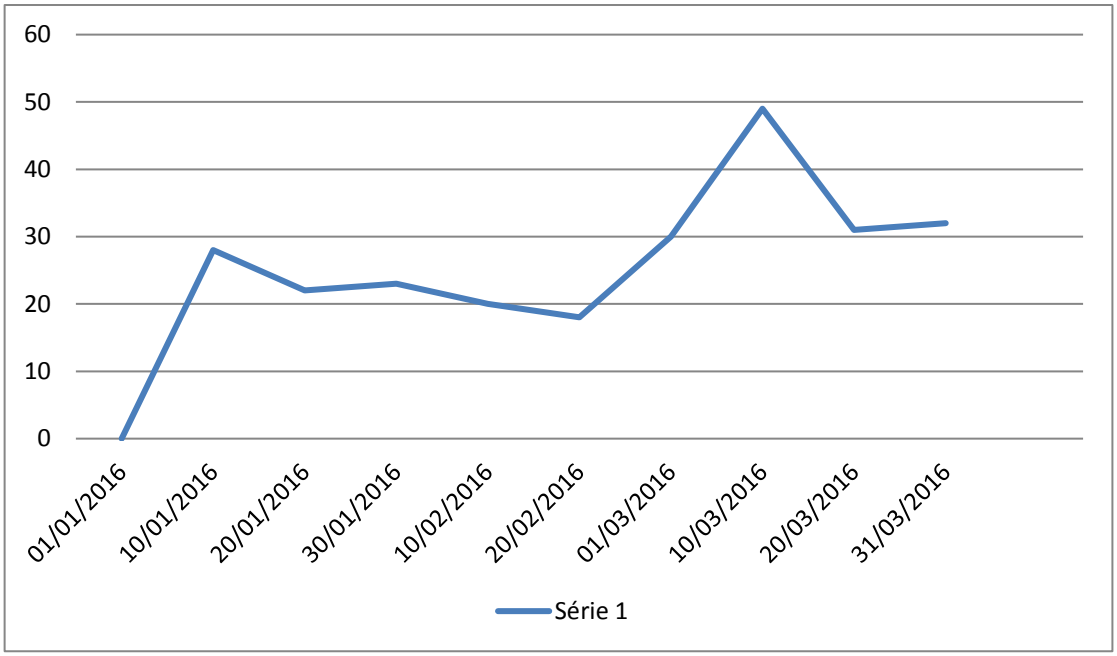

الشكل08 يوضح التطور الزمني لتردد شكل التفاعل « j'aime »

كما نشير في هذا السياق إلى الحملة التي يقودها بعض مستخدمي شبكة التواصل الاجتماعي فايسبوك التي يطالبون من خلالها بزر « dislike » أو « je n'aime pas » حيث يلومون على المصممين التقنيين للفايسبوك وجود زر واحد فقط للتعبير والتفاعل حول ما هو منشور بوجود زر واحد هو « j'aime » في حين أن ما يعرض أحيانا لا يعجبهم مما يضطرهمإلى التوجه إلى خانة التعليق « commentaire » للتعبير عن عدم إعجابهم، فيرون في ذلك قهرا تقنيا وهذا ما أشار إليه أحد الطلبة أثناء المقابلة

" ورغم أنني مستخدم وفي للفايسبوك، فأنا ندخلوا كل يوم كيما قتلك بصح مرات نتقلق من بعض ما ينشر ولا يعجبني ونحب ندير je n'aime pas sa *أمنلقاهاش كيما* j'aime *لهذا أنا دائما ندير*ها *«* jnmp *»* abriver *وندير*لها copier *وعندما أجد شيء لا يعجبني ندير* coller *مباشرة، وعبرت عن رأيي هذا في حملة* dislike *على الفايسبوك"(ل.ف)*

وعليه توصلنا إلى النتيجة التالية: بإدماجنا لوظائف وميزات تقنية جديدة في تطبيق تواصلي ما وفي حالتنا الفايسبوك، تزيد التفاعلات في إطار المجموعات، لذا فإن تطبيق الفايسبوك يساهم بطريقة غير مباشرة في زيادة تردد أشكال التفاعل في إطار المجموعة، وهذا يعد كمثال مهم يوضح الدور الذي يمكن أن يلعبه الهيكل التقني لجهاز أو تطبيق تقني في الممارسات الاتصالية التفاعلية، وفي حالتنا حالة مدى تردد المحتوى الذي يعبر عن المكون الديني في الهوية الثقافية، لذا نجد البعض يقترح إعادة النظر في النظرة الايجابية التي تؤمن بأن مواقع التواصل الاجتماعي محايدة وبريئة وأن طريقة استخدامها هي الوحيدة التي تحدد ايجابياتها من سلبياتها[1].

أخيرا نشير أنه عادة في تقليد سوسيولوجيا الاستخدامات بدلا من أن نفكر في الهيكل التقني وتأطيره للممارسات من خلال السماح لأنفسنا بالحد من دور بعض الأفعال والميزات التقنية، أردنا أن نبين في هذا الجزء من العمل وفي إطار المقاربة النقدية التي تبنيناها الدور التقني الذي يمكن أن تلعبه مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، وفي حالتنا الفايسبوك ليس بوصفها إطار من شأنه أن يغير في الممارسات التفاعلية على الفايسبوك، ولكن كإطار يساهم حتى في تحديد نوعها وحجمها.

[1]DeGroot, Jocelyn M. *«Reconnecting with the Dead via Facebook: ExaminingTranscorporeal Communication as a Way to Maintain Relationships*». OhioUniversity.2009.

الاستنتـــــاجات

الاستنتاجات:

إن معالجة علاقة استخدام وسائط الإعلام الجديد بالهوية الثقافية عبر مختلف مراحل هذه الدراسة، ابتداء من المدخل المنهجي لهذه الدراسة إلى غاية الجانب التطبيقي الذي حللنا من خلاله هوية الشباب الجزائري الثقافية واستخدام الفايسبوك، سمح لنا في هذه المرحلة الختامية بتلخيص أهم الاستنتاجات في النقاط التالية:

- لعلأولوأهماِستنتاج شامل وعاميمكنتسجيلهفيمستهلهذاالجزءالختامي،هومسألة الوساطة المزدوجة في الاستخدام، حيث تناولنا بداية مكانة تملك (استحواذ) طلبة جامعة الجزائر3 على الفايسبوك في سياق الحياة اليومية للتعبير عن هويتهم الثقافية الخاصة، بالإضافة إلى بناء قائمة لأشكال التفاعل بالنسبة للمواضيع التي تعكس الهوية الثقافية، حيث سمحت لنا بفهم أفضل لطرق التفاعل في أوساط فئة اجتماعية محددة هي الطلبة الشباب. ووضحت كذلك دور الهيكل التقني للفايسبوك في تحديد نوع وحجم تفاعلات الطلبة من ناحية أخرى.
- توصلنا إلى أن قرار الالتحاق بالموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك الشهير يتأثر أكثر بمحيط المستعمل الواقعي أكثر من تأثره بمحيطه الافتراضي على الانترنت وليس من خلال وسائل الإعلام التي امتد الفايسبوك إليها وامتدت إليه، فرغم السياسات الترويجية والإمكانيات الضخمة التي تملكها هذه المؤسسات إلا أن نتائج دراستنا تؤكد أن قرار إنشاء صفحة على الفايسبوك يتأثر بمحيط الطالب القريب من عائلة وأصدقاء أكثر من أي شيء آخر.
- خلصنا كذلك إلى أن الفايسبوك فضاء تفاعل بامتياز فالمستخدمين ينشطون ويتفاعلون من خلال مختلف أشكال التبادل والتفاعل، وحتى المستخدمين غير النشطين فهم متفاعلون، حيث أكدت نتائج دراستنا أن المستعمل الذي لا يتجاوب ويتفاعل مع غيره من المستخدمين من خلال ما ينشرونه، فهو على الأقل يطلع على

ما ينشرونه، بمعنى التفاعل مع المحتوى أو المادة من خلال الوصول والاطلاع إليها.

- كما نستنتج من خلال نتائج دراستنا أن استخدام الفايسبوك لدى الطالب الجزائري يعد يوميا ومترسخا في عادات الاستخدام العام للانترنت. كما أن الفايسبوك ولد خاصية l'omniprésence أو الوجود المطلق في حياة الطلبة، حيث أصبحوا يستخدمونه في كل مكان أينما حلوا وارتحلوا.
- كما توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى استنتاج مهم يقضي بأن الطلبة أصبحوا يعتبرون مجريات حياتهم اليومية كأنها أحداث ينبغي معالجتها وعرضها افتراضيا على الفايسبوك.
- رغم أن استخدام الفايسبوك أصبح حاضرا في مختلف الفضاءات مع الطلبة، إلا أنهم أشاروا إلى تفضيلهم لسياق المنزل الخاص والهادئ وهذا راجع إلى الطبيعة التفاعلية للفايسبوك التي تفرض على المستخدم الدخول في هذا العالم والمشاركة فيه، علىالعكس من وسائل الإعلام التقليدية التي يستطيع فيها المتلقي استقبال الرسالة الإعلامية وفعل أشياء أخرى في نفس الوقت.
- إن استخدام الفايسبوك يندرج في الاستخدام العام للانترنت، حيث يكون من خلال برمجية Google Chrome أو Mozilla ويكون عامة في بداية ونهاية اليوم.
- خلصنا إلى أن الطلبة بالإضافة إلى الاستخدام العادي للفايسبوك يوجد منهم من يتمرد على منطقه من خلال قفزه على الترتيب الكرونولوجي للأحداث والمعلومات كما يقدمها الفايسبوك في le fil d'actualité، ويلجأ إلى الاطلاع على الأخبار والمعلومات القديمة، أو نوع معين من المعلومات التي يبحث هو عنها بنفسه. وفي رأينا يعد هذا فعل استحواذ أو تملك.

- تخلى الطلبة عن استخدام الدردشة في بعض المواقع المخصصة لها كـ MSN و Skype مثلا ونقلوها إلى الفايسبوك لأن عدد معارفهم في الفايسبوك يفوق بكثير المواقع الأخرى.
- توصلنا من خلال نتائج دراستنا إلى أن الطلبة يتملكون موقع الفايسبوك من خلال إبداعهم فيما ينشرونه، حيث أن المعلومات التي ينشرونها تعبر عن هويتهم الثقافية كشباب جزائري، بالإضافة إلى إبداعهم لبعض طرق التفاعل كخاصية الوكز poke التي توجد في الفايسبوك على أنها خاصية تنبيه أما استخدام الطلبة لها فهو من أجل تبادل التحيات، وهذا ما يعرف في سوسيولوجيا الاستخدامات بالاستخدام المنحرف أو الاستخدام المكيف وفقا لحاجة مستخدمه، بالإضافة إلى هذا وذاك نلمس الاستخدام الخاص للطالب الجزائري من خلال تمرده أحيانا على المنطق التقني للفايسبوك وتعبيرهم عن رفضهم له من خلال مشاركة البعض فيهم في حملة dislike على الفايسبوك.
- توصلنا إلى استنتاج مفاده أن الحياة الواقعية ترتبط مع الفايسبوك من خلال نوع الصداقات التي تمتد عامة من العالم الواقعي إلى العالم الافتراضي. بالإضافة إلى نوعية المواضيع التي يتحدثون فيها، حيث تمتد أحيانا من العالم الواقعي إلى الافتراضي وفي أحيان أخرى من الافتراضي إلى الواقعي.
- كما توصلنا إلى استنتاج مهم مفاده أن الانشغال بالنشر على الفايسبوك جاء ببعض التغييرات في تجارب الحياة اليومية للطلبة، كتسجيل المعلومات وتدوينها أو أخذ بعض الصور في سياقات أو فضاءات مختلفة قد لا تحتمل هذه الممارسات، وهذا لغاية عرضها على الفايسبوك.
- يولي الطلبة اهتماما بالمواضيع ذات الطابع الديني في تفاعلاتهم، حيث بلغ تكرار ظهور أشكال التفاعل المختلفة من صور وفيديوهات وتحيين للوضعية Mise a jour

157de statut من مجموع 403 أي بنسبة تقارب 39% وهي نسبة معتبرة بالمقارنة مع عدد المواضيع وتصنيفها وفقا لمكوناتها مختلفة.

- يميل الطلبة أكثر إلى توظيف أشكال معينة من التفاعل للتعبير عن هويتهم الثقافية دون أشكال أخرى، فهم يحبذون الكتابة على جدرانهم من خلال خانة تحديث الوضعية Mise a jour de statut وكذا مشاركة الصور ثم بنسبة أقل مشاركة الفيديوهات وهذا ما أكدته نتائج المقابلة والملاحظة معا.
- كما توصلنا إلى أن الطلبة يستخدمون الفايسبوك لتسهيل حياتهم الأكاديمية بصورة كبيرة، حيث أن نقاشهم وتحاورهم يكثر حول حياة الطالب الجزائري وانشغالاتها وهو ما يعكس مستويي الهوية الفردية والجماعية معا.
- يفضل الطلبة بعض الصفحات التي تعكس الهوية الثقافية أو أحدا من مكوناتها لأجل سبب أساسي هو تمكنهم من الاطلاع على المعلومات وآخر الأخبار الموجودة بها، والتي تصلهم على le fil d'actualité الخاص بهم بمجرد النقر على زر " j'aime". كما أن الإعجاب aimer بصفحة ما يعد أيضا وسيلة للانتماء فبالنسبة للبعض من المهم لهم الانتماء إلى حركة أو جمعية وطنية رغم أنهم ليسوا بالضرورة موجودين فيها واقعيا.
- أعزى الطلبة سبب نشرهم على الفايسبوك إلى مجموعة من الأسباب أهمها نشر صورة إيجابية عن الذات وفتح مجال للنقاش والتفاعل.
- يعود انضمام الطلبة إلى المجموعة « 1er.A.J.G.29 » على الفايسبوك لمجموعة دوافع أهمها الاطلاع والوصول إلى آخر الأخبار والمعلومات التي تفيدهم في حياتهم الأكاديمية. بالإضافة إلى وجودهم فيها ما يعبر عن ذواتهم من خلال الآخرين الذين يتشاركون معهم نفس الانشغالات والاهتمامات على الأقل في الحياة الأكاديمية.
- توصلنا إلى استنتاج مهم أيضا يتمثل في أن استخدام الفايسبوك أصبح يحول دون زيارة الطلبة لمختلف المواقع الالكترونية الرسمية كوقع الكلية والجامعة وبعض

المكتبات والهيئات التي أصبح يبحث الطالب عنها في الفايسبوك، أي أصبح يستخدمه وكأنه محرك بحث وليس موقع للتواصل الاجتماعي.

- يتوقع الطلبة من انتمائهم إلى المجموعة « 1er.A.J.G.29 » على الفايسبوك الحصول على المعلومات التي تفيدهم أكاديميا، كذلك فإن التفاعل مع أشخاص قريبين منهم ويتشاركون معهم نفس الاهتمامات يولد لديهم شعور بالتقارب والانتماء وكذا التمثل الهوياتي إيجابا.
- نستنتج من هذه الدراسة أن الوساطة في الاستخدام هي فعلا مزدوجة فكما سبق وأن أشرنا بداية إلى دور الاستخدام المبدع ومكانته في الوساطة الاجتماعية من خلال استحواذ وتملك هذه المستحدثات، إلا أن هذه الوساطة قد تقهرها أحيانا الوساطة التقنية باستراتيجياتها.
- يساهم انتظام التفاعلات والتبادلات في هيكل تقني معين les méso- et les méta données في تحديد حجم التفاعل ونوعه.
- كما توصلنا إلى استنتاج على خلفية عملنا الميداني الذي قمنا به مفاده أن التحقق تجريبيا من أثر الوساطة التقنية يعد أصعب من التحقق من أثر الوساطة الاجتماعية التي هي أصلا ممتدة في ممارسات اجتماعية قبلية.
- كما استنتجنا أن الهوية الثقافية تتجلى من خلال الهوية الافتراضية ومكوناتها الثلاثة، حيث أكدت مختلف المؤشرات المكونة لعناصر الهوية الافتراضية تأثرها بأشكال ومحتويات التفاعل المعبرة عن الهوية الثقافية الجزائرية.

خاتمـــة

خاتمة:

شكلت دراستنا حول كيفية استخدام طلبة جامعة الجزائر3 لموقع التواصل الاجتماعي فايسبوك في سياق الاستخدامات المتملكة، ومدى تأثير ومساهمة الإطار التقني للفايسبوك في تحديد وهيكلة تفاعلات الطلبة محاولة لاختبار مقاربة نقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات في سياقنا الجزائري الخاص

تعود الأصول العلمية لهذا البحث إلى تيار سوسيولوجيا الاستخدامات، الذي يُعنى باستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال في الحياة اليومية للأفراد، ونهدف من خلاله إلى الإمساك بالتفاعلات الموجودة في تطبيق التواصل الاجتماعي فايسبوك، الذي يتمفصل ما بين طلبة جامعة الجزائر3 المستخدمين، الذين يمثلون عينة مجتمع بحثنا –الشباب الجزائري– وفعل الاستخدام المتملك في إطار المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك. من خلال تفعيل المستخدمين لموضوع الهوية الثقافية أو أحد مكوناتها، مركزين على قدرة المستخدم وإبداعه في النشر والتفاعل للتعبير عن هويته الجزائرية.

أما على المستوى المنهجي فقد خلصنا إلى تزكية اختيار "مقاربة نقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات"، لأنها المقاربة الأنسب إلى موضوعنا وتخدم عملنا، حيث قاربنا المستخدم وتفاعلاته الشخصية في مرحلة أولى في إطار ما يعرف بالدراسات السوسيولوجية الجزئية micro sociologie أي سياق المستخدم وتفاعلاته الخاصة. كما أخذنا بعين الاعتبار انتظام هذه التفاعلات في سياق تقني أشمل وأعم هو الفايسبوك من خلال تحليلنا لدور ما يعرف بـ: les méso et les méta données" في تحديد وتأطير التفاعلات، وهذا في إطار أشمل يعرف بـ: macro niveau. وتوصلنا لهذا من خلال توظيفنا لأداتين مهمتين هما المقابلة العلمية النصف موجهة، والملاحظة المرئية l'observation visuelle.

توصلنا من خلال هذا العمل إلى مجموعة مهمة من النتائج. حيث مكننا من حصر مختلف التبادلات حول الهوية الثقافية الجزائرية في تفاعلات طلبة جامعة الجزائر3 على الفايسبوك من خلال المجموعة « 1er.A.J.G.29 »حيث قمنا بعَد مختلف أنواع وأشكال المشاركة والتفاعل على الخط، والمواضيع والاهتمامات التي يتم تفعيلها من طرف أعضاء هذه المجموعة. بالإضافة إلى هذا مكنتنا هذه الدراسة من الوقوف على الاستخدام المبدع أو المتملك لموقع الفايسبوك من قبل الطلبة لأجل تعبيرهم عن هويتهم الثقافية في ظل سياق تقني معولم.

وتوصلنا من خلال ملاحظتنا المرئية عند تجلي هوية الطلبة الثقافية من خلال هويتهم الافتراضية عن طريق تحليل عناصرها الثلاثة: الهوية المصرحة l'identité déclarative، الهوية النشطة l'identité agissante ، الهوية المحسوبة l'identité calculéومدى عكسها مجتمعة لعناصر الهوية الثقافية. وأخيرا وفي إطار مقاربتنا النقدية حللنا دور سياق الاستخدام الكلي أي سياق الفايسبوك ودوره في تأطير تفاعلات الطلبة وهيكلتها تقنيا، لتتجلى لنا أهمية الوساطة التقنية إلى جانب الوساطة الاجتماعية في الاستخدام.

كما لا يفوتنا وبكل موضوعية وروح علمية أن نشير في هذا الجزء الختامي من البحث إلى حدود أو أوجه التقصير التي توقفنا عندها ولم نستطع تجاوزها. حيث نشير بداية إلى أن اهتمامنا انصب على دراسة المجموعة « 1er.A.J.G.29 »على الفايسبوك التي لا يتجاوز عدد أعضائها 20 فردا في حين كان يمكننا اختيار مجموعة أخرى تكون مفتوحة وعدد أعضائها يفوق بكثير هذه المجموعة. كما نشير أيضا إلى أن اختيارنا هذا ورغم أوجه قصوره إلا أنه كان مبررا بإمكانية الوصول إلى كافة أعضاء المجموعة واقعيا لإجراء معهم المقابلات العلمية، بالإضافة إلى أنني لاحظنا نشاطهم واقعيا وافتراضيا، حيث ارتأت الباحثة تقصي الكيف قبل الكم وفقا لما يقوله " autreetAl *"إن المستخدمين المشاهدين يمثلون*

المستخدمين الأساسيين إذا أردنا البحث والتعبير عن الكم"[1]. كما تجب الإشارة إلى أن الوصف من خلال الملاحظة مهما كان نوعها بالمشاركة أو بغير المشاركة لم يكن ولن يكن محايدا 100% لأنه *ليس ممارسة بسيطة، تتمثل في النقل والوصف، ولكنه تمرين تركيز وتأويل يقوم من خلاله الباحث بصنع المعنى أكثر من إعادة تصنيعه*"[2].

كما نضيف توضيحا آخر مفاده أن النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة والتي نقلنا ووصفنا من خلالها استخدامات وممارسات وتمثلات لمجموعة من المستخدمين كانت محدودة بفضاء وزمان محددين، وهذا ما يعيق وفقا لـ: Beaudetweber[3]إمكانية التعميم.

كما نشير أيضا أنه ما بين فترة ملاحظتنا لميدان بحثنا وفترة كتابتنا وتحريرنا النهائي لهذا العمل رغم أنها ليست طويلة إلا أن ميدان البحث –فايسبوك– شهد بعض التغيرات أو التطورات التقنية، وعليه فمن المؤكد أن المستخدمين أعادوا تملك Réapproprie بعض الوظائف أو الميزات التقنية، ويشير في هذا السياق Rutledge[4] أن صفحات الواب ستستمر في التغيير ويقول le Bland[5]*أن الإعلام الجديد لم يكتمل بعد وسيستمر بتغيير الاستخدامات والممارسات".*

وننهي خاتمتنا هذه بالتنويه بأهمية المقاربة النقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات ومدى مناسبتها وإمكانية تأقلمها مع دراسة مستخدمي الإعلام الجديد وتطبيقاته في الفضاءات المحلية، كسياقنا الجزائري لأنها

[1]Li, c., l Bernoff, R. Fiorentino et S. Glass. 2007. « Social Technographics: Mapping Participation In Activities Forms The Foundation Of A Social Strategy » 1n *Forrester Researeh.* En 1igne: <http://www.icsd.aegean.gr/website_fi les/proptyxiako /277846938.pdf>. Consulté le 27 novembre 2015.
[2]Laplantine, F. La description ethnographique. Barcelone: Armand Colin, 2006, p39.
[3]Beaud, S. et F. Weber..*Guide de l'enquête de terrain. Produire et analyser des données ethnographiques,* Paris: Édition La Découverte, 2003, 357 p.
[4]RutJedge, P-A. *Tirer profit du réseau/age social en ligne.* Trad. de l'anglais par Guy Patenaude. Collection «Toute la vérité». Montréal. Les Éditions Transcontinental,2010, 237 p.
[5]Blanc, M..*Les médias sociaux 101. Le réseau mondial des beaux-frères et des belles-soeurs.* Montréal: Les Éditions Logiques.2010, 181 p.

تنطلقمنالاعترافبالتمايزالاجتماعيالقائمعلىاعتباراتمتنوعة منها :دورالأعرافوالتقاليد الإثنيةالمحلية، وكذا على مستوى مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية (من أطفال ونساء وشباب ورجال ونساء) أي السياقات الجزئية للمستخدمين أو ما يعرف بدراسات Micro sociologieوتطورهامنخلالالتفاعلمعمختلف وسائط الإعلام الجديد،حيث تؤولالممارساتفيسياقهاالثقافيالخصوصي،انطلاقامنالملاحظةلممارساتالمستخدمينااليومية،فنجد Toussaint et Gourneyيريان أن سوسيولوجيا الاستخدامات هي عبارة عن اثنوغرافيا تستهدف استخدامات بعض تكنولوجيات الإعلام والاتصال les TIC،وتعد المقاربة الاثنوغرافية من أحدث المقاربات العلمية لدراسة جمهور وسائل الإعلام، حيث ظهرتمع أبحاث الانجليزيDavid Morley، ويرى الأستاذ علي قسايسية أن المقترب الاثنوغرافي يعد من أنسب المناهج لدراسة جمهور وسائل الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري، لأن المقترب يراعي خصوصيات المجتمع الجزائري المحلية.

وترى الباحثة أن المقاربة النقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات تلتقي مع المقترب الاثنوغرافي في الشق المتعلق بدراسة المستخدمين في سياقاتهم المحلية وملاحظتها عن كثب. ولكنها تتعداه لتأخذ بعين الاعتبار البعد الكلي للاستخدام، أي تراعي عولمة الوسائط الجديدة وأثرها على الهويات والسياقات المحلية الغريبة عنها، كسياقنا الجزائري المستهلك.

وبناء عليه ارتأينا أن تكون خاتمة بحثنا بداية أو فاتحة لأبحاث أخرى، من خلال الدعوة التي نوجهها للباحثين والمتمثلة في التوجه نحو مشروع مقاربة بديلة لدراسة مستخدمي وسائط الإعلام الجديد وتطبيقاته المختلفة ألا وهي **المقاربة النقدية في سوسيولوجيا الاستخدامات...**

قائمة المصادر والمراجع:

مراجع عربية:

1. أحمدبننعمان، الهويةالوطنية، ط1،دارالأمة،الجزائر، 2005.
2. التويجريعبدالعزيز ،الهويةوالعولمةمنمنظورحقالتنوعالثقافي،منشوراتالايسيكو، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو ،1997.
3. الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العربية، بيروت، 1998.
4. اللبان شريف درويش، تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008.
5. الموسوعةالفلسفيةالعربية،الطبعةالأولى، معهدالإنماءالعربي – بيروت، 1986
6. أليكس ميكشيلي، الهويـــة ، ترجمة: على وطفة ، سوريا: دار وسيم للخدمات، 1993.
7. سعداللهأبوالقاسم: تاريخالجزائرالثقافي،الجزء الأول،موك،الجزائر ،1985 .
8. شادي ناصيف، فضائح Facebook:أشهر موقع استخباراتي على شبكة الأنترنت، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، دمشق، 2009.
9. صالح السعد، المخدرات والمجتمع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 1996.
10. صقر تركي، الاعلام العربي وتحديات العولمة، وزارة الثقافة، دمشق، 1998.
11. عبد الله بوجلال وآخرون، القنوات الفضائية وتأثيراتها على القيم الاجتماعية والثقافية والسلوكية لدى الشباب الجزائري، دراسة نظرية وميدانية، دار الهدى، الجزائر، دون تاريخ.
12. فريدركمعتوق: معجمالعلومالاجتماعية،مراجعة: محمددبس،بيروت،أكاديميا،1998 .
13. محمدالعربيولدخليفة :المسألةالثقافيةوقضاياواللسانوالهوية،ديوانالمطبوعاتالجامعية،ط 2،الجزائر ،2003.
14. محمدعابدالجابري :نحنوالتراث،المركزالثقافيالعربي،دارالطليعة،بيروت،1980.
15. محمد عادل التريكي، التغريب وخطره على العالم الإسلامي، ضمن سلسلة مقالاته في قضايا فكرية معاصرة.

16.محمد عبيدات، محمد أبو نصار، عقلة مبيصين: منهجية البحث العلمي: القواعد والمراحل والتطبيقات، الطبعة الثانية، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن. 1999.
17.محمدمسلم :الهويةوالعولمة،دارالغربللنشروالتوزيع،ط2 ،وهران،2002.
18.مزري تش، ترجمة: الهلالي، وائل محمود محمد بن، قصة فيسبوك: ثورة وثروة، القاهرة، إصدارات سطور الجديدة، الطبعة العربية الأولى، 2011.

ملتقيات ومجلات علمية:

19. أمينجلال،العولمةوالهويةالثقافيةوالمجتمعالتكنولوجيالجديد،مجلةالمستقبلالعربي،العدد 234، 1998.
20. باية بورغالة، العربي بن داود، إشكالية العولمة والهوية الثقافية،مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري.
21. بوزيدة عبد الرحمان، قراءة نقدية في الأزمة الثقافية، في الثقافة، العدد2، 1993.
22. سامية عزيز، وعمر حمداوي، دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية (عدد خاص حول الملتقى الدولي الأول المتعلق بالهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري) .
23. ستيوارت هال، ترجمة بول طبر، حول الهوية الثقافية، مجلة إضافات، العدد الثاني، ربيع 2008.
24. سعيد لوصيف، عن مفهوم اللاستحواذ (اللاتملّك)، وبعض محدادته النفسية والاجتماعية مراجعة نقدية في تناول المجتمع الجزائري للإبداعات التقنية، محاضرةألقيت بالملتقى الدولي حول الإعلام الجزائري من ثورة التحرير إلى ثورة المعلومات، المنعقد بقسم الإعلام والاتصال بجامعة وهران المنعقد يومي15و16جانفي2013.

25. شوشان زهرة، الهوية في الحكاية الشعبية الجزائرية: دراسة سوسيولوجية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عددخاصالملتقىالدوليالأولحولالهويةوالمجالات الإجتماعيةفيظلالتحولاتالسوسيوثقافيةفيالمجتمعالجزائري.
26. صادق عباس مصطفى,، الإعلام الجديد دراسة في تحولاته التكنولوجية وخصائصه العامة"، مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، العدد الثاني، 2007.
27. صادق عباس مصطفى ، مصادر التنظير وبناء المفاهيم حول الإعلام الجديد، في كتاب أبحاث المؤتمر الدولي للإعلام الجديد:تكنولوجيا جديدة لعالم جديد، منشورات جامعة البحرين، 2009.
28. صايم عبد الحكيم، العولمة والجدل الثقافي بين الانفتاح والانغلاق، مجلة : التواصل والتثاقف، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، 2010.
29. محمدالجابريعابد،العولمةوالهويةالثقافية:عشرأطروحات،مجلةالمستقبلالعربي،العدد228، 1998.
30. نصر الدين لعياضي، وسائط جديدة وإشكاليات قديمة: التفكير في أدوات التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 22، الشارقة، 2013.
31. نور الدين غندير، بوبكر عباسي،الهويةالاجتماعيةورياضةالنخبة بينالروحالوطنيةوفعاليةالتسويقالرياضيالجزائر نموذجا،مجلةالعلومالإنسانيةوالاجتماعية، عددخاصالملتقىالدوليالأولحولالهويةوالمجالاتالإجتماعيةفيظلالتحولاتالسوسيوثقافيةفيالمجتمعالجزائري.

الأطروحات والرسائل:

32. بوخنوفة عبد الوهاب، المدرسة، التلميذ والمعلم، وتكنولوجيات الاعلام والاتصال: التمثل والاستخدامات، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر. 2006.

33. بومعيزة السعيد: أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر. 2006.

34. حميري محمد لطيف، تقنيات الاتصال المعاصرة: المستحدثات والاستخدامات، رسالة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر. 2002.

35. طايبيرتيبة :الصراعالثقافيوتأثيرهعلىهويةالشبابالجامعيفيالمجتمعالجزائري، أطروحةمكملة لنيلشهادةالدكتوراه،قسمعلمالاجتماع،جامعةالجزائر.

36. قسايسية علي: المنطلقات النظرية والمنهجية في دراسات التلقي، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر. 2006.

37. كوسةفاطمةالزهراء : **أزمة**الهويةعندالشبابالجزائري،بحثمقدملنيلشهادةالدكتوراهفيعلمالنفسالعيادي،جامعةالجزائر.

38. Thomas GUIGNARD, le Sénégal, les Sénégalais et internet : médias et identité, thèse de doctorat en science de l'information et de la communication, université Charles de Gaulle Lille 3, S.D.

مراجع أجنبية:

39. AKRICH Madeleine, MEADEL Cécile, PARAVEL Véréna, « Le temps du mail : écrit instantané ou oral immédiat », *Sociologie et sociétés* (Canada), Vol.32, n°2 « Les promesses du cyberspace », 2000.

40. Alain Degenne et Michel Forsé, les réseaux sociaux, flux, n20.volume11, avril-juin 1995.

41. ALARY Jacques, ETHIER Louise (Dirs.), *Comprendre la famille,[Actes du 3e symposium Québécois de recherche sur la Famille]*, Québec, Presses del'Université de Québec,1996.

42. Amin Maalouf, Les identités meurtrières, Paris: Edition Grasset & Fasquelle, 1998.

43. AmossyRuth. «Argumentation et Analyse du discours : perspectives théoriques et découpages disciplinaires ». *Argumentation et Analyse du Discours*, vol1 , 2008.

44. BABOULIN J.C., GAUDIN J.P., MALLEIN Ph., *Le magnétoscope au quotidien : un demi-pouce de liberté*, Paris, Aubier INA/Res Babel, 1989.

45. BARDIN Laurence, « Du téléphone fixe au portable. Un quart de siècle derelationsinterpersonnelles médiatisées en France », *Cahiers internationaux desociologie*, Vol.CXII «Communication et liens sociaux », 2002.

46. Bardin, Laurence. *L'analyse de contenu*. «Coll. Quadrige. Manuels». Paris :Presses universitaires de France, 2007.

47. BEAUDOUIN V., VELKOVSKA J, « Constitution d'un espace de communication sur Internet (Forums, pages perso, courrier électronique…) »,*Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°97, 1999.

48. Bolter Jay David. Grusin Richard. Remediation: Understanding New Media, USA: The MIT Press; 1st edition.2000

49. Boufenara Hanane, Analyse des interactions écrites médiatisées par ordinateur: l'exemple du *chat* en Algérie, Mémoire de Magister, ECOLE DOCTORALE POLE EST ANTENNE CONSTANTINE, Mars 2008

50. BOULLIER Dominique, *L'usager, l'utilisateur et le récepteur : douze ans d'exploration dans les machines à communiquer*, Habilitation à diriger des recherches, 1995.

51. BOULLIER Dominique, *Propositions de recherche autour de « sociabilité urbaine et nouvelles technologies de communication »*, Paris, Plan Urbain, Rapport, 1984.

52. BRETON Philippe, « Les amateurs sont-ils plus proches de l'informatique que ses professionnels eux-mêmes ? », *Cahiers d'Histoire et de Philosophie des Sciences*, n°27 « Les amateurs de sciences et de techniques », 1989.

53. BRUNET Jean, « Les représentations de l'informatique parmi les usagers de micro-ordinateurs », *Technologies de l'information et société*, Vol.5, n°3, 1993.

54. Cardon, Dominique. « Le design de la visibilité. Un essai de cartographie du web 2.0 ». Réseaux,2008.

55. CHAMBAT Pierre, « Communiquer, relier », dans CHAMBAT Pierre (Dir.),*Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes duColloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, EditionsDescartes, 1992.

56. CHAMBAT Pierre, « Technologies à domicile », *Esprit*, n°186 « Latélématique ou les nouvelles frontières du privé et du public »,1992.

57. CHAMBAT Pierre, Usages des technologies de l'information et de la communication (TIC) : évolution des problématiques ,*Technologies de l'information et société* , Vol.6, n°3, 1994.

58. CHARON Jean-Marie, « Réseaux techniques, réseaux sociaux. A propos du plan câble en France », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication et lien social: usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

59. Christakis, Nicholas A. Fowler, James H, Connected: The Surprising Power of Our Social Networks and How They Shape Our Lives -, USA: Back Bay Books; Reprint edition., 2011.

60. Cicourel.A, *method and measurement in sociology*, New York, free press, 1964.

61. Codol Jean Paul, *Une approche cognitive du sentiment d'identité*, Sage, Londres, 1981.

62. David Morley, family television, cultural power and domestic leisure, London, Comedia, 1986.

63. David Myles,les usages d'un groupe facebook en situation de deuil:une étude de cas, mémoire présenté comme exigence partielle de la maitride en communication,université du Québec à Montréal, décembre 2012.

64. DeGroot, Jocelyn M. *«Reconnecting with the Dead via Facebook: ExaminingTranscorporeal Communication as a Way to Maintain Relationships*». OhioUniversity. 2009

65. DE FORNEL Michel, « Le visiophone, un artefact interactionnel », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication et lien social : usages des machines àcommuniquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette,1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

66. DE GOURNAY Chantal, « En attendant les nomades. Téléphonie mobile et modes de vie », *Réseaux*, n°65 « La communication itinérante »,1994.

67. DE GOURNAY Chantal, « L'âge du citoyen nomade », *Esprit*, n°186 « Latélématique ou les nouvelles frontières du privé et du public »,1992.

68. DE GOURNAY Chantal, *L'errance communicationnelle. Ville, mobilité etcommunication*, Paris, Plan Urbain,1989.

69. Denzin, Norman K..*Interpretive ethnography :ethnographie practices for the 21st century.* Thousand Oaks, Calif. : Sage Publications, xxiv, 1997.

70. Duchastel, Jules. *Survol de l'analyse de discours, de son histoire et de ses liens avec l 'ATO - Analyse de texte par ordinateur*, Université du Québec à Montréal,2012.

71. Eric Maigret, les publics : sociologies de la réception et cultural studies, communication et medias, paris, la documentation française, 2003.

72. Fabien Granjon. « De quelques éléments programmatiques pour une sociologie critique des usages sociaux des TIC » in Smaïl Hadj-Ali, éd., *Les rapports sociététechnique du point de vue des sciences de l'Homme et de la société*, Rennes, 2004 .

73. FLICHY Patrice,*L'imaginaire d'Internet*, Paris, Editions La Découverte, Collection « Sciences et Société », 2000.

74. FLICHY Patrice, *L'innovation technique. Récents développements ensciences sociales. Vers une nouvelle théorie de l'innovation*, Paris, La Découverte,1995.

75. FREEMAN Melissa & MATHISON Sandra. *Researching Children's Experiences*. New York *:* Guilford Publications, 2008.

76. TREMBLAY G., *Lesautoroutes de l'information.Un portrait de la convergence*, Sainte-Foy, Québec, Presses de l'Université du Québec,1995.

77. FRENETTE Micheline, « L'influence des préconceptions dans le processus d'appropriation des technologies », dans LACROIX J.G,

78. GREENFIELD Patricia M, « Les jeux vidéo comme instrument de socialisation cognitive », *Réseaux*, n°67, 1994.

79. Georges Fanny. « Identité numérique et Représentation de soi : analyse sémiotique et quantitative de l'emprise culturelle du web 2.0 ». *Réseaux,* Web 2.0, vol. 2, n°154, 2009.

80. Georges, Fanny, Le spiritisme en ligne. La communication numérique avec l'au-delà. Lavoisier | *Les Cahiers du numérique*, 2013/3 - Vol. 9,2013.

81. Georges, Fanny. « L'identité numérique dans le web 2.0 ». Le mensuel de l'Université**,** n°27. Juin 2008.

82. GRAS A, JOERGES B, SCARDIGLI Victor (Eds.), *Sociologie des techniques de la vie quotidienne*, Paris, L'Harmattan, 1992.

83. GUILLAUME Marc, Articulation entre les échanges immatériels: présentation, dans OBABIA Alain, Entreprendre la ville [Colloque de Cerisy], Chapitre 2.2 , Editions de l'Aube,1997.

84. GUILLAUME Marc ,*Où vont les autoroutes de l'information ?*, Paris, Descartes & Cie, 1997.

85. Hall.S, introduction : who needs identity ? dans S.Hall and P. Dugay, questions of cultutal identity, Sage publication, Londres, Angleterre ,1996.

86. Hawker Mark. D, Developer's Guide to Social Programming: Building Social Context Using Face book, Google Friend Connect, and the Twitter API, Canada: Addison-Wesley Professional, 2010.

87. HERT P, « Quasi-oralité de l'écriture électronique et sentiment de communauté dans les débats scientifiques en ligne », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°97,1997.

88. HEURTIN Jean-Pierre, « La téléphonie mobile, une communication itinérante ou individuelle? Premiers éléments d'une analyse des usages en France », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°90 « Quelques aperçus sur le téléphone mobile », 1998.

89. Hine, Christine. *Virtual Ethnography*. Londres : Publications Sage, 2000.

90. Hughes E.C: L'oeil sociologique, Paris, EHESS, 1996 .

91. JAUREGUIBERRY Francis, De l'appel au local comme effet inattendu de l'ubiquité médiatique , Espaces et Sociétés, n° 74-75 « Les nouveaux territoires de la prospective », 1994.

92. JAUREGUIBERRY Francis, « De l'expérience des téléphones portatifscomme expérience du dédoublement et de l'accélération du temps »,*Technologies de l'information en sociétés*, Paris, Dunod, Vol. 8, n°2, 1996.

93. JAUREGUIBERRY Francis, *Un goût d'ubiquité. Usages sociaux duvisiophone*, IRSAM / CNRS, 1989.

94. Jean Gury Lacroix, Gaetan Tremblay et Gilles pronovost, « la mise en place de l'offre et la formation des usages des NTIC : le cas de videoway et de Telétel », dans cahiers de recherche sociologique, n°21, 1993.

95. JOUËT Josiane,*Des usages de la télématique aux Internet Studies*, dans *communiquer à l'ère numérique : regards croisés sur la sociologie des usages*, Presses des mines, Paris, 2011.

96. JOUËTJosiane, « L'écran apprivoisé : télématique et informatique à domicile », Réseaux, paris, CENT, 1987.

97. JOUËT Josiane, « Pratiques de communication : figures de la médiation », *Réseaux*, n°60 « Les médiations», 1993.

98. JOUËT Josiane, « Relecture de la société de l'information », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication et lien social : usages des machines àcommuniquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

99. JOUËT Josiane, « Retour critique sur la sociologie des usages », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°100 «Communiquer à l'ère des réseaux », 2000.

100. JOUËT Josiane, TOUSSAINT Yves, « Le courrier électronique privé : une nouvelle forme de communication interpersonnelle », dans PELACHAUD Guy (Ed.), *Systèmes et réseaux d'informations, acteurs sociaux et collège invisible [Actesde la Conférence internationale, Dublin, juin 1993]*, AIERI, 1994.

101. JOUËT Josiane, « Usages et pratiques des nouveaux outils », dans SFEZ Lucien (Ed.), *Dictionnaire critique de la Communication*, Tome 1 « Les données de base – Les théories opérationnelles », Paris, PUF,1993.

102. J.M.Donégani, G.Michelat, M.Simon: Représentations du champ social, attitudes politiques et changements socio-économiques, rapport multigr., Institut de sociologie de l'Université des Sciences et Techniques de Lille et CEVIPOF.

103. Keen, Andrew, The Cult of the Amateur: How blogs, MySpace, YouTube, and the rest of today's user-generated media are destroying our economy, our culture, and our values. USA: Crown Business; Reprint edition, 2008.

104. Kirkpatrick David, The Face book Effect: The Inside Story of the Company That Is Connecting the World. USA: Simon & Schuster, 2011.

105. KOULOUMDJIAN Marie-France, RAYMOND Roland, « Les mobiles del'indépendance », *Réseaux*,Issy-Les-Moulineaux, n°65 « Communicationitinérante », 1994.

106. Lenhart Amanda**,** MaddenMary, Teens, Privacy, & Online Social Networks. Washington DC: Pew Internet & American Life Project, 2007

107. Levinson, Paul, New Media, 1 edition, USA: Allyn & Bacon;, 2009.

108. LICOPPE Christian, SMOREDA Zbigniew, « Liens sociaux et régulations domestiques dans l'usage du téléphone, de l'analyse quantitative de la durée des conversations à l'examen des interactions », *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, Vol.19, n°103 « Le sexe du téléphone »,2000.

109. Lister, Martin. Dovey, Jon. Giddings, Seth. Grant, Iain. Kelly, Kieran. New Media: A Critical Introduction, USA/UK Europe : Routledge; 2 edition, 2009.

110. Madeleine Grwitz, Méthodes des sciences sociales » éditionsDalloz, 9 éme éditions, PARIS : 1993.

111. MALLEIN Philippe, ARNAL N., *et al.Pour une prospective de l'usage des nouvelles technologies d'information et de communication : une grille d'analyse sociologique et trois exercices d'application*, Rapport CERAT,1995.

112. MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves,« Diffusion, médiation, usage desTICs », *Culture Technique*, n°24, 1992.

113. MALLEIN Philippe, TOUSSAINT Yves, « L'intégration sociale des technologies d'information et de communication : une sociologie des usages », *Technologies de l'information et société*, Vol. 6, n°4 « Technologies de l'information et modes de vie», 1994.

114. MERCIER Pierre-Alain, « Technicisation de la culture, acculturation dela technique », dans SFEZ Lucien (Ed.), *Dictionnaire critique de lacommunication*, Tome 1 « Les données de base – Les théories opérationnelles », Paris, PUF, 1993.

115. Michel de certeau, l'invention du quotidien, tome1 : arts défaire, paris, Gallimard,1990.

116. Michelat Guy. Sur l'utilisation de l'entretien non directif en sociologie. In: Revue française de sociologie, 1975.

117. Milad Doueihi, La Grande Conversion numérique, paris, Seuil, 2008.

118. Miller, Hugh..*The Presentation of Self in Electronic Life - Goffman on theInternet : Embodied Knowledge and Virtual Spa ce Conference Goldsmiths'College* (Londres, Juin 1995). Londres : Nottingham Trent University, 1995

119. Mitra, Ananda,.« Creating a Presence on Social Networks via Narbs ». *TheGlobal Media Journal*, vol. 9, no 16, 2010.

120. MONDADA M., « Formes de séquentialité dans les courriels et les forums de discussion. Une approche conversationelle de l'interaction sur internet», *Apprentissage des langues et systèmes d'information et de communication*, n°2, 1999[revue en ligne : alsic.uni-fcomte.fr].

121. Ninatestut, facebook et moi et moi et moi, édition Hoébeke, paris, 2009.

122. Paillé, P. « L'analyse par théorisation ancrée ». *Cahiers de recherche sociologique*,1994.

123. Patrice, FLICHY. « L'action dans un cadre sociotechnique. Comment articuler technique et usage dans une même analyse?, Presses de l'Université du Québec, 1995.

124. Peraya, Daniel. « Médiation et médiatisation : le campus virtuel ». C.N.R.S. Editions | *Hermès, La Revue*, 1999/3 - n° 25,*1999.*

125. Prell Christina., Social Network Analysis: History, Theory and Methodology, USA/Austalia: Sage Publications Ltd, 2011.

126. Perriault J., *La logique de l'usage. Essai sur les machines à communiquer*, Paris, Flammarion, 1989.

127. Poirier.C, le cinema Quebecois: à la recherche d'une identité?Tome1: l'imaginaire filmique, Sainte-Foy, QC: Presses de l'université du Québec, 2004.

128. PRONOVOST Gilles, CLOUTIER Jacinthe, « Rapports intergénérationnels etdynamique familiale. L'exemple des nouvelles technologies de l'information et de lacommunication », SMOREDA Zbigniew, LICOPPE Christian, *Effets du cycle de vie et des réseaux de sociabilité sur la téléphonie*, Rapport CENT, 1989.

129. PRONOVOST Gilles, « Médias : éléments pour l'étude de la formation des usages sociaux », *Technologies de l'information et société*, Vol.6, n°4 « Technologies d'information et modes de vie»,1994.

130. Proulx Serge et Philipe Breton, de la communication à l'aube du 21e siècle, paris, la découverte, 2002.

131. Proulx Serge, Penser les usages des technologies de l'information et de la communication aujourd'hui : enjeux – modèles tendances, in Lise Vieira et Nathalie Pinède, éds, *Enjeux et usages des TIC aspects sociaux et culturels*, Tome 1, Presses universitaires de Bordeaux, , 2005.

132. QUERE Louis, « Espace public et communication : remarques sur l'hybridation des machines et des valeurs », dans CHAMBAT Pierre, Communication et lien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991], Paris, Editions Descartes, 1992.

133. Raynaud Joy, les TIC sont-ils nouveaux territoires de la diaspora chinoise?, networks and communication studies, NETCOM, vol.25, n°1-2,2011.

134. Rieffel Rémy, *Sociologie des médias*, Ellipses, 2ème édition, Paris, 2005.

135. Riviere C.A, « La pratique du mini-message. Une double stratégie d'extériorisation et de retrait de l'intimité dans les interactions quotidiennes », *Réseaux,* Issy-Les-Moulineaux, Vol.20, n°112-113 «Mobiles », 2002.

136. Robert, A. D. et A. Bouillaguet. *L'analyse de contenu.* Paris: Édition Presses de l'Université de France, 2007.

137. Robert Campeau et al **:** individu et société introduction a la sociologie, Paris, 1993.

138. Russell Matthew A, Mining the Social Web: Analyzing Data from Face book, Twitter, LinkedIn, and Other Social Media Sites. USA/UK O'Reilly Media, 2011.

139. Sari ,D: Les villes précoloniales de l'Algérie occidenontales, sned, Alger, 1978.

140. SCARDIGLI Victor, « Déterminisme technique et appropriation : l'évolution du regard porté sur les technologies de l'information », *Technologiede l'information et société*, Vol. 6, n°4 « Technologies de l'information et modes de vie », 1994.

141. SCARDIGLI Victor, *Le sens de la technique*, Paris, PUF, 1992

142. SCARDIGLI Victor, « Les technologies de l'information changent-elles les structures de la vie en société ? », dans FREEMAN C., MENDRAS H., *Leparadigme informatique : Technologies et évolution sociale*, Paris, Ed. Descartes et Cie, 1995.

143. Sophie Duchesne. Pratique de l'entretien dit "non-directif". M. Bachir (dir). Les m´ethodes au concret. D´emarches, formes de l'exp´erience et terrains d'investigation en science politique, PUF, , 2000.

144. TARRIUS Alain, MISSAOUI Lamia, « Entre sédentarité et nomadisme :le savoir-communiquer des migrants », *Réseaux,* Issy-Les-Moulineaux, n°65« Communication itinérante », 1994.

145. Tisseron Serge, « Intimité et extimité », *Communications*, n° 88, 2011.

146. TOUSSAINT Yves, « Communication : l'usage diffère de l'offre », *Avancées scientifiques et techniques*, n°6, 1992.

147. TOUSSAINT Yves, « La parole électronique. Du minitel aux nouvelles 'machines à communiquer' », *Esprit*, n°186 « La télématique ou les nouvelles frontières du privé et du public », 1992.

148. TURKLE Sherry, *Les enfants de l'ordinateur : un nouveau miroir pour l'homme*, Paris, Denoël, 1984.

149. Verville D., LAFRANCE J.-P., « L'art de bavarder sur Internet», *Réseaux*, Issy-Les-Moulineaux, n°97, 1999.

150. Wolton Dominique, *Internet et après ? Une théorie critique des nouveaux médias*, Flammarion, Paris, 2000.

151. Wolton Dominique, *L'autre mondialisation*, Flammarion, Paris, 2003.

152. WOLTON Dominique, « Médias, nouvelles techniques de communication et l'éternelle idéologie techniciste », dans CHAMBAT Pierre (Dir.), *Communication etlien social : usages des machines à communiquer [Actes du Colloque « Machines à communiquer », Paris-La Villette, 1991]*, Paris, Editions Descartes, 1992.

مواقع الكترونية :

153. الدليمي أياد،الإعلام الجديد.. ثورة وثروة العرب، في 2011-12-01. متوفرعلى:
http://www.alarab.qa/details.php?issueId

154. أحمد، محمد ناصر، العرب والإعلام الجديد، موقع عالم الإبداع،في 6 أفريل 2010، متوفر على:
http://www.ibda3world.com

155. تعريف قاموسComputing Dictionary،روجع يوم (2015/11/19)، متوفر على:
http://computing-dictionary.thefreedictionary.com

156. تعريف موسوعة Webopedia، روجع يوم (2015/10/11)
http://www.webopedia.com/TERM/N/new_media

157. حكيمةبولعشب: تحديات الهوية الثقافية العربيةفيظلالعولمة،منموقع
http://www.aranthropos.com

158. خليفةهبة محمد، مواقع الشبكات الاجتماعية، ما هي؟ منتديات اليسار للمكتبات وتقنية المعلومات،في 19 جانفي2011. متوفر على :http://www.alyaseer.net/vb

159. زنغر إيلينا، الكوطيط خالد، مراجعة: المخلافي عبده، قضايا اجتماعية، أطلعني على موقعك بالفيسبوك أقول لك من أنت!،.في 11 جانفي 2012. متوفر على:

160. http://www.dw-world.de/dw/article

161. شيهب عادل، الثقافة والهوية إشكالية المفاهيم والعلاقة، روجع يوم 2015/12/28. موقع أرنتروبوس www.aranthropos.com،

162.طارق موقدي، سوسيولوجيا الفيسبوك، روجع يوم 2015/05/15، متوفر على/http://tarikjm.blogspot.com

163.عبد الوهاب جودة الحايس، الشبكات الاجتماعية وأزمة الهوية في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال والتواصل الاجتماعي، متوفر على الموقع:http://elhyes-abdelwahab.blogspot.com/، روجع يوم: (2015/2/15)

164.عواد محمد، شبكات التواصل الاجتماعي الإلكتروني، موقع تأملات،في 10 أكتوبر 2010. متوفر على:http://www.taamolat.com

165.ماثيور فريزر وسوميترا دوتا، ثورة الجيل الثاني بلغت مرحلة الانقلاب الاجتماعي، الشبكات الاجتماعية على الأنترنت: موقع الاقتصادية الإلكترونية، العدد (5530).في 2010/11/01، متوفر على:http://www.aleqt.com/2008/12/01/article

166.محفوظ رموم، أشكلة الهوية في الجزائر بين الأمزغة و العوربة و العولمة: رؤية تاريخية إستشرافية لظاهرة العنف في الجزائر، متوفر على الموقع: www.aranthropos.com، روجع يوم: 2015/11/12.

167.محمود سمايلي، سعيدة بن عمارة، إشكالية الهوية العربية في مواجهة تحديات العولمة، متوفر على موقعhttps://om77.net/forums/thread، روجع في (2015/12/28)

168.مكاوي مرام عبد الرحمن، تضليل الإعلام الجديد,، موقع الوطن أو لاين، في 2011-05-25. متوفرعلى: http://www.alwatan.com.sa/Articles/

169.موقع ثورة الويب، أنماط المواقع الإلكترونية، في 21 جانفي 2011، متوفر على: http://thawratalweb.com/web/20

170. Anonyme, Réflexions sociologiques sur les usages de Facebook, disponible sur: https:// homosemiotikus.wordpress.com /2009/07/16 /reflexions-sociologiques

171. Bernard Y. « La netnographie : une nouvelle méthode d'enquête qualitative basée sur les communautés virtuelles de consommation ». In *Décisions Marketing.* 2004. En ligne: <http://docgestion.isuisse.com/netn02004.pdf>. Consulté le]1 avril 2015

172. Diane Diaz, En quête d'un outil numérique destiné à l'observation, l'article est disponile on : http://www.adjectif.net/spip/spip.php, (Consulté le févier 2015).

173. Pearlman, Leah. « 1 like this ». In *Le blague Facebaak.* En ligne.<http://blog.facebook.com/blog.php?>. Consulté le 26 août 2016.

174. Pipatsrisawat, Knot« Giving Groups a Stronger Voice ». In *Le blague Facebaak.* En ligne.<http://blog.facebook.com/blog.php?, Consulté le 26 août 2016.
175. www.socialbakers.com/facebook-statistique (consulter le 02/03/2014)

الملاحـــــق

الملحق رقم (01):دليل المقابلة

أسئلة المقابلة:

أولا شكرا على قبولكم المشاركة في دراستنا:

محور الاستخدامات العامة للفايسبوك:

- كيف دخل الفايسبوك إلى حياتك؟
- ما الذي دفعك لفتح حساب على الفايسبوك؟
- منذ متى وأنت تشارك في الفايسبوك؟
- هل تزور الفايسبوك يوميا؟
- في المتوسط كم تخصص من الوقت لكل زيارة؟
- عادة أين تستخدم الفايسبوك؟–الفضاء الذي تكون فيه عند استخدامك للفايسبوك–
- ما هي أبرز استخداماتك الحالية للفايسبوك؟

محور تملك الطلبة لاستخدام الفايسبوك:

- كيف تصف مشاركتك ومساهمتك على الفايسبوك؟
- هل هناك تفاعل بين حياتك الواقعية والفايسبوك؟
- ما هي المواضيع والاهتمامات المتعلقة بالهوية الثقافية التي تثير انتباهك على الفايسبوك؟(سأقدم لك مجموعة من الخيارات واجبني بنعم أو لا عند كل اختيار)
  - ✓ مواضيع لها علاقة بالتاريخ الوطني سواء القديم أو الحديث
  - ✓ مواضيع حالية تعكس انشغالات متعلقة بعناصر الهوية الثقافية
  - ✓ مواضيع متعلقة بالعادات والتقاليد والتراث الوطني عموما
  - ✓ مواضيع لها علاقة باللغة العربية أو الأمازيغية وكيفية توظيفها على الفايسبوك
  - ✓ مواضيع لها علاقة بالدين الإسلامي وعرضه عموما على الفايسبوك

- ما هي أنواع المحتويات التي تستخدمها على الفايسبوك لتفعيل موضوع الهوية؟ (سأقدم لك مجموعة من الخيارات وأجبني بنعم أو لا عند كل اختيار)
  - ✓ Mise a jour de statut
  - ✓ نشر تعليق
  - ✓ مشاركة صورة
  - ✓ مشاركة فيديو
  - ✓ مشاركة مقال من الانترنت
  - ✓ مشاركة مقال من الفايسبوك
  - ✓ تفضيل صفحة "aimer une page "
- ما هي المكانة التي تحتلها هذه التفاعلات المتعلقة بالهوية في استخدامك العام لفايسبوك؟
- ما هي دوافعك لتفضيل aimer صفحة أو نشر موضوع ما حول الهوية الثقافية؟
- ما هي دوافعك للنشر على الفايسبوك؟
- ما هي دوافع إنضمامك إلى المجموعة 29
- ما هي الآثار التي تنتظرها من تفاعلك مع المجموعة 29؟

الملحق رقم (02) : دليل ترميز أجوبة المقابلة

المحور الأول: الاستخدام العام للفايسبوك

كيفية دخول الفايسبوك في حياة الطلبة:

- سمعت عنه من الأصدقاء
- سمعت عنه في وسائل الإعلام
- متأثر بأحد أفراد أسرتي

أسباب استخدام الفايسبوك:

- للتواصل والتفاعل
- للاطلاع على ما يفعله الآخرون

التردد في استخدام الفايسبوك:

- يومي ومترسخ في عادات الاستخدام العام للانترنت
- متقطع وغير منتظم

سياق الاستخدام:

- في المنزل
- في الإقامة الجامعية
- في كل مكان

روتين الاستخدام:

- صباحا
- مساء
- في كل وقت

كيفية الاستخدام الحالي للطلبة:

- الرد على pokes والرسائل
- مراجعة le fil d’actualité
- الدردشة

<u>المحور الثاني: تملك (الاستحواذ) الفايسبوك</u>

مساهمة الطلبة على الفايسبوك:

- ايجابية ومتميزة
- عادية

التفاعل بين الحياة الواقعية والحياة الافتراضية على الفايسبوك:

- نعم
- لا

المواضيع والاهتمامات المتعلقة بالهوية الثقافية التي تثير انتباه الطلبة على الفايسبوك:

- التاريخ
- الدين
- اللغة
- العادات والتقاليد
- مواضيع حالية تعكس مكونا من مكونات الهوية الثقافية.

نوع المحتويات التي يستخدمها الطلبة على الفايسبوك لتفعيل موضوع الهوية:

- Mise a jour de statut
- نشر تعليق
- مشاركة صورة
- مشاركة فيديو
- مشاركة مقال من الانترنت
- مشاركة مقال من الفايسبوك

المكانة التي تحتلها هذه التفاعلات المتعلقة بالهوية في الاستخدام العام للطلبة :

- مهمة وكبيرة

- بسيطة وعادية
- لا أدري

دوافع الطلبة لتفضيل aimer صفحة أو نشر موضوع ما حول الهوية الثقافية:

- لتظهر إعجابك ودعمك
- للحصول على محتوى يمكن أن تعيد مشاركته repartager
- لتستطيع الاشتراك في الصفحة
- لتصلك آخر الأخبار والمعلومات حول الصفحة

دوافع الطلبة في النشر على الفايسبوك:

- لتقديم صورة إيجابية عن الذات
- لإثارة ردود أفعال والتناقش مع الغير
- لتكون من الأوائل المشاركين والناشرين للمحتويات

دوافع طلبة الفوج في الانضمام إلى المجموعة 29 على الفايسبوك:

- تريد التعبير عن نفسك بصفتك طالب
- لتكن على علمبآخر الأخبار التي تهم الفوج الذي تنتمي إليه
- للحصول على محتويات يمكن إعادة مشاركتها
- لتعزيز المجموعة

الآثار التي ينتظرها الطلبة من تفاعلهمفي المجموعة 29 على الفايسبوك:

- الشعور بالانتماء
- الشعور بالتقارب proximité
- لأجل الاستعلام ومعرفة الأخبار
- لأجل التمثل الذاتي الايجابي représentation du soi

الملحق رقم (3): شبكة الملاحظة la grille d'observation

سؤال الإشكالية الرئيسي	تساؤلات البحث	المؤشرات
في سياق الاستخدامات المتملكة، كيف يستخدم طلبة جامعة الجزائر3 الفايسبوك للتعبير عن هويتهم الثقافية، وكيف يساهم الفايسبوك من ناحية أخرى في هيكلة تفاعلاتهم؟	1-ما هي الطبيعة العامة لاستخدامات الفايسبوك لدى طلبة جامعة الجزائر3؟	ارجع إلى ملحق المقابلة
	2- كيف يتملك طلبة جامعة الجزائر3 الفايسبوك للتعبير عن هويتهم الثقافية؟	ارجع إلى ملحق المقابلة
	3- كيف تتجلى هوية طلبة جامعة الجزائر3 الثقافية من خلال هويتهم الافتراضية؟	نحلل من خلال ملاحظة مكونات الهوية الافتراضية الثلاثة ومدى عكسها مجتمعة لعناصر الهوية الثقافية: - الهوية المصرحة l'identité déclarative(الاسم، السن، مكان الإقامة...إلخ) - الهوية النشطةl'identité agissante (الانتماء إلى مجموعة، مشاركة رابط ما ، إضافة صداقة...إلخ) - الهوية المحسوبة l'identité calculé (عدد الأصدقاء، عدد المجموعات التي ينتمي إليها المستخدم، عدد الصور المتشاركة...إلخ
	4- كيف يؤطر الفايسبوك تقنيا تفاعلات الطلبة التي لاحظناها؟	-نحلل من خلال الملاحظة دور les Mésodonnéesأي انتظام النص في مجموعة مختلفة من المساهمات: منشورات، تعليقات...إلخ وأثره على مستوى التفاعلات.

		–تحليل دور les Métadonnée أياسم الكاتب أو المرسل، الجهة أو المتلقي، تاريخ وساعة النشر...إلخ وأثرها على مستوى التفاعلات.

فهرس الأشكال والجداول:

فهرس الأشكال:

الشكل رقم 01 .....ص 115

الشكل رقم 02 .....ص179

الشكل رقم 03 .....ص180

الشكل رقم 04.....ص182

الشكل رقم 05.....ص184

الشكل رقم 06 .....ص185

الشكل رقم 07.....ص 187

الشكل رقم 08.....ص 188

فهرس الجداول:

الجدول رقم 01 يوضح المواضيع والاهتمامات المتعلقة بالهوية الثقافية في تناولات الطلبة على الفايسبوك.....ص162

الجدول رقم 02 يوضح طرق التفاعل ونوع المحتوى المشترك.....ص164

فهرس المحتويات

كلمة شكر.....03
إهداء.....05
خطة البحث.....07
قائمة الاختصارات.....10
الملخص.....11
مقدمة.....15
إشكالية البحث وأهميتها.....19
تساؤلات البحث وأهدافه.....24
المقاربة المنهجية وأدواتها.....25
عينة البحث.....29
ضبط المفاهيم.....30
الدراسات السابقة 37
الإعلام الجديد، سوسيولوجيا الاستخدامات، وجدلية الهوية الثقافية 44
الفصل الأول :*الإعلام الجديد* ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي.....45
قراءة نقدية للأدبيات المتناولة للإعلام الجديد وتصنيفاته المختلفة.....45
ماهية مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كمكون أساسي في الإعلام الجديد.....50
نبذة عن الفايسبوك كأشهر موقع تواصل اجتماعي عالمي.....56
من هم مستخدمو الفيسبوك؟.....59
ثنائية الفايسبوك والهوية في الدراسات الحديثة.....61
المداخل المختلفة لتناول مواقع شبكات التواصل الاجتماعي كتقنيةمن منظور سوسيولوجيا
الاستخدامات 65
أبحاث النزعة التقنية.....66
أبحاث نزعةالتثاقف التقني.....69
الفضل الثاني: مقاربة سوسيولوجيا الاستخدامات.....72
ظهور مقاربة الاستخدام وتطور أبحاثها.....72
مقاربة الاستخدام تيار علمي متعدد التخصصات.....75
الفروض العلمية لتيار سوسيولوجيا الاستخدامات.....77
البناء السوسيوتقني للاستخدام وبروز الهوية الثقافية.....86

الانتقادات الموجهة لسوسيولوجيا الاستخدامات.....91
الفصل الثالث: الهوية من منظور سوسيولوجيا الاستخدامات.....94
ماهية الهوية الثقافية، والهوية الافتراضية.....94
الهوية الثقافية: مستوياتها وعناصرها.....94
الهوية الافتراضية، مكوناتها وخصائصها.....112
الإستراتيجية والتكتيك في بناء الهوية.....118
تملك الاستخدام من خلال تنوع الممارسات والمعاني 122
إشكالية الهوية كمقاربة سوسيولوجية جزئية.....125
الهوية الثقافية والعولمة 128
هوية الشباب الجزائري الثقافية واستخدام الفايسبوك.....136
الفصل الرابع: كيف ندرس الهوية الثقافية الجزائرية في علاقتها مع الفايسبوك.....137
الفايسبوك ميدان بحث سوسيولوجي خصب.....137
إجراءات الدخول في الملاحظة الاستكشافية لميدان البحث.....140
مجموعة"« 1er.A.J.G.29 » على الفايسبوك كعينة بحث.....144
الفصل الخامس: عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية.....148
كيفية تحليل مضامين المقابلات.....157
عرض النتائج.....157
الاستخدامات العامة للفايسبوك لدى طلبة جامعة الجزائر 3.....158
الاستخدام المتملك للفايسبوك يؤسس لهوية ثقافية جزائرية متميزة لدى الطالب.....167
تجلي الهوية الثقافية من خلال الهوية الافتراضية.....187
الفايسبوك يؤطر تقنيا تفاعلات الطلبة.....192
الاستنتاجات.....198
خاتمة.....204
المصادر والمراجع.....209
الملاحق.....222
الفهرس.....230